الدكتور فاضل البراك



دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني

والحرب مع بريطانيا عام ١٩٤١

دراسة تحليلية نقدية مقارنة

د. خلدون الحصري

... مع التقدير.

المؤلف
مايس ١٩٨٧

دور الجيش العراقي

في حكومة الدفاع الوطني
والحرب مع بريطانيا عام ١٩٤١

الدار العربية للموسوعات

ص. ب : ١٣/٥٣٤٨ تلكس : ARATRD LE٢٣١٠٧

بيروت ـ لبنان .

الدكتور فاضل البراك

دور الجيش العراقي

في حكومة الدفاع الوطني
والحرب مع بريطانيا عام ١٩٤١

دراسة تحليلية نقدية مقارنة

طبعة ثانية مزيدة ومنقحة

الطبعة الثانية
١٤٠٧هجري - ١٩٨٧ميلادي

مقدمة الطبعة الثانية

حيال الدور الملحمي الرائع، والبطولات الاسطورية، والانتصارات الباهرة التي يحققها جنود الجيش العراقي البواسل، بقيادة حكيمة وشجاعة، وكفاءات قتالية خارقة، دفاعاً عن الكرامة العربية والوطن العربي ومقدساته، أرى من أولى واجباتي أن أفرغ لهذه الانجازات التاريخية المشرفة، دراسة وافية رصينة، إنصافاً للتاريخ، وتبياناً للفضل، وتنويراً لأبناء امتنا العربية.

وككل دراسة علمية تاريخية، فإن المعلومات والمعطيات التي تستند اليها، تحتمل التأويل والتحليل، والمناقشة والمداعمة وربما التعديل، والاستئناس بآراء ذوي العلم والمعرفة، وبالوثائق والمعطيات التي لديهم.

من هذا المنطلق كانت استعانتي بأفاضل الاساتذة المتخصصين، والاستنارة بتوجيهاتهم الرشيدة فجاءت هذه الطبعة الثانية المنقحة والمزيدة، أقرب إلى الكمال من سابقتها، وأجلى للحق والحقائق.

وايمانا مني برسالة امتنا المجيدة، ودورها الحضاري الخالد في رفع كلمة الحق، اقدم لجمهورنا المثقف هذا الجهد الذي شاركني فيه حشد مشكور من الأعلام، خدمة متواضعة للتاريخ والحقيقة.

والله المستعان

المؤلف

الإهداء

إلى القوّات العراقيّة المسلّحة الباسلة ،
إيماناً بالدّور التاريخي المشرّف الذي قامت
به هذه القوات وامتناناً لولائها المطلق ،
والتزامها الدائم بالحقوق القوميّة والمصالح العربيّة
والمبادئ الثوريّة ، وثقة بأنّ مستقبلها في معركة
المصير الواحد لن يكون أقلّ من ماضيها المجيد
وإن الدّماء الطاهرة التي أراقها شهداؤها الأبطال
من الضبّاط وسائر المراتب ، ستبقى إلى
الأبد مناراً هادياً للأجيال الجديدة ومشعلاً
مضيئاً للجماهير المناضلة .

ف . ب . ح .

شكر وتقدير

ساعدني في استكمال هذا البحث، عدد غير قليل من الاصدقاء والاساتذة العرب والسوفييت، وينبغي أن يوجه الفضل المذكور إلى أصحابه الكرام.

ولا يسعني من ناحيتي إلا أن اعرب لهم جميعا عن خالص شكري وفائق تقديري وعظيم امتناني. واخص بالذكر السوفييت منهم: الاكاديمي غفوروف مدير معهد الاستشراق بموسكو سابقا (المرحوم المتوفى حاليا) الذي لم يبخل عليّ بتشجيعه المتواصل واهتمامه الدائم، واستاذي المشرف وصديقي العزيز البروفيسور كوتلوف الذي نالني من فضله العظيم بعض ما نال الدراسات العربية والاستشراقية من اعماله المأثورة وابحاثه القيمة، ورئيس وأعضاء القسم العربي في معهد الاستشراق السيد ليبيديف وزملاؤه الكرام.

اما العرب، فأخص بالذكر منهم: الرفيق الدكتور الياس فرح الذي بذل كثيرا من وقته وجهده في مطالعة المسودة الكاملة للكتاب، وزودني متفضلا بآراء سديدة وملاحظات قيمة، ساهمت في إيضاح عدد من الجوانب الغامضة والالتباسات العفوية، كما أذكر منهم ايضا: الاستاذ الجليل ناجي شوكة والمؤرخ البارز عبدالرزاق الحسني والاخ الدكتور حازم طالب مشتاق الذين كانوا خير عون وجدته في إنجاز هذا البحث في شكله النهائي الحالي.

ولا يفوتني ان أتقدم بشكري وتقديري أيضا إلى عدد كبير من الاخوان الذين ساعدوني بشكل أو بآخر والذين لا يتسع المجال لذكر اسمائهم فرادى. وغني عن القول أنني وحدي المسؤول عن الآراء والاجتهادات والاخطاء التي يتضمنها هذا البحث.

الدكتور فاضل البراك

لم يكن اختياري الكتابة عن حركة ١٩٤١ التحررية ناشئا عن رغبة شخصية منعزلة عما يعانيه تأريخنا القومي من تزييف وشذوذ ، وإنما كان من الشعور بالحاجة الماسة إلى اعادة كتابة تأريخنا بمنهج علمي ومنظور قومي معا . إن هذه الرغبة لا تنبع فقط من اهمية التأريخ باعتباره « علم تطور المجتمع » ولكنها تنبع أيضاً من الاثر العملي الذي يمكن أن يحدثه التأريخ في القارىء .

والذين شوهوا تأريخنا قديما ، ويحاولون تشويهه اليوم أيضاً ، لم يقعوا في خطأ عفوي ، وإنما كانوا يعبرون عن مصالحهم الاقتصادية والسياسية التي فرضت عليهم أن يشنوا حملة هدفها اخماد روح الثورة لدى الجماهير عن طريق تشويه انتفاضاتها التحررية ، وطمس بطولاتها ، وخلق حالة من اليأس لدى اجيالها الجديدة . وهذا ما يجعل من قضية اهتمامي بتأريخ حركتنا الوطنية قضية اساسية . ونحن لا نحاول كتابة تأريخ حركتنا القومية من جديد كما لو كان ترفا فكريا نمارسه مع عدد من الدارسين ؛ ولكنه ينبعث من اتجاهات ومواقف اجتماعية وسياسية وايديولوجية ينبغي أن تكون لها الاسبقية والقوة بحيث تستطيع أن تنقل تصورها المتميز للحركة التحررية المذكورة إلى جميع انحاء العالم ، بما في ذلك فهمنا للتأريخ طبعا .

إن القضية ليست قضية كتابة التأريخ فحسب، لأن الشطر الاعظم

من تأريخنا القومي قد كتب بالفعل ، بل القضية هي اعادة كتابة التأريخ وفق منهج جديد نكتبه في ضوئه ونشجع الكوادر الفكرية لأن تتبنى هذا المنهج وتعيه .

وعند اطلاعنا على اسماء الذين كتبوا تأريخ حركتنا التحررية نلاحظ أن العناصر التي ربطت بين الجانبين القومي والاشتراكي معا كانت قليلة جدا انْ لم تكن نادرة وذلك ضمن فئة كبيرة من اساتذة الجامعات الذين يدور معظمهم في فلك المدرسة البرجوازية والبعض منهم له تأريخ ملموس في مدح الاسر الملكية والرجعية الاجتماعية والسياسية .

ولم نكن ، نحن العرب ، اول الشعوب التي شعرت بضرورة اعادة كتابة تأريخها القومي ، فالملاحظ انه حتى البلدان التي حققت ثوراتها الاشتراكية منذ فترة طويلة لا تزال حتى الآن تبذل الجهود لاعادة كتابة تأريخها وإنْ لم تحقق هذا الهدف تماما بعد .

ونحن نعتقد أن المنهج الذي اعتمدناه في اعادة كتابة تاريخنا لا يواجه طريقا سهلا أو بابا مفتوحا على مصراعيه ، بل أنه لا يزال يخوض صراعا عنيفا ضد الاتجاهين الرجعي البرجوازي والامي التقليدي على حد سواء . ولم يدر هذا الصراع في معزل عن تاريخ صراع الحركة الثورية العربية مع القوى المعادية للثورة ، ومع الاتجاهات المنحرفة عنها في آن واحد ، بل كان ولا يزال صراعا مع الاستعمار والصهيونية والفئات الحاكمة العميلة التي تنفذ المخطط الاجنبي ، وصراعا مع الطبقة الاقطاعية والطبقة البرجوازية ، وصراعا ضد اساليب الغزو الثقافي والارهاب الفكري والتعسف اللاأخلاقي في العمل القومي والنشاط السياسي على حد سواء .



إن من ابرز العوامل التي دفعتني إلى الاهتمام بتأريخ انتفاضات

الحركة العربية هي ظروف اليوم الخامس من حزيران ١٩٦٧ . فإن عمق النكبة التي عشناها بعد الخامس من حزيران تتطلب منا شجاعة ذاتية في نقد انفسنا وفي التعريف بنقاط الضعف في مسيرتنا ، وتتطلب أيضاً قوة وصراحة في هذا النقد ، ولنعترف بأن المثقفين يتحملون القسط الاكبر من المسؤولية في تحقيق هذه المهمة الاساسية . إذ ما تزال الثقافة السائدة هي المقترنة بالميل إلى الجمع والاقتناء لا بالميل إلى التضحية والعطاء ، ثقافة الكسل والمتعة والثقافة الوسطية والمترددة التي تعزل الفكر عن الممارسة النضالية اليومية ، الثقافة التي تفسر ولا تغير . وهذا النموذج من الثقافة ما يزال يعزل جمهور المثقفين عن الالتحام بمصير امتهم ومصير الطبقات الثورية فيها .

بعد النكبة التي حلت بامتنا العربية في الخامس من حزيران ١٩٦٧ عدت إلى تاريخ بلادي للتعرف على ما استجد به من أحداث ، فكنت في تلك الأيام الحزينة أقرؤه بشغف لم يماثله شغف طوال عمري . وكان انشغالي بقراءة تاريخ أمّتي الغابر عزائي الذي بدد عتمة الحياة من حولي . واحببت شعبي كما لم أحبّه في أي وقت مضى . وأعتقد أن وجودي بعيدا عن أرض الوطن ، قد ساهم في تقوية هذا الشعور وزاد في يقيني بأن الشعب هو الباقي وهو الخالد إلى الابد . يأتي الطغاة ويذهبون ويجيء الغزاة ويغيرون ، ويظل الشعب هو الشعب كما هو ، من الأزل جاء وإلى الابد يبقى . من خلال هذا الاهتمام بتأريخ امتنا العربية وجدت أن هناك تزييفا صارخا واهمالا كبيرا قد احاطا وحاصرا هذا التأريخ المجيد .



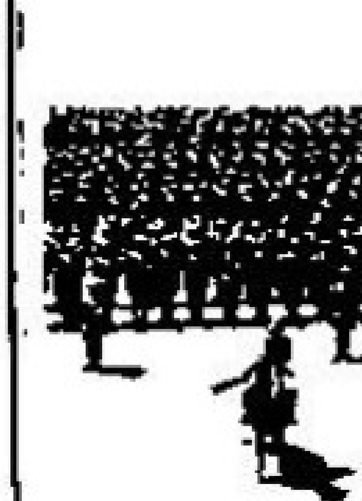
فبدأت افكر في أن اساهم مع الاتجاه الذي اخذ ينادي باعادة كتابة تأريخنا على اسس علمية قومية اشتراكية . فتحمست منذ البداية لهذا النداء ، واعتبرت هذا الاتجاه بمثابة مساهمة جادة ومتواضعة في كتابة تاريخ امتنا العربية بروح منهجية جديدة . وسرعان ما وجدت أن هناك نقصا في

هذا الاتجاه[١] ، يتمثل في اغفال الجانب القومي في تفسير التأريخ . وإذا كان اصحاب هذه المدرسة يبتغون تقديم حل للتناقضات الاساسية التي تسود حياة المجتمع العربي في المرحلة التأريخية الحالية فلا بد لهم أن يميزوا بين نوعين رئيسين من هذه التناقضات : التناقضات الموضوعية والتناقضات الذاتية .

فالتناقضات الموضوعية تعكس الخلل الأساسي في تكوين الواقع العربي الحالي ، وتتحدد في التجزئة التي قسمت الوطن العربي إلى اقطار ذات خصائص طارئة ، اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية متباينة

---

(١) عند تقييمنا للبحوث المطبوعة عن حركة القومية العربية نستطيع أن نرى ثلاثة اتجاهات رئيسة هي كما يلي:
الاتجاه الأول: هو الاتجاه الاستعماري أو الموالي للاستعمار الذي اهتم بترسيخ ونشر فرضيتين متلازمتين:
الأولى: إن المجتمع العربي بطبيعة تكوينه الجغرافي غير صالح للتصنيع الثقيل أو المكثف أو الواسع، وإن الزراعة في أقسام كثيرة من الوطن العربي، قادرة على الوفاء باحتياجاته إذا أحسن استغلالها. والثانية: إن الصلة بين الحضارتين، الصناعية والزراعية، معدومة. وإن على العرب أن ينصرفوا إلى الزراعة ويعتمدوا على الدول ذات الطابع الصناعي المتقدم تكنولوجيا للانتقال إلى التحضر بصورة تدريجية وبطيئة.
الاتجاه الثاني: وهو الذي عبر عن الفكرة البرجوازية الوطنية ولا سيما بعد مشاركتها بالسلطة، وعن طريق مواقعها هذه شرعت في تدعيم ايديولوجيتها، فبدأ منظروها في تقديم صيغ لها فظهرت بالتدريج محاولات لاعادة كتابة التاريخ العربي الحديث. وتبنت هذا الاتجاه حركة التحرر الوطني ونضالها ضد الاستعمار والحصول على الاستقلال دون الاهتمام بالجوانب الاجتماعية. كما عنيت رؤية هذا الاتجاه بالاهتمام بدور الفرد والمبالغة في نصيب عظماء التاريخ في تحديد مسار الظواهر التاريخية.
الاتجاه الثالث: ظهر في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية (حرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وقد انطوى على اتجاهات تقدمية جديدة، فكرية واجتماعية، طرحته حركات سياسية خصوصا مع نمو الطبقة العاملة العربية وظهور التعبير الايديولوجي عنها بالتعرف على الفكر القومي الاشتراكي والماركسي. وهذا الاتجاه تبنى المنهج القومي الاشتراكي الذي يرى التاريخ صراعا متجددا بين ما يحيا وما يموت، وبين ما يولد وينمو ويظهر الى الوجود وما يشيخ ويهرم ثم يزول من الوجود، صراعا بين الأمة الواحدة وطليعتها الثورية القومية الاشتراكية وبين الاتجاهات البرجوازية الليبرالية والامية التقليدية في وقت واحد.



ومناقضة للحقائق الجوهرية والطبيعية للوطن العربي الواحد . وتتحدد أيضاً في وجود قواعد للاستعمار في الوطن العربي . ولا تقتصر على وجود اسرائيل والقواعد العسكرية ومناطق النفوذ في بعض الأقطار فحسب، بل تشمل أيضاً وجود الرجعية العميلة والحركات السياسية والحكومات التي تلتقي مصالحها مع الاستعمار وتشكل ركائز لاستمرار هيمنته . وتتحدد كذلك في الاستغلال الطبقي والظلم الاجتماعي وفي التخلف ، أي في النظام الاقطاعي والرأسمالي . وعن هذه التناقضات الاساسية تتفرع بقية التناقضات الاخرى .

أما التناقضات الذاتية فهي تعكس الخلل الأساسي في تكوين الوعي العربي . وهي تتحدد في النظرة الخارجية للواقع العربي التي تسحب واقعا على واقع آخر من إطار تأريخي مختلف ، ومن نظريات تدعي العلمية الكاملة ولو لم تنطلق من المسلمات الواقعية . وتتحدد كذلك في تقصير النظرة الداخلية إلى الواقع العربي عن استيعاب كل تناقضاته ، فتغرق احيانا في نزعة قطرية وتظن أن الغطاء القومي الذي تضيفه على هذه النزعة القطرية كاف لاستيعاب البعد القومي الشامل ، وتغرق إحيانا في النظرة القومية دون أن تستوعب الافق الانساني والبعد الاجتماعي للتجربة العربية الثورية ، أو تركز اهتمامها على الجانب الاجتماعي وعلى الصراع الطبقي وعلى التخلف الاقتصادي ، أي على مطلب الاشتراكية دون أن تحيط احاطة متكاملة بكل الجوانب القومية والاشتراكية للقضية العربية ، ودون أن تربط الصراع الطبقي بالصراع القومي ربطا جدليا وتعتبرهما وجهين متكاملين من قضية واحدة[٢] . وهناك تقصير الوعي الثوري العربي القومي والطبقي عن تحديد مضمون واضح ودقيق للمنهج العلمي في دراسة الواقع العربي دراسة موضوعية متكاملة .



---

(٢) المنطلقات النظرية للمؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٦٣، دمشق .

إن الذين يكتبون عن تأريخ الحركة الوطنية في الوطن العربي اليوم مطالبون ، قبل كل شيء ، بأن يستخدموا المنهج الجدلي والاستقراء العلمي استخداما ذكيا للكشف عن قانون التطور الحقيقي للامة العربية وللعالم المعاصر ، وأن يدخلوا إلى صميم الواقع العربي لا أن يبقوا على هامشه أو يدوروا حول سطحه ، وأن ينطلقوا إلى كتابة التأريخ من المسلمات الواقعية لا من المقدمات النظرية . لأن التلازم بين الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية داخل الاطار القومي ثم العالمي يشكل المادة الاساسية للمنهج الجدلي والاستقراء العلمي الذي ينبغي أن يكون الاداة الفعالة في اعادة كتابة تأريخنا القومي المعاصر .

ولقد اعتمدت في اعداد هذا البحث على مصادر مختلفة تشمل وثائق انكليزية ، منها ما نشر مؤخرا ، ومنها ما كان قد نشر من قبل . كذلك اعتمدت على الوثائق العربية الالمانية المنشورة سابقا والمحفوظة في المكتبات العامة ، عراقية كانت أو اجنبية . واستفدت أيضاً من دراسات وأبحاث تتصل بموضوع البحث لمؤرخين وكتاب عرب واجانب ، بالاضافة إلى المصادر السوفيتية والعربية التي اصدرها باحثون متخصصون في هذا الموضوع .

وقد قمت بعدة مقابلات لجمع المادة التاريخية وللاتصال ببعض الشخصيات المعاصرة التي ترتبط بموضوع البحث . كما تمكنت من الاتصال ببعض هذه الشخصيات واجراء احاديث خاصة معها . وكان لعملي هذا اثر كبير في جلاء ما غمض من الامور ، والقاء الاضواء على بعض النواحي المهمة في البحث . ومن ابرز هذه الشخصيات الاستاذ شبلي العيسمي والدكتور الياس فرح والاستاذ اكرم الحوراني والاستاذ ناجي شوكة والاستاذ عبد الرزاق الحسني .

وكذلك استفدت كثيرا من المذكرات الشخصية العربية المنشورة ، وكان اهمها مذكرات رشيد عالي الكيلاني وصلاح الدين الصباغ ومفتي

فلسطين الحاج محمد امين الحسيني وطه الهاشمي وتوفيق السويدي وعثمان كمال حداد ومحمد مهدي كبة وعلي جودة الايوبي وطالب مشتاق وابراهيم الراوي وناجي شوكة .

كما استفدت من مذكرات السير ونستن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا والكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا وايدن وزير خارجية بريطانيا وكوردل هل وزير خارجية امريكا وموريس بيترسون سفير بريطانيا في العراق وغيرهم .

ولم يفتني الرجوع إلى اعداد كثيرة من الصحف والمجلات العراقية والمصرية الصادرة في تلك الفترة ، فضلا عن مجموعة من المصادر الانكليزية والالمانية والعربية . وكان لاطلاعي على المصادر السوفيتية ووجهات نظر الكتاب السوفيت في هذا الصدد اهمية لا تقل عن اهمية المصادر التي سبق أن ذكرتها . ولو أن الكتاب والمؤرخين السوفيت غيروا آراءهم في هذه الحركة في وقت متأخر لكنهم عوضوا عن هذا التأخير بتقديم أبحاث واسعة ومستفيضة . وكان ذلك بعد ما اولاه الاتحاد السوفيتي للثورة العربية من اهتمام كبير ، ولا سيما بعد ظهور تيار الفكرة العربية الثورية على الصعيد العالمي . اما ادبيات ونشريات « حزب البعث العربي الاشتراكي » فقد كان لها أهمية خاصة وبالغة في دراستي هذه ، كما لا يخفى على القارىء الكريم .

ومن المصاعب التي واجهتني في دراستي ما يتعلق بالطريقة التي يكتب بها المؤرخون والكتاب العرب والتي لا تعتمد على التحليل والمناقشة وإنما على السرد المسهب للاحداث دون الاعتماد على الربط الدقيق بين الاحداث السياسية الذي يوفر للباحث فرصة واسعة للاستنباط بطريقته الخاصة .

وينبغي أن اقرر سلفا أن اصحاب المذكرات إنما يكتبون عن

الاحداث من وجهات نظرهم الخاصة . ونعتقد أن هذه المذكرات لا تخلو من المبالغة احيانا ومن المغالاة في التأكيد على الدور الفردي احيانا اخرى . ويندر أن نجد احدا منهم كتب مذكراته بصيغة موضوعية متجردة . وقد لمسنا من مطالعتنا أن معظمهم لم يتوخ خدمة التاريخ لوجه الحقيقة بقدر ما توخى اظهار نفسه وابراز دوره الايجابي في الاحداث . ومن الواضح أن الصعوبات التي عانيناها في دراستنا قد ازدادت وتفاقمت من جراء ما احاط بالوضع الدولي من احقاد وحساسيات في فترة الحرب انعكست على الادبيات والابحاث التي كتبت حينذاك . وبالاضافة إلى ما تقدم ، ظهرت ارتباكات نشأت عن اضطرار الحركة الوطنية إلى الدخول في تحالفات معيّنة أملتها الظروف الموضوعية آنذلك دفاعاً عن النفس ، وقد استغلّها المعسكر المنتصر في وصف تلك الحركة بالفاشية تارةً والنازية تارةً أخرى وهي منهما براء ، إذ كانت المنطقة العربية في الشرق الأوسط وشمال أفريقية مسرحاً عسكرياً مهماً في الحرب العالمية الثانية لأسباب استراتيجية أهمها وجود منابع النفط وتيسر طرق المواصلات في العراق وفي الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي .

في ضوء ما تقدم كله نلاحظ أن انعكاسات هذه الحرب كانت مباشرة وشاملة على الحركة الوطنية في ارجاء الوطن العربي كافة . وقد ادت المرحلة الاولى من هذه الحرب إلى انتعاش الافكار والنزعات الفاشية ، إلا أنها ساعدت في الوقت نفسه في بلورة الأهداف العامة للنهضة العربية المعاصرة ، وحسمت مستقبل اتجاهات كثيرة في الوطن العربي ، وساهمت في تطوير الوعي القومي وفي القضاء على عصر الامبريالية والاستعمار وبروز عصر الاشتراكية والامم القومية المناضلة الكادحة التي تتطلع إلى نوال حريتها وتقدمها معا في نطاق العصر والعالم الجديدين . ومن هنا اشتدت نزعة المطالبة بالتحرر والاستقلال عند الشعب العربي جنبا إلى جنب مع ازدياد تفتح وعيه القومي . وادرك أن طريق الحرية هي طريق

الوحدة . ولكن النهضة القومية للامة العربية في الفترة بين الحربين ، ولاسباب معقدة واعتبارات عديدة موضوعية وذاتية ، لم تستطع الوصول إلى تقدير صحيح للوضع ولا إلى تصور واضح للمبادىء والاهداف والوسائل ، فاتسمت بالغموض والتردد والتعثر والتخبط والاضطراب والارتباك . وهكذا لم تمتلك القدرة المتكافئة مع حجم المؤامرة التي اعدها التحالف الاستعماري الصهيوني لتحويل الحرب العالمية الثانية من عامل انتصار على العدوان الاستعماري ضد الشعب العربي ، إلى خلق قاعدة استعمارية جديدة تقف في وجه النهضة العربية وتقضي على النتائج الايجابية للمرحلة السابقة ، وتطرح امام العالم كله قضية الفاشية الجديدة التي ولدت من رحم الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية وزرعت في فلسطين .

وقد وقعت الحركة التحررية في الوطن العربي بوجه عام وفي العراق بوجه خاص فريسة للمدرسة الاستعمارية التي رسمت صورة مشوهة وممسوخة للانتفاضات الوطنية باعتبارها مقاومة بدائية وغير متحضرة للمدنية الاوروبية . وتلك هي المهمة التي اخذتها على عاتقها الكتب والدراسات والمصادر البرجوازية في الدوائر الغربية التي انتهجت اسلوب الدس والافتراء والكذب والتضليل والتي سيطرت لفترة طويلة على تفسير معظم الوثائق المهمة المتعلقة بتأريخ الحركة الثورية في الوطن العربي . ولم يشذ عنها إلا القليل النادر الذي لا يقاس به ولا يعول عليه .

ونلاحظ أن المصادر الغربية قد تميزت بالرؤية الاستعمارية للواقع العربي وبالتركيز على وصف الانسان العربي بالاستكانة والخنوع والكسل والتواكل كما لو كانت هذه كلها من خصائصه الاصلية وطباعه الثابتة . ومن هنا وجب على الباحث في هذا المجال أن يكون حذرا ودقيقا وقادرا على التمييز الصحيح بين الخطأ والصواب وبين الغث والسمين .



ونستطيع أن نلخص ما نعنيه بالصعوبات في عبارة وجيزة بالقول :

أن المنهج البرجوازي في كتابة التأريخ كان قد حاول دائما ، ولا يزال يحاول أن يشوش ، عن سابق تصور وتصميم ، على المنهج الاشتراكي في هذا الموضوع . هذا من جهة دراستنا للمصادر البرجوازية . ولكن دراستنا للمصادر السوفيتية لم تخل كذلك من مشاكل وصعوبات ، إلاّ أن القياس بالطبع مع الفارق . ومع أننا قد لاحظنا أن دراسات السوفييت التاريخية وتحليلاتهم العلمية للحركة التحررية العربية وظروفها الذاتية والموضوعية ، قد سلطت الأضواء الجديدة وقدّمت المساهمات القيمة ، إلاّ أننا نميل إلى الاعتقاد بأنها قد انطوت في الوقت نفسه على بعض التقييمات الخاطئة للحركة الوطنية العربية بوجه عام ، وعلى حركة ١٩٤١ التحررية في العراق بوجه خاص ، وعمدت في كثير من الاحيان إلى التشوش المقصود على المنظور القومي .

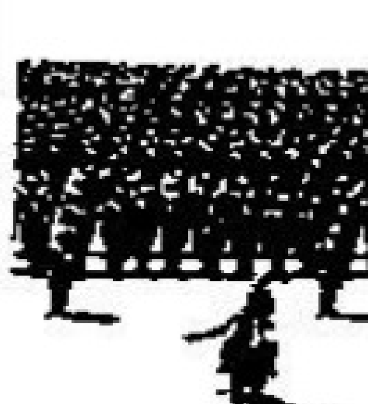
وخلاصة القول ، إن الحركة التحررية في الوطن العربي منذ الثورة العربية الكبرى ، التي اندلعت في العاشر من حزيران ١٩١٦ بقيادة الشريف حسين بن علي أمير مكة المكرمة ، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية في أيار من عام ١٩٤٥ كانت تعاني من الغموض والارتباك الشيء الكثير . وهذا ناتج من ضعف البرجوازية العربية التي أتاحت الفرصة للوصول إلى اجواء ديمقراطية واقامت مؤسسات جماهيرية ادت في النهاية إلى تطوير المفهوم الشعبي للحكم . أما البرجوازية العربية كما ذكرنا فأنها لم تكن من نوع تلك البرجوازيات الاوروبية الغربية ، وإنما كانت كما وصفها مؤخرا بعض المؤلفين الفرنسيين بأنها « برجوازية رثة » انعكست تصرفاتها المترددة ومواقفها المتذبذبة على الثورة التحررية والنهضة القومية في الوطن العربي .



ومن هنا كان رأي الكتاب والمؤرخين الاجانب في حركة التحرر العربية يشوبه الغموض تارة والابتعاد عن الحقائق الجوهرية تارة أخرى . وبقيت الصورة على هذه الشاكلة إلى حين ظهور الاحزاب السياسية الثورية

الجديدة في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية التي ساهمت بدور كبير في تشخيص الخصائص الاساسية والاهتمام بالظاهرات البارزة التي اهملت في المرحلة السابقة قبل الحرب .

وقد كان حزب البعث العربي الاشتراكي الذي دشن مرحلته التأسيسية في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينيات ، من ابرز تلك الاحزاب السياسية التي لعبت دورا قياديا قوميا رائدا ، ولا سيما في ربطه الجدلي بين مقولات الوحدة والحرية والاشتراكية .



الفصل الأول

المقدمات الاجتماعية والسياسية للعراق بين الحربين العالميتين الأولى والثانية

المقدمات الاجتماعية والسياسية
للعراق بين الحربين
العالميتين الأولى والثانية

يعد العراق من دول المشرق العربي . ويحتل المساحة الممتدة بين نهري دجلة والفرات . وقد تعارف الباحثون الغربيون على تسميته قبل تشكيل المملكة العراقية في ٢٣ آب ١٩٢١ ، ببلاد ما بين النهرين . وللعراق حدود مشتركة مع كل من المملكة العربية السعودية والكويت من الجنوب . ويحده من الغرب سوريا والاردن ومن الشمال تركيا ومن الشرق ايران . وتبلغ مساحته ٤٣٨،٤٤٦ كيلومترا مربعا .

كان العراق بلدا زراعيا بطيء التطور . وتعتبر الزراعة الطابع الرئيس للاقتصاد . وقد عمل في الزراعة ، بعد تشكيل الحكم الوطني ، ٨٥ ٪ من السكان . وكان مردودها في الدخل القومي ٢٤ ٪(١) .

وكان الاقطاعيون الكبار يسيطرون على ٧٥ ٪ من الاراضي الصالحة للزراعة ، بينما كانت حصة الملاك الصغار تؤلف ٢٥ ٪ من تلك الاراضي . وشكلت نسبة الاقطاعيين ١ ٪ من عدد السكان . وامتلكت ٧٥٪ من الأراضي المروية(٢) . والواقع ، إن هذه السيطرة الواسعة على الاراضي من جانب قلة من الشيوخ الاقطاعيين قد وفرت لهم امكانات

(١) الجمهورية العراقية : وزارة التخطيط ، كتاب الجيب الاحصائي ، بغداد ١٩٧٢ ، ص ١١ - ٢٣ .

(٢) شاكر خصباك ، محمد المهنا ، فيصل الاطرقجي - جغرافية العراق ، بغداد ١٩٦٠ ، ص ٥٩ .



واسعة وفرصا عريضة لاستغلال الجماهير الفلّاحية ، وتركزت في أيديهم أراض ذات مساحات شاسعة للغاية على الرغم من قلة عددهم . فقد ظهر من الاحصائيات التي نشرت بعد ثورة ١٩٥٨ أن ١٨ مليون دونم من الأراضي المرويّة كانت محتكرة من قبل ٣٦١٩ مالكا للأرض (ملكية خاصة)، في حين امتلك ٢٧٢ شخصا ٦ ملايين دونم ، ووصلت ملكية بعض الشيوخ إلى مليون دونم[٣] .

نستطيع القول ، في ضوء ما تقدم ، إن الطابع المميز للزراعة في العراق في العهد الملكي المباد كان قد تمثل في سيطرة كبار الملّاك على الفلاحين المحرومين من الاراضي ، وهم الذين يؤلفون الاكثرية الساحقة من السكان . فمتى وكيف تكونت تلك الطبقة الاقطاعية في واقع المجتمع العراقي ؟ إن الجواب عن هذا يرتبط بالسياسة التي انتهجتها الحكومة البريطانية في العراق بعد الاحتلال الاول في الحرب العالمية الاولى .

اقتنعت بريطانيا منذ عام ١٩١٧ بأن استمرار سيطرتها على العراق رهن بقدرتها على خلق قوى اجتماعية ثابتة في داخل البلاد تدين لها بالولاء وتستمد منها الدعم والاسناد .

وقد رسخت تلك القناعة البريطانية بشكل خاص بعد الثورة الوطنية الكبرى في العراق سنة ١٩٢٠ ، إذ قفزت علاقاتها بمتنفذي القبائل إلى الاولوية القصوى في مشاغلها ، وحظيت المشكلة الزراعية باهتمامها الكبير . وكان تخطيطها العام منذ البداية يتوخى أن يكون العراق بلدا زراعيا ويقوم وجوده على العلاقات العشائرية الكفيلة بتوطيد سلطتها واستمرار سطوتها اطول مدة ممكنة . وتلك هي فحوى النصيحة التي قدمتها المس بيل ، سكرتيرة الشؤون الشرقية للمفوض السامي البريطاني برسي كوكس ، قائلة :



---

(٣) الجمهورية العراقية، وزارة الاصلاح الزراعي، بغداد ١٩٥٨، ص ٦.

« إذا استطعنا أن نتوصل إلى حل صحيح للمشكلة الزراعية فسيبقى العراق بلدا زراعيا إلى الابد(٤) » .

وقد توخى الانكليز من خلق هذه الفئة الجديدة من الاقطاعيين التي اظهروها إلى الوجود وامدوها بالدعم ، إن تخدمهم بامانة واخلاص . ويمكننا الآن أن نقول بأنهم (أي الانكليز) قد نجحوا في مساعيهم المذكورة إلى حد بعيد في تلك المرحلة . القبائل والتجار والمرابين وكبار الموظفين في الدولة . فكانت نتيجة هذا الاجراء نزع ملكية الافراد البسطاء وجعلهم مزارعين محرومين من ابسط الحقوق يعملون في اراضي الاقطاعيين لقاء جزء بسيط من المحصول لا يكاد يسد الرمق (٥) .

وكان احتلالهم للعراق بعد الدولة العثمانية قد ساعدهم على اتباع هذه السياسة لأن الدولة العثمانية كانت تطبق الشريعة الاسلامية التي لا تعترف بوجود الملكية الخاصة بالاراضي بشكل رسمي ولا سيما في العراق

---

(٤) **The Letters of Gertrude Bell**, London, (Ernest Benn), 1930, pp.390-1.

(٥) التوفسكي، المسألة الزراعية في العراق المعاصر ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥، موسكو، ١٩٦٦، ص ١٨، ومن الجدير بالملاحظة، أن نظام الاقطاع الجديد يختلف اختلافا جذريا عن نظام المشيخة القديم الذي كان سائدا قبل الاحتلال البريطاني. ففي النظام القديم، كان الشيخ لا يمتاز بشيء عن بقية أفراد العشيرة إلا في قدرته على قيادتهم وحنكته في تدبير شؤونهم وتأمين مصالحهم. وكان يقضي عمره بين ظهرانيهم، فلا تفصله عنهم أية حواجز اجتماعية واقتصادية، يشاركهم في السراء والضراء. اما في النظام الجديد، فقد اختلفت علاقات الاقطاعي بالعشيرة عن الشيخ. فمنهم من نقل سكناه إلى المدينة، ومنهم من نقل ما استطاع نقله من أجواء المدينة إلى محل سكناه في الريف. وارتبطت مصالحه ليس بالعشيرة وافرادها بل بالانكليز والأجهزة القمعية التي أوجدوها في مرحلة ما يسمى بالحكم الوطني. ومن هنا، قامت الحواجز النفسية والاقتصادية والاجتماعية بين الاقطاعي الذي وصل إلى موقعه باسم تمثيل العشيرة ثم تسلط عليها وظلمها واستغلها. وفي حين أن ظاهرة الاقطاع نشأت في اوروبا عن طريق التطور الاجتماعي والتقدم الطبيعي، نرى أن الاقطاع في العراق لا يمكن أن يعتبر ظاهرة اجتماعية طبيعية، بل هو ظاهرة شاذة متأخرة نشأت من خيانة وطنية سافرة ارتكبها بعض رؤساء العشائر، وظهرت الى الوجود بفعل الاحتلال البريطاني. راجع في هذا الصدد:

Caractacus, **Revolution in Iraq,** London (Gollancz), 1959, p.38.



وكـذلك في بعض البلدان الاسـلامية إذ أن الـدولـة في الشـرقـين العـربي والاسـلامي كانت هي المـالك الشـرعي الوحيـد لـلارض . ومن اشكـال ومعاني سيادتهـا أن تمتلك كامـل التراب الـوطني . ومقابـل ذلك لا تـوجد ملكية خاصـة بالارض عـلى الرغم من وجـود استغلال لـلارض وممتلكات خاصة أو عامة(٦) .

وقـد راقت هذه السيـاسة لـرؤساء القبـائل لأنها مكنتهم وبمسـاعدة الامبـرياليـين الانكليز من الاحتفـاظ بسلطتهم على القبـائل بـالاضافـة إلى حصولهم على الغنى الفاحش واعطت السيـاسة الانكليـزية السلطة المـطلقة للاقطاعيين في التصرف بحياة القبائل(٧) .

وبفضل هذه السياسة الماكرة اصبح الاقطاع في الوطن العربي حليفـا اجتماعيا وسندا اساسيا للاستعمـار(٨) . ومنذ عـام ١٩١٨ صدر عـدد من القوانين التي وضعت قسما كبيرا من الاراضي الزراعية بـايدي الاقـطاعيين وعائلات المدن الارستقراطية وكبار التجار(٩) .

تلك هي إذن الطبيعة الاجتماعية للفئـات التي تكونت منهـا الطبقـة الاقطاعية الجديدة . وهكذا حلت هذه الطبقة الجديدة من الاقطاعيين محل الـطبقة القـديمـة من الشيـوخ. ثم مـا لبثت أن تضخمت واكتسبت بعض خصـائص الاقـطاع التقليـدي المتـوارث . وتـوسعت اراضي الاقـطاعيـين توسعا متزايدا ولا سيما لدى من اثبت منهم بالتجربة والممارسـة أنه صـديق

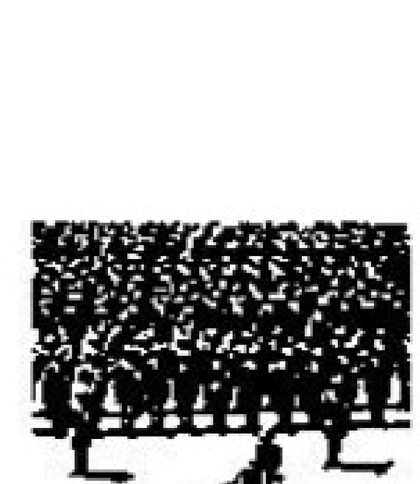
---

(٦) أعمـال كـارل مـاركس ، المجلـد الثـالـث سنـة ١٩٥٠ مـوسكـو ، ص ٨٠٤ ؛ محمـد تـوفيق حسين، نهاية الاقطاع في العـراق، دار العلم للملايـين، بيـروت، سنـة ١٩٥٨، ص ٩٢ - ٩٣.

(٧) Philip Willard Ireland, **Iraq - A Study in Political Development,** London (Jonathan Cape) 1937, p.147.

(٨) نبيه أمين فارس، محمد توفيق حسين ـ الهلال في أزمة ـ صيدا ١٩٥٥، ص ٩٤.

(٩) محمـد تـوفيق حسين ، نهـايـة الاقـطاع في العـراق ، دار العلم للمـلايين ، بيـروت ، ١٩٥٨، ص ١١٣ - ١١٥ و١١٨.



مخلص للانكليز، هذا في الوقت الذي تعرضّ فيه الشيوخ المعارضين للانكليز إلى الظلم والاضطهاد . وقد صودرت بالفعل اراضي بعض الشيوخ الذين شاركوا في ثورة ١٩٢٠[١٠] . وتلك هي الخَلْفية التاريخية التي ادت إلى تكوين مصالح مشتركة ومتبادلة ومتشابكة بين الامبرايالية الانكليزية والطبقة الاقطاعية الجديدة . فمن جهة ، مارس الانكليز سياستهم في العراق بالاعتماد على الاقطاعيين ، ومن جهة اخرى ، استعان الاقطاعيون بالانكليز في الاحتفاظ بسلطتهم على الفلاحين وملكيتهم للارض . وفي ضوء هذا الواقع الموضوعي ، لم توفق الاحزاب التي كانت قائمة في تلك الفترة الزمنية (١٩٢٢ - ١٩٤١)، على اختلاف مراحلها ومناهجها واهدافها ، في ربط شعار تصفية العلاقات الاقطاعية بشعار تصفية السيطرة الانكليزية ، لاسباب ربما تعود في بعض جوانبها إلى تكويناتها الطبقية وتحالفاتها السياسية ، وربما تعود في جوانب اخرى إلى قصور نظرتها وتخلف ايديولوجيتها وضعف تجربتها .

ولكن الواقع العراقي الاجتماعي الاقتصادي لم يبق على بساطته ، بل ازداد تعقيدا بنزول قوى جديدة إلى الميدان الزراعي ، ونعني بذلك الشركات الاجنبية الاحتكارية ، ولا سيما شركات النفط متعددة الجنسية ، التي اولت اهتمامها للاراضي الحكومية والمشاعة . فقد كانت في العراق اراض واسعة وضعت تحت تصرف الشركات النفطية . كما أن الشركات الاجنبية التي ضمت مساهمين من الخبراء والمستشارين الاجانب ، بالاضافة إلى رؤساء القبائل والتجار والوزراء والموظفين الحكوميين الكبار ، كانت تشجع على انتهاج سياسة الزراعة الواسعة بدلا من الزراعة الكثيفة . وقامت بعقد مقاولات مع كبار ملاك الاراضي الزراعية بهدف انتاج محاصيل معينة تدخل كمواد اولية في بعض الصناعات مثل القطن

(١٠) نبيه أمين فارس، محمد توفيق حسين ـ المرجع سالف الذكر، ص ٩٤.

والسمسم[١١] . وكانت الغاية الاساسية المتوخاة من تلك الخطة الاقتصادية ابقاءِ العراق في ظل الهيمنة الاستعمارية بلدا زراعيا منتجا للمواد الاولية التي تحتاج الشركات الاحتكارية إليها من جهة ، وسوقا محليا مستهلكا للبضائع الاجنبية المصنعة من جهة ثانية . وقد ادى تسرب رؤوس الاموال الاجنبية للزراعة العراقية وامتلاك الشركات الامبريالية للاراضي إلى صعوبات اضافية في المشكلة الزراعية اعطتها طابعاً حاداً واستثنائياً . وقد دفع هذا الوضع المعقد الجماهير الفلاحية إلى الارتماء في احضان نظام المحاصة والاستئجار[١٢] .

واكتفى ملّاكو الاراضي أو من يوصفون بارستقراطيي المدن بتأجير الاراضي للفلاحين دون أن يساهموا هم في الزراعة فعلا بانفسهم ، وسكنوا الحواضر والمدن، وعاشوا في ترف بما كانوا يحصلون عليه من بدلات الايجار . وقد شهد النظام الاقطاعي الجديد بعد العشرينيات تطورا مهما . وإذا كان العراق قبل الاحتلال البريطاني في سنة ١٩١٧ بلدا زراعيا ، طابعه العام رعوي معيشي ، فإن تغييرات بارزة قد طرأت على اقتصاده الوطني بعد ثورته الاولى . وظهرت بواكير العلاقات الرأسمالية في الزراعة ظهورا بطيئا وتدريجيا ، اخذ في بادىء الامر شكل تحويل المحاصيل الزراعية الطبيعية إلى بضائع للتبادل ثم للبيع نقدا في السوق المحلية . وقد لعب رأس المال الاجنبي ولا سيما الانكليزي دورا كبيرا في حدوث هذا التطور . وادى التطور المذكور في اعلاه إلى سباق من اجل توسيع الاراضي المزروعة .

كما ازداد بالتالي استغلال الجماهير الفلاحية بازدياد احتياج

---

(١١) عبدالفتاح ابراهيم، على طريق الهند، مطبعة الأهالي، بغداد، سنة ١٩٣٥، ص ١٥١، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٦ .

(١٢) المحاصة بالتأجير: نظام مستمر مع التملك، وهي :
أ ـ تأجير الأرض. ب ـ تأجير المكائن . جـ ـ تأجير الدور. د. ـ تأجير المياه .

الاقطاعيين إلى النقود بعد أن تحولت علاقاتهم الاجتماعية في المدينة إلى حياة ارستقراطية مترفة واصبح الابتزاز هدفهم الوحيد[١٣] . وقد لجأت الامبريالية الانكليزية في تعاملها مع الحكومة العراقية ـ جريا على عادتها ـ إلى استغلال العلاقات القبلية باساليب جديدة ووسائل متعددة ، ولا سيما بعد استيلاء الاقطاعيين على الاراضي الاميرية وما اصاب علاقاتهم مع الفلاحين من تغيير . ذلك أن تلك العلاقات لم تعد ترتكز على عادات قبلية قديمة كما ذكرنا سابقا (العلاقات الأسَرية) ، بل انقلب رؤساء القبائل إلى ملاك كبار واسياد متسلطين على افراد القبيلة البسطاء . وتحول ما كان يحمله الفلاحون فيما مضى من احترام للشيوخ ، تبعا للتقاليد القديمة ، إلى خضوع قهري ناشىء عن الخوف الذي ساورهم من الجهاز الحكومي القمعي والنفوذ الامبريالي البريطاني الموالين تماما للاقطاعيين . ففي عام ١٩٢٢ اصدرت سلطات الانتداب البريطاني قانونا تعسفيا هو (نظام دعاوى العشائر) الذي خولت بموجبه شيوخ القبائل سلطات واسعة على افراد القبيلة . وتجمع معظم سكان القرى والارياف في قبائل مختلفة وصل عددها في الاربعينيات إلى خمسين قبيلة[١٤] .

والواقع ، أن مصائر كل الفلاحين قد وضعت بمقتضى هذا القانون الرجعي بايدي رؤساء القبائل . ولم تعد المنازعات الشخصية والقضايا الجنائية التي تخص القبيلة أو احد افرادها تعرض على المحاكم المدنية أو الاعتيادية ، وإنما على محاكم خاصة بالقبيلة تخضع لامر رئيسها أو ديوانه العشائري . وهكذا فإن رؤساء القبائل اصبحوا قضاة رسميين للفلاحين . وقد بذلت المخططات البريطانية جهدا دائبا منذ البداية في

(١٣) التوفسكي ، مجموعة مقالات باللغة الروسية مترجمة إلى العربية ، عن الاصلاح الزراعي والتحرر الوطني ، موسكو ، سنة ١٩٦٦ ، ص ١٨ .

(١٤) اقطار الشرقين الأدنى والاوسط ، موسكو ١٩٤٤ ، ص ١٠٣ ، دراسة سوفيتية باللغة الروسية صادرة عن معهد الاستشراق .

التأكيد على انقسام العراق إلى فئتين (الحضر والبدو) لكل منهما محاكم مستقلة وقوانين مختلفة . وتوخت أن لا يكون هناك قانون عام واحد للعراقيين جميعا ربما اشعرهم بالمواطنة المشتركة في يوم من الايام . وكان غرضها النهائي من ذلك كله التصدي للوحدة الوطنية والابقاء على التجزئة في العراق(١٥) .

ولعل قدرة الانكليز على استغلال العلائق القديمة في ظروف جديدة ومتغيرة تبدو جلية تماما من دراستنا للقانون الصادر في سنة ١٩٢٢ (نظام دعاوى العشائر) . وعلى الرغم من الغاء هذا القانون الجائر رسميا بعد قيام ثورة تموز ١٩٥٨ ، إلا أن العلاقات التي كان ينظمها على مدى (٣٥) عاما قد خلفت تركة ثقيلة ، واثرت ولا تزال تؤثر حتى الآن إلى حد ما ، في الحياة في الارياف والمدن ، علما أن الحكومات المتعاقبة قد انتهجت سياسة مناهضة للإقطاع بدرجات متفاوتة .

وقد وجدنا من استقرائنا للتاريخ العراقي الحديث في مطلع القرن العشرين ، أن التاريخ المذكور يمكن أن يقسم مجازا إلى مراحل اعتبارية ، وأن كل مرحلة من تلك المراحل قد شهدت عدداً من الاحزاب السياسية ، وأن اهداف وبرامج ومطالب تلك الاحزاب قد اختلفت باختلاف وضعها الطبقي وتكوينها الاجتماعي والاتجاه السائد في المرحلة التي عاشتها . ففي المرحلة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، عرف العراق حزبين سمي احدهما حزب (حرس الاستقلال) السري(١٦) ، وقد تأسس في نهاية شباط ١٩١٩ ، وكان اعضاؤه من المدنيين ، وحزب (العهد) الذي كان

(١٥) نبيه أمين فارس، محمد توفيق حسين، الهلال في أزمة، ص ٩٥.
(١٦) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الرابعة الموسعة، منشورات مطبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٨، ص ٧٨ ـ ٨٣. وطالب مشتاق، أوراق أيامي، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٨، ص ١٠٨ ـ ١٢٢. والدكتور عبدالأمير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق، ١٩٢١ ـ ١٩٣٣، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، سنة ١٩٧٥، ص ٢٨ ـ ٣٠.

اعضاؤه من العسكريين[١٧] . وقد طالب هذان الحزبان بالاستقلال السياسي فقط . وفي المرحلة ١٩٢١ (تسلم فيصل عرش العراق) ـ ١٩٣٢ (دخول العراق عصبة الامم)، تألفت ثلاثة احزاب في عام ١٩٢٢ وهي (الحزب الوطني العراقي) و (جمعية النهضة العراقية) و (الحزب الحر العراقي). وقد اختلفت تلك الاحزاب في الفترة المذكورة في نظرتها إلى طبيعة وصيغة العلاقة الواجب قيامها بين العراق وبريطانيا[١٨] .

وعلى الرغم من ذلك الاختلاف ، فالملاحظ أن القطيعة مع بريطانيا لم تكن موضوعا للبحث بأي شكل من الاشكال . ومن الملاحظ أيضاً ، أن الصراع السياسي بعد أن كان دائرا في المرحلة الاولى بين العراقيين والانكليز ، اصبح في هذه المرحلة دائرا بين عراقيين وعراقيين ، بين عراقيين يطالبون بالارتماء المصيري المطلق في احضان بريطانيا وتقديم مصالحها على مصالح العراق ، وعراقيين يطالبون بالحد الاقصى من العلاقة المتكافئة مع بريطانيا تحفظ مصالحها ومصالح العراق معا .

وفي المرحلة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٦ (انقلاب بكر صدقي) ـ ١٩٤١ (العدوان البريطاني المسلح على العراق)، تألفت (جماعة الاهالي ـ ١٩٣٢). وفي نفس السنة ، ظهرت بواكير النشاط الشيوعي غير المنظم في شكل خلية صغيرة واحدة تشكلت في منطقة الناصرية . وتأسس الحزب المذكور في سنة ١٩٣٤[١٩] . وعقد مؤتمره الاول سنة ١٩٤٤[٢٠] .

---

(١٧) طالب مشتاق، ذكريات سياسية عن طالب باشا النقيب، مجلة (آفاق عربية)، العدد ٥، السنة ٤، (كانون الثاني ١٩٧٩)، ص ٩٥. والدكتور عبدالامير هادي العكام، الحركة الوطنية، المصدر المذكور سابقا، ص ٢٦ ـ ٢٨ .

(١٨) عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، الطبعة الثالثة المنقحة، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٥، ص ٢١٦ ـ ٢٢٢ .

(١٩) سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق، الجزء الأول ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨، بغداد، ص ٥٦ ـ ٥٧ .



(٢٠) اعتبر (فهد) الاجتماع المذكور مؤتمرا في حين أنه الكونفرنس الأول. أما المؤتمر الأول للحزب فقد عقد عام ١٩٤٥ . =

وكان حملة المبادىء الشيوعية ، في الفترة ١٩٣٢ ـ ١٩٤١ ، يعانـون من عزلة خانقة عن الجماهير العربية الـواسعة في العـراق . وتعود اسبـاب تلك العزلة إلى المواقف غير الواضحة أو غير المستساغة التي اتخذهـا هؤلاء في حينه من قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية وقضية المواجهة الجبهوية المباشرة للوجود البريطاني والنفوذ الغربي[٢١] . وتلك هي القضايا الاساسية التي التزمت بها وقـامت عليها الحـركة الـوطنية في العـراق ببعدهـا القومي وافقها التحرري .

بالاضافة إلى ما تقدم ، ابتلى الشيوعيون الاوائل القدماء بالخـلافات الحادة والانشقاقات الداخلية التي حولتهم إلى اجنحة وجيوب متصارعة فيما بينها والتي اضافت إلى ضعفهم ضعفاً وقللت من تأثيـرهـم إلى حد بعيـد . فقد قام مثلا ، شريف الشيخ وزكي خيري بنشر تفاصيل خلافهم مع فهد على الناس ، كـما ظهرت مجموعة (الحقيقـة) التي اصدرت مجلة بـاسمها واتهمت « فهد » بالطفولة اليسارية والممارسة الدكتـاتوريـة . ولو استمـرت الحـال على هـذا المنوال ، لتعـذر انعقاد المؤتمـر الاول ، ولأدى انعقاده إلى مزيد من الانشقاقات . ولكن احتلال بريطانيا للعـراق في حزيـران ١٩٤١ وهجوم هتلر على روسيا بعد هذا الاحتلال ، قد خلقا وضعا دوليا جـديدا انعكس على موقف الشيوعيين في الداخل ، فتعاونوا مـع الحلفاء الغـربيين



= راجع : جريـدة (القاعـدة)، العدد ٣ ـ ١٦ آذار ١٩٤٤، محضر المؤتمر الأول للحـزب في شباط ١٩٤٤، وكراس وثائق الحزب الشيوعي العراقي بعنوان (قضايانا الوطنية)، ص ٤، تقرير فهد إلى المؤتمر الأول عام ١٩٤٤، الفقرة المعنونة (الحالة الدولية). وقـد عقد المؤتمـر المذكور في دار المدعو علي تركي، الذي كان موظفا في سكك حديد الحكومـة العراقيـة، في محلة الشيخ عمر. وحضره (١٩) مندوبا وفي مقدمتهم يوسف سلمان (فهد) وحسين محمـد الشبيبي (صارم) وزكي محمد بسيم (حـازم). ومنهم أيضا طـالب الكلية حسقيل صديق (شجاع) واسطيفان ستراك منكرديج (كاتب أهلي) وكريكور بدروسيان (كامو) الذي يعمل موسيقارا في الملاهي الليلية .

(٢١) الحكم دروزه، الشيـوعيـة المحليـة ومعـركـة العـرب القـوميـة، بيـروت سنـة ١٩٦١، ص ١١٨ ـ ١٢١، ٢٤٥ ـ ٢٤٨، ٢٥٠ ـ ٢٥٢، ٢٥٤ ـ ٢٥٨ .

وفي مقدمتهم بريطانيا . وتطلب ذلك اطلاق سراح جميع الشيوعيين في العراق من السجون .

ومن الصعب على الباحث أن يجد في ادبيات الحزب الشيوعي العراقي في تلك الفترة موقفا ناقدا أو مهاجما للعائلة الهاشمية المالكة(٢٢) .

ومن الانصاف أن نوضح أن الباحث لا يمكن أن يطالب الحزب الشيوعي العراقي باتخاذ موقف آخر غير الموقف الذي اتخذه فعلا بعد الاحداث المار ذكرها ، لأن ارتباطه المطلق والمباشر بالاتحاد السوفيتي قد اصبح من الحقائق والبديهيات التي لا تحتاج إلى دليل أو برهان . ومن هنا نجد أن الحزب المذكور قد ربط الداخل بالخارج ، واتخذ من الخارج مقياسا للداخل ، واخضع مصلحة الداخل إلى مصلحة الخارج .

ونشط حزبان اخران هما حزب الاخاء الوطني الذي الفه (ياسين الهاشمي) في اواخر عام ١٩٣٠ والحزب الوطني العراقي في مرحلته الثانية (٢٣) أي حزب (جعفر أبو التمن) .

وفي هذه المرحلة ، ظهرت بواكير وبدايات وخمائر الاهتمام بالمضمون الاجتماعي والمحتوى الاقتصادي للفكر السياسي . ومن الملفت للنظر في هذه الفترة ، أن معظم برامج الاحزاب السياسية والمنظمات الوطنية قد طالبت بتحديد الاقطاع الكبير وبقانون معتدل للاصلاح الزراعي ، وإن لم تتم تلك المطالبة في صيغة واضحة ودقيقة ، ولكنها على الرغم من ذلك ، تعتبر من الملامح التقدمية في خصائص تلك المرحلة . وهكذا ارتبطت

---

(٢٢) جريدة الشرارة، السنة الأولى، العدد ٨، تموز، ١٩٤١ . للمزيد من التفاصيل والمعلومات راجع : سمير عبدالكريم، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، الجزء الأول (١٩٣٤ - ١٩٥٨) دار المرصاد، سنة ١٩٧٩ ، ص ٣٢ - ٤٦ .



(٢٣) كان الحزب الوطني العراقي قد تألف في ٢ آب ١٩٢٢ فعطله المندوب السامي البريطاني في الخامس والعشرين من ذلك الشهر ولم يكن قد مضى على تأسيسه أكثر من ٢٣ يوما فبقي الحزب معطلا حتى مايس ١٩٢٨ حيث استأنف نشاطه في مرحلته الثانية .

الطبيعة الاجتماعية للمشكلة الـزراعية ارتبـاطا عضـويا وثيقـا مع المـطالبة بالنهضة الاقتصادية العامة في القطر ومع الاصرار على التحـرر من السيطرة الانكليزية الاقتصادية والسياسية .

الوضع الاقتصادي والاجتماعي في العراق قبل الحرب العالمية الثانية

سنقـوم ، انطلاقـا من المنهـج الـذي اعتمـدنـاه في اعـلاه للتحليـل الاجتماعي والتفسير التاريخي ، ببحث الواقع الاقتصادي المتميز للعراق في ظـل نظام مختلط شبـه اقطاعي وشبـه برجـوازي ، وامتداداتـه في التحـول الزراعي ، والنشاط التجاري ، والانتاج الصناعي الضيق المحدود .

وفي ضوء ما تقـدم ، سنفهم البنية الاجتمـاعية والـطبقية للمجتمـع العـراقي ، والادوار التي لعبها والمـواقف التي اتخذهـا السياسيـون والمثقفون والعسكريون من قادة حركة مايس ١٩٤١ .

وسنولي اهتماما خاصـا بالـوضع الاجتمـاعي والسياسي الـذي كان سـائدا في العـراق في الفترة ١٩٣٢ ـ ١٩٤١ (الفتـرة الممتـدة بـين اعـلان الاستقـلال الـزائف بـدخـول العـراق إلى عصبـة الامم ووقـوع العـدوان البريطاني المسلح على العراق) .

وللوصـول إلى تصور واضـح ودقيق لـلاقتصـاد الـوطني العـراقي ، وطـابعـه الـزراعي البـدائي ، وخضـوعـه المـطلق لـلاقتصـاد الامبـريـالي البـريطاني ، علينـا أن نلقي نظرة فـاحصة عـلى الميزان الحقيقي لـلاستيراد والتصدير . فقد افاد الكاتب الاقتصادي العراقي ، سكرتير غرفـة التجارة في بغـداد مير بصـرى ، بأن الاستيـرادات العراقيـة العامـة في نيسان عـام ١٩٤١ م ، أي في عشية الحرب العراقية ـ البـريطانيـة ، كانت تتـألف من الارقـام والبضائـع التاليـة : ٢٥ ٪ الاقمشة والمـلابس والمنسـوجـات عـلى اختلاف انواعها ، ١٥ ٪ المواد الغذائية ، ١٥ ـ ٢٠ ٪ الاخشاب والحديـد والفـولاذ والمعـادن المختلفـة ، ١٧ ـ ٢٢ ٪ الآلات والمكـائن والاجهـزة



والسيارات والطيارات والسفن ومعدات السكك الحديد . أما الاستيرادات الباقية فتتكون من مواد متعددة مختلفة اهمها الاسمنت والنفط والوقود والمنتوجات الكيمياوية الصيدلانية والصابون والثقاب والمطاط والجلود والاحذية والورق والفخار والزجاج وغير ذلك[٢٤] . وقد ارتبط التصدير بالطابع الزراعي للاقتصاد الوطني العراقي . وكانت التمور تحتل مركز الصدارة بين صادرات البلاد . وقد ساهم العراق بثلاثة ارباع الانتاج العالمي من التمور في تلك الفترة .

وكانت التمور تشكل نحو ٣٠ ٪ من مجموع الصادرات العراقية . وكانت بريطانيا والولايات المتحدة هما المستوردتان الاساسيتان للتمور . كما كان العراق يصدر الحبوب « الشعير والقمح والذرة والرز » . وقبيل الحرب ، اصبح القطن مادة مهمة من مواد التصدير العراقي استوردت اليابان معظمه ، إلى جانب الجزء الاكبر من محاصيل بذر الكتان والبذور الدهنية الاخرى .

وقد اختصت المنطقة الشمالية بتصدير الحيوانات الصالحة لحومها للاكل التي لقيت رواجا في الاقطار المجاورة كسورية وفلسطين . وكانت الاصواف والجلود والامعاء تصدر إلى أوروبا والولايات المتحدة الامريكية . وكان العراق يصدر أيضاً منتجات اخرى كالاسماك والبيض والسمن وعرق السوس والثمار والخضر والدقيق والصموغ والتبغ . . . الخ[٢٥] .

وكانت بريطانيا تتبوأ المكان الاول بين الدول التي كانت تتعامل مع العراق سواء من ناحية التصدير أو من ناحية الاستيراد ، إذ انفردت بريطانيا بتجهيز ما يزيد عن ربع الاستيرادات العراقية وابتياع نحو هذه



(٢٤) مير بصري ، مباحث في الاقتصاد العراقي ، بغداد ١٩٤٨ ، ص ١٠٥ ، ومن الجدير بالذكر ان العراق كان يحتل آنذاك المرتبة الثامنة في العالم من حيث استخراج النفط .
(٢٥) المصدر نفسه ص ٩٦ .

النسبة من المنتجات المحلية . وكانت تليها بين الأقطار التي يصدّر العراق إليها الولايات المتحدة والهند وفلسطين وإيران وسورية واليابان[٢٦] .

وكان النفط يحتل مركزا ممتازا في ميزان الاستيراد والتصدير العراقي . وقد ادرجناه في قائمة الصادرات العراقية ، على الرغم من اختلاف الآراء في هذا الموضوع بين القائلين أنه كان ملكا للشركات الاجنبية (البريطانية) والقائلين بأن حصة العراق من عائداته كانت قليلة لا تتجاوز اربعة شلنات ذهبية للطن الواحد ، إلا أننا قد اعتبرناه مادة اساسية من المواد الخام ، لأن حصة العراق من عائداته كانت على قلتها ، تشكل حينذاك نسبة كبيرة من ميزانيته الرسمية العامة . كما انه حدد ، إلى درجة كبيرة ، المكانة التي شغلها العراق في تلك الفترة في النظام الرأسمالي الاقتصادي العالمي .

بدأ اهتمام الدول الامبريالية بالنفط العراقي منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني بالذات . ففي العقد الاخير من القرن المذكور ، تطلعت الولايات المتحدة إلى الحصول على امتيازات في منابع النفط العراقية فقدم إلى الاستانة امير البحر كولبي جستر للتفاوض مع الباب العالي في هذا الصدد[٢٧] . ولم يكد المفاوض الاميركي يشرع في مباحثاته ، حتى وصل إلى الاستانة المبعوث البريطاني والمندوب الالماني للدويتش بانك .

واستمرت المباحثات والمساومات بضع سنوات ، ولم تسفر عن نتائج واضحة حتى اطيح بالسلطان عبد الحميد . وفي **٢٢** تشرين الاول **١٩١٢** وقعت الحكومة التركية الاتفاق القاضي بمنح الامتياز إلى المصرف الوطني التركي بنسبة **٤٥** ٪ والرأسمالي الأرمني كولبنكيان بنسبة **٥** ٪ وكتلتي

---

(٢٦) المصدر نفسه ص ٩٧.

(٢٧) عبدالفتاح ابراهم، على طريق الهند، مطبعة الأهالي، بغداد، سنة **١٩٣٥**، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(شل) الانكليزية و (دويتش بانك) الألمانية بنسبة ٢٥ ٪ لكل منهما ، فتأسست شركة النفط التركية . وقد باع المصرف الوطني التركي حصته من الأسهم في عام ١٩١٤ إلى شركة النفط الانكليزية الفارسية . وبعد الحرب العالمية الاولى تمت اعادة توزيع رساميل شركة النفط التركية بين بريطانيا وحليفاتها، وكانت حصتها ٢٥,٥ ٪ وماتبقى منح للاحتكارات الفرنسية والامريكية . وهكذا اصبحت بريطانيا تمتلك امتياز النفط العراقي برمته . وقد بلغ رأسمال الشركة التي غدت تحمل اسم شركة نفط العراق في بداية الحرب العالمية الثانية ١٤,٥ مليون جنيه[٢٨] . ويتعين القاء نظرة على رسوم المرور (الترانزيت) للوصول إلى صورة كاملة للتجارة العراقية الخارجية ، فقد تراوحت عائدات العراق من هذه الرسوم قبل الحرب العالمية الثانية بين ١٥ إلى ٢٠ ٪ من مجموع تجارة العراق الخارجية ، وقد خمنت ارباحها السنوية من ١٠٠ إلى ٢٠٠ الف دينار[٢٩] .

لقد اكتسب العراق ، بنفطه وموقعه الاستراتيجي ، اهمية متزايدة ، باقتراب مسرح العمليات العسكرية ، بعد امتداده إلى شرق البحر الابيض المتوسط ، متزامنا مع انجاز سكة حديد الموصل ـ تل كوجك التي ربطت العراق بتركيا وبروز دور ميناء البصرة باعتباره حلقة الوصل بين المشرق العربي والهند والشرق الاقصى . وبامكاننا أن نستنتج من الصورة العامة التي رسمناها في اعلاه للعراق في نظام العلاقات الاقتصادية والرأسمالية ، أن اقتصاده كان قبل كل شيء اقتصادا زراعيا بدائيا قائما على تصدير المواد الزراعية الاولية والمواد الغذائية ، وأن زراعته كانت شحيحة الانتاج وقليلة الريع بحيث لم تكن قادرة على تلبية حاجات العراق في منتصف الثلاثينيات . ودفع العراق دفعا حثيثا للدخول اكثر فاكثر في فلك الرأسمالية العالمية التي زعزعت الوسائل التقليدية للانتاج والعلاقات

---

(٢٨) انظر المصدر نفسه، ص ٩٧ .

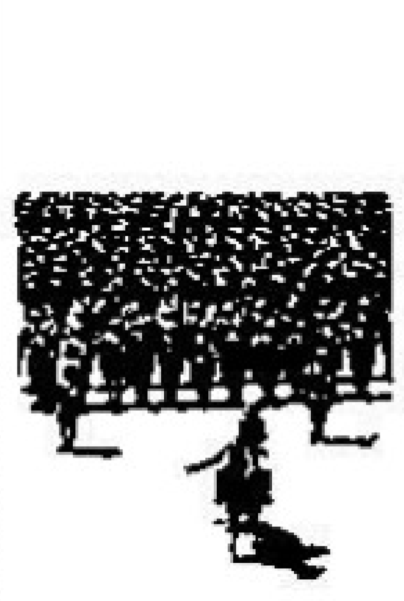
(٢٩) مير بصري، المصدر نفسه، ص ١١١ .

القديمة القائمة في الريف . ولعل العبارة التالية عن النمو الشائك للاقتصاد الروسي قد وصفت هذا الوضع العراقي خير وصف بقولها :

« لقد تزعزع الاقتصاد القديم والبدائي والشبيه بالقنانة ولكن لم تخلق الظروف للبديل الجديد البرجوازي[٣٠] .

وقد نجمت تلك الخصائص التي ذكرناها في الزراعة العراقية عن الظروف الاقتصادية الموضوعية من جهة ، وعن التوجه الرأسمالي للحكومة ودخول الاستثمارات الاجنبية إلى هذا الميدان من جهة اخرى . ولعل اللائحة القانونية التي نوقشت في مجلس الامة في أيار ١٩٤٠ لصيانة الاملاك الزراعية وتحديدها هي اوضح مثال على ما ذكرناه آنفا ، فقد استهدفت تلك اللائحة القانونية غايتين : اولاهما ، صيانة الاملاك الزراعية الصغيرة بوضع حد ادنى يمنع خروجها من يد صاحبها (وقد عين الحد الادنى للارض التي حظر بيعها أو افراغها أو التنازل عنها أو وهبها أو رهنها أو تأمينها بـ ١٢,٥ هتكارا للاراضي التي تسقى سيحا و ٢٥ هتكارا للاراضي التي تسقى ديما ، أو بالواسطة) . وثانيتهما ، تحديد الحد الاعلى لمساحة الملك الزراعي الذي يجوز أن يمتلكه شخص واحد بـ ٢٥٠٠ هتكار للأراضي السيحية و٥٠٠٠ هتكار للأراضي التي تستغل بالسقي والديم[٣١] .

وثمة ملاحظة جوهرية ، لقد ترك مجهولا مصير الاراضي التي كانت مساحتها اقل من الحد الادنى « أي اقل من ١٢,٥ و ٢٥ هتكارا » للمزارع الصغيرة والمتوسطة ، ولم تشملها شروط منع البيع أو الرهن أو الهبة . وبذلك اوجدت الظروف القانونية للابقاء على المزارع الكبرى ولاقامة مزارع اكبر جديدة على اسس رأسمالية . ومن الناحية الفنية ،



(٣٠) لينين ف . أ . ـ المؤلفات ـ الجزء ٢٤ ، ص ١٦٢ .
(٣١) مير بصري ، المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

كانت قد اتخذت الاجراءات الهادفة إلى زيادة مردود وريع الانتاج الزراعي ، وبالذات المحاصيل المخصصة للتصدير . وكان من ابرز تلك الاجراءات تشكيل الغرف الزراعية في معظم الوية العراق . وقد انيطت بهذه الغرف مهمات . منها : تقديم التوصيات والاقتراحات بشأن توسيع المساحات الصالحة للزراعة عن طريق تجفيف المستنقعات ، واجراء عمليات السقي والارواء ، ومنح الجوائز إلى الزراع الذين اصلحوا اجناس الحيوانات الاليفة وانواع الحبوب والنباتات المحلية ، وترغيب الزراع في استعمال الآلات والادوات الزراعية ، وانشاء المزارع التجريبية . . . الخ(٣٢) .

وقد لاحظنا ، من دراستنا للقوانين والاجراءات المذكورة ، وجود توجه مقصود إلى تكريس التبعية الاقتصادية للبلاد بالاعتماد على تشجيع التنمية الاستهلاكية بوجه عام ، والتنمية الزراعية بوجه خاص . أما الانتاج الصناعي في العراق في مرحلة نشوئه قبل الحرب (٣٣) فكان يقتصر على انتاج السجائر وصناعات استهلاكية اخرى مثل الغزل والنسيج والثقاب والصابون وتقطير الكحول وحلج القطن ودباغة الجلود واستخلاص العطور وتجفيف التمور والزبيب والتين .

وكان الانتاج يعتمد على الورش الصغيرة والمعامل البسيطة والحرف اليدوية ذات الانتاجية الواطئة . وكانت هذه المؤسسات ملكا خاصا أما للافراد واما للشركات المساهمة الصغيرة . وكانت قد تأسست ثم صفيت في العراق خلال عقدين من الزمن (١٩٢٠ - ١٩٤٠) ٧٠ شركة مساهمة

---

(٣٢) مير بصري ، المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .

(٣٣) في محاضرة القاها الاستاذ مير بصري من اذاعة بغداد في ٢٨ نيسان ١٩٤٠ . إن العراق بلد زراعي خصب الأراضي واسع كثير المياه وافرها ، وهو لذلك أصلح للزراعة منه للصناعة التي تعوزها المعادن كالحديد والفحم وغيرهما مما لم يظهر وجوده في اعماق الأرض العراقية . مير بصري ، المصدر نفسه ، ص ١٥١ ، ثم يقول في ص ١٥٥ لقد كانت الصناعات العراقية في طور النشوء .

يقال بأن الحد الاقصى لمجموع رؤوس اموالها لم يتعد المليون ونصف المليون دينار[٣٤] . وظهرت بوادر رأسمالية الدولة ، فكان مثلا محلج القطن في العزيزية ومعمل الاسمنت واستخراج الزيوت من المشاريع التي اسسها المصرف الزراعي أو ساهم في اخراجها إلى حيز العمل « بشراء جزء من اسهمها[٣٥] .

وقد بادرت الحكومة إلى اتخاذ بعض الاجراءات الهادفة إلى تشجيع تنمية الصناعة المحلية . فقد صودق على قانون للكمارك كان يهدف إلى تشجيع التنمية الصناعية والزراعية ، عن طريق اعفاء بعض انواع المكائن والآلات من الرسوم الكمركية ، وكذلك ادواتها الاحتياطية ، وتخفيض الرسوم على بعض انواع البضائع الاخرى . وصدر قانون يشجع على اقامة المؤسسات الصناعية . وقد منحت بموجب هذا القانون بعض التسهيلات والقروض إلى الافراد والجماعات لاقامة المصانع ، ولشراء المعدات والمكائن اللازمة لها . وفيما يتعلق الامر بالرأسمال الاجنبي في البلاد فإن الشركات الاجنبية فتحت من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٤٠ في العراق ١٤٠ فرعا . اضف إلى هذا أن ٣٥٠ شركة ومؤسسة كانت قد انشئت في العراق من قبل الاجانب وبصورة رئيسية من الانكليز[٣٦] .

وكان انضمام العراق إلى نظام الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وتحويله إلى مخزن للمحاصيل الزراعية والمواد الخام بالنسبة للبلدان الامبريالية ، بداية تخلخل الاقتصاد التقليدي القديم الذي يعمل لنفسه دون غيره ويعيش مرحلة انتقال أو ما يشبه الانتقال[٣٧] من الاقتصاد العيني والاكتفاء الذاتي إلى الاقتصاد الانتاجي الذي يعتمد على التصدير وتجلى هذا الانتقال



(٣٤) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ، الجزء الرابع . بغداد ، ص ٣٥٧ .

(٣٥) مير بصري ، المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(٣٦) علي الوردي ، المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ٣٥٨ .

(٣٧) لينين ف . أ . ، المؤلفات الكاملة ، الجزء ٤٣ ، ص ١٥٨ .

في حلول نظام الملكية الخاصة (الطابو) محل ملكية القبيلة (العامة) للارض .

واستمرت في الوقت نفسه العلاقات التقليدية القديمة بين الزراع ، كما بقي رؤساء القبائل على وضعهم السابق . وتحول زعماء العشائر إلى ملاك كبار شبه اقطاعيين . وكذلك اشترى وجهاء المدن الاراضي باثمان بخسة من الأفراد الذين كانوا كما يبدو غير متحمسين للاستيطان .

واخذت تتكون في البلاد شيئا فشيئا طبقة ملاك الاراضي الذين كانوا يؤجرون اراضيهم مقابل جزء كبير من المحصول وكانوا يسلمون هذا المحصول إلى التجار لتسويقه إلى المدن الرئيسية في البلاد أو لتصديره إلى خارج البلاد . وتحول البدو إما إلى عمال زراعيين أو هاجروا إلى المدينة بحثا عن عمل . وتدل الارقام التالية على تخلخل النظام الاجتماعي التقليدي القديم (البدو الرحل) . ففي عام ١٨٩٠ كانت نسبة البدو بين سكان العراق ٢٥ ٪ أما في الاعوام ١٩٠٠ - ١٩٣٠ و١٩٤٧ فكانت هذه النسبة ١٧ ٪ و ٨ ٪ و ٥ ٪ على التوالي(٣٨) .

لقد ادى هبوط انتاجية الاراضي الزراعية ونمو سكان الارياف نموا يفوق نمو الانتاج ، إلى هبوط الانتاج للفرد الريفي الواحد من السكان . وقد هبط معدل الانتاج الفردي من ١٠٠٠ كيلو غرام إلى ٥٦٠ كيلو غرام في السنة الواحدة خلال الثلاثينيات من القرن الحالي . كما أدى إلى افقار الفلاحين أولا وإلى تزايد البطالة الزراعية وتعاظم الهجرة من الأرياف إلى المدن ثانيا .

كما ادت هيمنة البضائع الاجنبية المستوردة على السوق إلى هبوط

---

(٣٨) محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، بيروت - صيدا ١٩٥٨، ص ٦٧ و٤٤٢ و٤٤٣ و٤٤٧ .

مستوى الانتاج الحرفي التقليدي وعمليا إلى غيابه . فعلى سبيل المثال كان في بغداد عام ١٨٦٦ حوالي ٣٥٠٠ حائك . أما في عام ١٩٣٤ فلم يبق من هؤلاء سوى ١٢٠ حائكا . ومن جهة اخرى اخذت تتطور تجارة وتصدير المواد الخام مثل كبس التمور وتعليبها وحلج الصوف والقطن . . الخ[٣٩] .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن البرجوازيين في هذه الفترة ، وكذلك العمال الصناعيين المأجورين ، كانوا اقل عددا واضعف تنظيما . وكان الشطر الاعظم من العاملين في التجارة أما من التجار الصغار والمتوسطين والكبار[٤٠] الذين اصبحوا من السماسرة والطفيليين ، أو ممن يعملون في قطاع الخدمات . وكانت التجارة كما قلنا تعتمد على تصدير الخامات الزراعية وعلى استيراد المواد الاستهلاكية ومن بينها الكماليات للارستقراطية « العشائرية والحضرية » .

وقد انعكس ما تقدم على هيكل الايدي العاملة . ففي الزراعة كان يعمل ٥٧ ٪ من مجموع الايدي العاملة في البلاد ، وفي الصناعة ٧,٣ ٪ ، وفي التجارة والخدمات ٣٥,٧ ٪[٤١] . أي أن اكثر من ثلث الايدي العاملة كانت تعمل في القطاع التجاري والخدمات . وليس لدينا في الوقت الحاضر مع الاسف ، احصائيات دقيقة عن الفئات الهامشية في المدن حينذاك . ولكننا نميل إلى الاعتقاد ، في ضوء ما توفر لدينا بالفعل من قرائن كما تقدم ، إن عددها كان كبيرا للغاية . وقد تألفت تلك الفئات من الفقراء ، والعاطلين عن العمل ، وكذلك من ضحايا البطالة المقنعة . ويعود ظهور تلك الفئات إلى جملة من الاسباب اهمها : تزايد عدد

---

(٣٩) نفس المصدر المذكور سابقا .

(٤٠) القسم الأكبر منهم ينتمون الى البرجوازية الكومبرادورية ، التي ترتبط مصالحها بفعل وضعها الطبقي بالدول الامبريالية المستوردة .

(٤١) محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

العاطلين في الريف ونزوحهم إلى المدينة التي عجزت عن استيعابهم انتاجيا ، وافلاس حرفيي المدن وفشلهم في العثور على عمل في الصناعة (بسبب غيابها أو ضيقها) ، وانتفاخ قطاع الخدمات انتفاخا مرضيا شاذا .

ختاما واخيرا ، يحق لنا أن نوجز ما تقدم كما يلي : من الواضح ، في ضوء استعراضنا المقتضب للاقتصاد العراقي قبل الحرب العالمية الثانية ، كان العراق بلداً زراعيا في الدرجة الاولى وكان مصدرا للمواد الخام إلى الدول الامبريالية على وجه العموم ، وإلى بريطانيا بالتحديد وعلى وجه الخصوص . وكانت صناعته ضيقة ومحدودة ، وزراعته بدائية ومتخلفة . وكانت الملكية الكبيرة هي الطابع السائد في الزراعة . كما كانت العلاقات شبه الاقطاعية هي سمتها الغالبة(٤٢) . ثم انتقل العراق انتقالا تدريجيا بطيئا إلى مرحلة مختلفة ، تميزت بنمو الانتاج الصناعي الصغير على المستوى الاستهلاكي ونشوء نظام رأس المال الخاص ، وبداية رأسمالية الدولة ، وهي مرحلة اختلال العلاقات الاجتماعية القديمة ، ودخول العلاقات الاجتماعية الجديدة إلى طور التكوين .

تلك هي الصورة العامة والخلفية التاريخية للبنية الاجتماعية الطبقية في العراق في الفترة التي اعقبت الحرب الاولى وسبقت الحرب العالمية الثانية(٤٣) .

---

(٤٢) الدكتور الياس فرح، الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية، ص ٢٢ .

(٤٣) إذا أردنا أن نتوصل إلى نوع من الحوار الخلاق بين المراحل التاريخية المختلفة في حياة القطر، فينبغي علينا ان نعقد مقارنة وجيزة وسريعة للجوانب الاجتماعية والاقتصادية بين تلك الفترة والمرحلة الراهنة، بعد ثورة الحزب في ١٧ تموز ١٩٦٨ ، في ضوء ما تحقق من تقدم شامل وتطور كبير. وكفانا، على سبيل المثال لا الحصر أن نذكر ارتفاع الدخل القومي والمستوى المعاشي وتحقيق الضمان الصحي والاجتماعي وبناء الاقتصاد الصناعي وتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي والتطور التكنولوجي والاكتفاء الذاتي وتأميم النفط والتعليم المجاني ومحو الأمية الالزامي والاصلاح الزراعي. وهي تشكل بمجموعها ثورة قومية اشتراكية جذرية متكاملة، نقلت المواطن في العراق من عصر قديم إلى عصر جديد، ومن وضع متخلف سابق كان سائدا الى وضع متطور أفضل أصبح واقعا قائما.



الفصل الثاني

الوضع السياسي في العراق منذ ثورة العشرين حتى منتصف الثلاثينات

الوضع السياسي في العراق[١]
منذ ثورة العشرين
حتى منتصف الثلاثينات

مع انتهاء العمليات العسكرية في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، اصبح العراق خاضعا للادارة العسكرية البريطانية المباشرة التي تسلطت على البلاد بدون رحمة[١] وبدأت استغلاله استغلالا اقتصاديا مقيتا .

وقد ادت ظروف داخلية وخارجية إلى تفاقم الازمة السياسية في داخل البلاد وإلى تزايد الشعور الوطني ونمو النضال التحرري ضد المستعمر الغاشم . وسنبحث تلك الظروف لاحقا في سياق بحثنا للحركة الوطنية القومية التحررية في العراق وحركة التحرر الوطني والقومي العربية .

ونكتفي الآن بالاشارة إلى أن هذه الحركة ولا سيما ثورة ١٩٢٠ اجبرت بريطانيا على التحول عن حكم البلاد حكما مباشرا والحاقها بالهند كمستعمرة من مستعمرات التاج إلى حكمها حكما غير مباشر وذلك باختيارها النظام الملكي الذي كان عربيا شكلا وبريطانيا مضمونا ، باعتباره أنسب الصيغ للحفاظ على مصالحها في تلك الفترة (لأن من شأن

(١) ويمكننا ان نذكر المثال الآتي في هذا المجال : في عام ١٩٢٠ كانت الضرائب التي تجنيها الادارة البريطانية من سكان العراق تزيد على الضرائب التي كانت تجنيها تركيا في عام ١٩١١ ثلاثة أمثال ونصف على الرغم من أن عدد سكان العراق لم يرتفع ارتفاعا كبيرا كما لم يطرأ تطور ملموس على اقتصاده الوطني . ويعود السبب إلى عوامل عديدة مختلفة ، منها : انخفاض مستوى المعيشة ومتوسط الدخل العام للفرد وتردي الوضع الصحي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي للمواطن العراقي ، بالاضافة الى ازدياد نسبة الوفيات بين الاطفال .



هـذا الحكم أن يؤدي إلى تجنيب بريـطانيا مـا تتطلبـه المـواجهـة المبـاشـرة للحركة الوطنية من تضحيات جمّة وتكاليف باهظة) .

وربمـا يكون من المستحسن ـ استكمـالا للصورة التـاريخية وايضـاحا للحقيقة الواقعة حينذاك ، وقبل أن نتناول التـطوّر السياسي الـلاحق ـ أن نقـدم لمحة خـاطفة عن الأوضـاع في المدن والأريـاف ، وأدوار الفـلاحـين والعمال والشيوخ والوجهاء في ثورة العشرين ومواقفهم من بريطانيا . فقد لاحظنا أن الجماهير الفلاحية والعشائر العراقية قـد ساهمت مسـاهمة فعـالة وجادة في الحركة الوطنية التحررية ، ولا سيما بعد أن امتنعت بريـطانيا عن تحقيق الاماني الوطنية بقيام دولة عربية مستقلة موحدة بعد الحـرب العالميـة الأولى ، واصرّت على فـرض الاحتلال المبـاشر المقيت ثم النـظام الانتدابي الغاشم . لقد كـان الفلاحـون وابناء العشـائر في الـواقع طليعـة الثورة في ١٩٢٠ ولحمتهـا وسـداهـا ، لأن الثـورة كـانت قـد نشبت بـالفعـل في الارياف ، ولعبت المدن دور القوة الاحتياطية والطاقة الموجهة . ومن هنا ، يمكن أن نقـول أن الطبقـة العاملة ، التي كـانت حديثـة التكوين وصغيـرة الحجم وضعيفـة الاثـر ، لم تلعب إلا دورا ثـانـويـا فقط . ولكن الصـورة انعكست وانقلبت الآية ، في مرحلة لاحقة من التاريخ ، كما وقع في حركة أيار ١٩٤١ مثلا . فقد حدث تبـادل في الأدوار والمواقـع بين الأريـاف التي لعبت دور القوة الاحتياطية والطاقة المساندة ، والمدن التي خاضت المواجهة الجبهوية باعتبارها القوة القائدة والطاقة المحرّكة الأساسية ضـد بريـطانيا .

وإذا تحـدثنا عن الاقـطاعيين والشيـوخ من رؤسـاء القبـائـل ، فـلا ينبغي الوقوع في خطأ التبسيط أو التعميم باعتبارها صنفا واحدا ويمتلكـون موقفـا مشتركا ينسحب عليهم جميعـا . وقد تـراوحت مواقفهم من بـريطانيـا بين العـداء والتعـاون . وفي ضـوء مـا تقـدم ، اختلفت الاسبـاب التي دفعت المعادين منهم إلى اتخاذ موقف العداء من بريطانيـا والانضمام إلى الثـورة . فمنهم من تحرك بفعل العـامل الـديني على اسـاس أن الثورة عـلى الانكليز



تعتبر شكلا من اشكال الجهاد ضد الكفرة . ومنهم من تحرك بدافع الحس الوطني بالاضافة إلى الدافع الديني . ومنهم من كان تحركه يعود إلى الدافعين المذكورين معا ، فضلا عن الخوف من تهمة الجبن التي كانت ربما ستلطخ سمعتهم فيما لو تخلفوا أو انحرفوا عن الاسهام في الحركة ، فيؤدي ذلك إلى خروج الجماهير الفلاحية على طاعتهم وقيادتهم ، وينطبق على وجهاء المدن ما ذكرناه عن خطر التبسيط والتعميم في حديثنا عن الاقطاعيين والشيوخ ورؤساء العشائر . فمنهم من انضم إلى الثورة وكان من قادتها لاسباب وطنية ودينية واجتماعية ، ومنهم من قلب لها ظهر المجن فلمْ يكتف هذا الفريق بالخضوع المطلق للانكليز والتهرب السافر من الاشتراك في الثورة ، والموقف السلبي الظاهر من الحركة الوطنية ، بل نراه يناصبها العداء الصارخ حفاظا على مكاسبه في الوساطة التجارية المرهونة باستمرار السيطرة البريطانية .

في اواخر عام ١٩٢٠ تشكلت اول حكومة عراقية مؤقتة ، وكان يرأسها ممثل الطبقة الدينية التقليدية البغدادية السيد عبد الرحمن النقيب الذي عينه السر برسي كوكس ، المندوب السامي البريطاني . فكان احد اهداف هذه الحكومة اخماد لهيب الانتفاضة الثورية ، وامتصاص نقمة الناس ، وحماية المصالح البريطانية بارخص التكاليف واسهل السبل ، تماما كما توخت سياسة التعريق النسبي للجهاز الاداري للدولة وتنصيب الامير فيصل ملكا على عرش العراق في مرحلة تالية[٢] . وكان فيصل يتعاطف مع آمال الوطنيين وان لم يتعرّض للمصالح الأساسية للانكليز إلاّ بقدر ما سمحت به الفرص والظروف . ومن جهة أخرى كانت بريطانيا ، نتيجة لتجربتها المريرة مع ثورة ١٩٢٠ ، على استعداد لتقديم بعض التنازلات



(٢) الدكتور ل. ن. كوتلوف، تبلور حركة التحرر الوطني في المشرق العربي، باللغة الروسية، موسكو ١٩٧٥، ص ٥١.

التي لا تمسّ مصالحها الحيوية إلى ملك العراق وحكومته[٣] . وللحقيقة نقول أن الملك فيصل كان يطبّق سياسة مرنة تعتمد على المساومة مع بريطانيا (سياسة وصفها بقوله : خذ وطالب) . وكان يعتقد بأن في امكان مثل هذه السياسة أن تؤدي في نهاية المطاف إلى استقلال العراق استقلالا تاما . فانطلق في تلك السياسة من اعتقاده بأنه يستحيل على بريطانيا التي احتلت العراق بعد حرب دامية استمرت اربعة اعوام ، أن تتنازل دفعة واحدة عن مصالحها الاقتصادية والعسكرية والسياسية[٤] .

لقد حلل الاستاذ ساطع الحصري ، الذي كان الشاهد الشخصي المباشر ، سياسة (خذ وطالب) التي انتهجها فيصل ، واعرب عن اعتقاده بأن تلك السياسة كان يمكن أن تصبح سياسة سلبية ضارة لولا حرارة الوطنية الخالصة التي تأججت في قلب صاحبها ، وايمانه الشديد بمستقبل الامة العربية . ومن الملاحظ أن الحصري في تحليله المذكور للسياسة الفيصلية قد ميز تمييزا دقيقا بين نوعين من المرونة : مرونة قد تؤدي إلى الاكتفاء (الاكتفاء بما تم اخذه) وإلى (التقاعس عن طلب المزيد) ، ومرونة اخرى مختلفة تماما ، لا تكتفي بالنزر الذي وصل إلى اليد ، بل تطالب بالاكثر فالاكثر باستمرار ، وتصبوا إلى تحقيق المطالب الوطنية على مستويات اعلى فأعلى ، وتعتبر كل مرحلة مقدمة للمرحلة التي تليها في الطريق إلى الهدف النهائي . واوضح الحصري أيضاً أن اضطرار فيصل إلى الرضوخ للضرورات الخارجية أو الداخلية احيانا ، لم يكن من قبيل القنوط والاستسلام ، بل كان من قبيل التقاط الانفاس واستجماع القوى وانتهاز الفرص السانحة للوثوب إلى مكسب جديد في وقت لاحق مناسب[٥] .

---

(٣) كان فيصل قد احيط علما بأن اختياره لعرش العراق مشروط بتأييده للسياسة البريطانية والحفاظ على مصالحها الاساسية .

(٤) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، دار الطليعة - بيروت ١٩٦٨، الجزء الثاني، ص ٥٢٧ .

(٥) ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، دار العلم للملايين، بيروت، سنة =

ومع ذلك ، ينبغي أن نوضح أن سياسة (خذ وطالب) قد انطلقت من عقلية مهادنة للانكليز ومعترفة بالضعف اصلا . ومن هنا ، كان الجانب الثوري غائبا تماما . ولا ننسى أن فيصلا كان ملكا نصبه الانكليز في ظروف يعرفها الجميع الآن .

كان فيصل يعتقد من ناحية اخرى بأن الانتداب البريطاني قد يوفر شكلا من اشكال الضمانة للوحدة الاقليمية في العراق الضعيف (المؤلف من ثلاث ولايات هي الموصل وبغداد والبصرة) في مواجهة الجيران الاقوى ، وسلاحا لتهدئة الفئات المتصارعة داخل البلاد [٦] .

وكان فيصل يتوخى من ذلك ، ما يمكن أن يسمى ، بسياسة تحقيق الاستقلال تدريجيا ، وثمة ميزة اخرى للسياسة التي انتهجها فيصل في العلاقات مع بريطانية ، وهي انه كان يستعين بالمعارضة للضغط على بريطانيا[٧] . وفي المقابل فإن بريطانيا كانت تعمد إلى اساليبها التخريبية الخاصة للضغط على العراق بتحريك النعرات وتأجيج الاحقاد واشعال

= ١٩٤٨، ص ١٦ ـ ١٧ . أنظر الصيغة الثورية الجديدة والمتطورة للمرونة في مقولة السيد الرئيس المناضل صدام حسين: (ان المرونة في العمل الثوري شيء مطلوب وضروري، على أن تكون المرونة بصيغة تتصل بظروف الهدف الثوري المطلوب تحقيقه . . . لأن هناك فرقا بين المرونة بالمفهوم الثوري، وبين المرونة كنهج ثابت وكجزء من المنهج الليبرالي. فالحركة الثورية تستخدم المرونة في الوقت المناسب، وبالقدر المناسب، وبالاتجاه الذي يحقق لها نتائج حاسمة على طريق الهدف. . . أما المرونة بالمفهوم الليبرالي فإنها تقود إلى التراجعات. . . والثوري يجب أن «لا يستلطف» المرونة «استلطافا» شخصيا وإنما يجب أن يحدد المرحلة والحالة اللتين تستخدم فيهما المرونة لأنها ليست اسلوبه الدائم. . . فالاسلوب الدائم للثوري في النضال هو الاقتحام والتعرض. والمرونة إنما هي صيغة متفرعة عن الأساس، تستخدم وفق الحالات التي أشرنا إليها، وعلى الثوري أن لا يتوهم، فيستبدل الاساس بالفرع. إن المرونة ليست هدفا، وإنما هي وسيلة باتجاه الهدف). راجع: صدام حسين: المرونة في العمل الثوري: أسلوب للتقدم أم طريق للتراجع؟ دار الطليعة، بيروت سنة ١٩٧٨، ص ١٨ ـ ٢٠ .

(٦) الحصري، مذكراتي في العراق، الجزء الثاني، ص ٥٢٨ .

(٧) المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص ٢٥٩ ـ ٥٤٢ .

الفتن . ولعل المعاهدات العراقية ـ البريطانية الاربع ، هي من أفضل الامثلة على جوهر تلك السياسة . وكانت المعاهدة الاولى قد عقدت في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢[٨] على الرغم من انها ابرمت في ١١ حزيران ١٩٢٤ . ولم تتضمن تلك المعاهدة كلمة الوصاية أو عبارة تحت الوصاية . وجاء في ديباجتها أنها قد عقدت على أساس تعاهديّ ، ولكنها في الواقع انطوت على كل حقائق الوصاية وشروطها ما عدا الاسم [٩] . ويكفي أن نورد الفقرة الأولى من المادة الثانية من تلك المعاهدة للتأكد من صحة تبعية العراق لبريطانيا ، وهي كما يلي :

(يتعهد جلالة ملك العراق بأن لا يعين مدّة هذه المعاهدة موظفا ما في العراق من تابعية غير عراقية في الوظائف التي تقتضي ارادة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا) .

وقد الحقت بالمعاهدة اربع اتفاقيات ، تتعلق الاولى بالإمور المالية ، والثانية بالامور العدلية ، والثالثة بالامور العسكرية ، أما الرابعة فتتعلق بالموظفين البريطانيين . وقد قوبلت هذه المعاهدة بمعارضة شديدة من داخل المجلس التأسيسي الذي جمع خصيصا لابرام هذه المعاهدة[١٠] ، ومن خارجه ، وقد تعالت الاصوات بمعارضة المعاهدة والمطالبة برفضها مع الاتفاقيات الملحقة بها .

ولكن الانكليز اصروا على أن يصادق العراق على المعاهدة وملاحقها الاربعة دون تحوير أو تبديل بحجة أن تعديل الاتفاقيات قبل ابرامها

(٨) الدكتور فاروق صالح العمر في كتابه «المعاهدات العراقية ـ البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨»، دار الحرية، بغداد ١٩٧٧، ص ٣١ ـ ٣٧، ٤٢ ـ ٥٧ .

(٩) اسماعيل أحمد ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني، دراسة في الحركة الوطنية العراقية، دار الطليعة، بيروت سنة ١٩٧٤، ص ١٢، «وقال الملك فيصل في لحظة خيبة أمل عن هذه المعاهدة إنها لا يجمعها أي جامع مع ما وعدني به تشرشل».



(١٠) حتمت المادة الثامنة عشرة من المعاهدة ـ موضوعة البحث ـ على أن تعتبر نافذة بعد قبولها من لدن المجلس التأسيسي.

يخالف الاصول المتبعة بين الدول ، ووعدوا « بأن ينظر في التعديلات الممكنة بعد ابرام المعاهدة مع الاتفاقيات »[11] . ثمّ ظهرت قضية ولاية الموصل المبيّتة[12] فاستغلتها بريطانيا كوسيلة للضغط على العراق[13] . وقد عرض الانكيز هذه القضية على الجانب العراقي كما يلي (إن الحكومات البريطانية تبذل جهدا كبيرا لحمل الاتراك على العدول عن مطلبهم هذا ، ومعارضة المجلس التأسيسي في العراق للمعاهدة يحرج موقف البريطانيين وقد يؤدي إلى ضياع ولاية الموصل)[14] . وكان الجانب الانكليزي قد تقدم بانذار إلى الجانب العراقي في حزيران ١٩٢٤ مفاده : إنه إذا لم يجتمع المجلس التأسيسي ويوافق على المعاهدة قبل منتصف ليلة ١٠ - ١١ حزيران فستعتبر الحكومة البريطانية ذلك بمثابة رفض للمعاهدة ، وإنها ستكون حينذاك في حل من جميع تعهداتها السابقة . واستدعى الملك فيصل على الفور رئيس وزرائه جعفر العسكري ، ورئيس المجلس التأسيسي عبد المحسن السعدون ، وزعيم المعارضة ياسين الهاشمي واطلعهم على هذا الانذار ، فاتفق الجميع على خطة للقبول بالمعاهدة بأقلية واضحة تضمن الاصوات اللازمة للنصاب القانوني دون أن تضيع فرصة قد تسنح في المستقبل لتعديلها ، بعد أن اقتنع المعارضون ،

---

(١١) ساطع الحصري، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص ٥٣٣ .

(١٢) الدكتور فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية، المصدر المذكور سابقا، ص ١٤١ - ١٤٦ .

(١٣) التفصيلات الكاملة لهذه القضية في أطروحة الدكتور فاضل حسين «مشكلة الموصل»، بغداد، الطبعة الثالثة ١٩٧٧، ص ٣٣ و٤٥ . وهي تقتصر على الاشارة إلى الأمور الرئيسية للمشكلة فيما يخص العلاقات البريطانية العراقية. وقد كانت لولاية الموصل أهمية استراتيجية كبيرة نظرا لوقوعها على مفترق الطرق التي تربط وسط العراق بسورية وتركيا وإيران وجنوب روسيا السوفيتية فضلا عن أن شمال العراق غني بالنفط وكانت تركيا الكمالية تطالب بهذه الولاية ولكن من جهة أخرى كانت تطالب بها بريطانيا والعراق اللذان كانا ينتميان حينذاك إلى معسكر واحد. أنظر يحيى دلال (العالم العربي بين الحربين)، القاهرة سنة ١٩٦٦، ص ١١٦ .

(١٤) ساطع الحصري - مذكراتي في العراق - الجزء الثاني، ص ٥٣٤ .

أن رفضهم للمعاهدة ، أو مطالبتهم بتعديلها فورا ، سيؤدي إلى ضياع ولاية الموصل . وقد نجحت تلك الخطة الذكية فعلا . وتمت المصادقة على المعاهدة بأكثرية رمزية تمثلت في ٣٧ صوتا واستنكاف ثمانية عن التصويت وتغيب واحد وثلاثين عضوا من اعضاء المجلس التأسيسي البالغ عددهم مئة مندوب(١٥) .

لقد شعر الانكليز بعد اكراههم (وزارة النقيب) على توقيع المعاهدة ، ان العراقيين اخذوا يناصبون تلك الوزارة العداء ، ويزدرون كل من يوالي سياستهم في البلاد . وإنهم مجمعون على جعل الانتخابات للمجلس التأسيسي الذي يجب أن يتولى ابرام هذه المعاهدة بعيدة عن التأثير الحكومي بقدر الامكان ليفوز بها اقوى الرجال واكثرهم وطنية وحماسة ، بحيث أن الانكليز صاروا يشكون في امكان ابرامها من قبل المجلس لهذا ارتأوا عدم التسرع في المصادقة على المعاهدة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى أن مؤتمر لوزان الذي افتتح جلساته في تشرين الثاني ١٩٢٢ كان قد جابه مشكلة من اعقد المشكلات واصعبها حلا تلك هي مشكلة الموصل التي دخلتها القوات البريطانية عسكريا بعد اعلان هدنة موندروس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ م . ولم تدخلها حربا . فإن الاتراك اخذوا يطالبون بضمها إلى جمهوريتهم الجديدة التي أقاموها على انقاض الامبراطورية العثمانية ، والانكليز ينكرون عليهم هذا الطلب . فلما شعرت بريطانيا بأن هذا الخلاف قد يؤدي إلى وقوع مجابهة مسلحة ، وأن القوات التركية غير النظامية اخذت تعكر صفو الامن في جوارها ، ركنت إلى اساليبها الديبلوماسية الماكرة . فوضعت مادة في معاهدة لوزان تقضي باحالة الخلاف إلى عصبة الامم فتتولى حله إذا تعذر على الطرفين الوصول إلى نتيجة مباشرة بينهما . وكانت بريطانيا على علم بما ستقرره



(١٥) عبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، صيدا ١٩٣٧، الجزء الأول، ص ٨٢ ـ ٨٣.

العصبة بالطبع ، لأنها صاحبة النفوذ عليها والكلمة المسموعة فيها .

وكانت وزارة لويد جورج قد سقطت في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ م وخاضت انكلترا معمعة انتخابية اسفرت عن فوز المحافظين ، وتألفت وزارة جديدة .

وكانت الصحف البريطانية قد شنت حملة لجلاء بريطانيا عن العراق تخفيفا للنفقات البريطانية في الشرق الاوسط . فكانت الانتخابات والترشيحات تجري على اساس اغراء الشعب بوجوب الجلاء والتقليص من النفقات .

وفي الوقت نفسه فإن الوزارة الجديدة جوبهت بوصول تقارير من (دار الاعتماد البريطاني في العراق) إلى وزارة المستعمرات في لندن ، وكلها تشير إلى حراجة الموقف في العراق ، وتذمر العراقيين من الهيمنة الأجنبية . فألفت لجنة وزارية لدراسة المشكلة العراقية ، واستدعي المعتمد السامي من العراق ليدلي بآرائه واقتراحاته أمام هذه اللجنة . فسافر سير برسي كوكس إلى لندن في ١٦ كانون الثاني سنة ١٩٢٣ م . وبعد مذاكرات طال أمدها اتضح لدى اللجنة ضرورة تأمين المصالح البريطانية في العراق عن طريق تثبيت الانتداب ، وتمديد مدته وحمل العراقيين على قبوله ، فادعت أن الضرورة تقضي بعدم الجلاء عن العراق ، ما لم يبت في مشكلة الحدود بينه وبين تركيا على اساس رصين ، وبما أن دافع الضريبة البريطاني لا يستطيع أن يستمر في تحمل النفقات ، فإن اللجنة تقترح خفض مدة المعاهدة من عشرين سنة إلى اربع سنوات تبدأ من تاريخ تصديق معاهدة الصلح مع تركيا على أن يبقى باب المفاوضات مفتوحا للمستقبل . وبذلك خففت من شدة الهياج البريطاني ، من جراء النفقات المذكورة ، ومن شدة الهياج العراقي ، من جراء ثقل بنود المعاهدة وطول امدها . حتى إذا قبلها المجلس التأسيسي ، عادت الحكومة

البريطانية فطلبت إلى المجلس النيابي تمديد اجل الانتداب البريطاني لمدة ٢٥ سنة ، متخذة من الخلاف الدولي حول ولاية الموصل سببا مسوغا لهذا الارهاق الجديد .

وهكذا انطلت دخائل السياسة البريطانية على البريطانيين والعراقيين معا . فعاد سير برسي كوكس إلى بغداد في ٣١ آذار سنة ١٩٢٣ م ، يحمل مشروع بروتوكول بالاسس التي تقررت في لندن . وبعد مذاكرة الموضوع مع رئيس الوزارة العراقية ، عبد المحسن السعدون ، اقر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ٣٠ نيسان ١٩٢٣ تلك المعاهدة[١٦] .

وقد اشترط الجانب العراقي على الجانب البريطاني أن يصرح بأن المعاهدة تعتبر لاغية وباطلة إذا لم تحتفظ حكومة بريطانيا بحقوق العراق في ولاية الموصل[١٧] . ومن الواضح الآن أن الجولة الاولى من تلك المساومة التاريخية كانت ملائمة للطرفين . فاحتفظ العراق بوحدة اراضيه من جهة وادخلته بريطانية في فخ التبعية من جهة اخرى . ولكن بريطانية لم تكن مرتاحة من مدة المعاهدة التي كانت مدتها الأصلية عشرين عاما ثم خفضت إلى اربع سنوات تبدأ من تاريخ عقد الصلح مع تركيا كما نصّ بروتوكول ٣٠ نيسان ١٩٢٣ م . على ذلك . ومع أنه قد تمّ عقد معاهدة لوزان للصلح بين تركيا والحلفاء في ٢٤ تموز ١٩٢٣ ، إلّا أن قضية الحدود العراقية ـ التركية بقيت معلقة ، وغدت ورقة بيد بريطانيا للضغط على العراق في لعبة شائكة . ولم تتورع بريطانيا ، التي كانت أكبر دولة امبريالية جينذاك ، عن اقحام عصبة الأمم في تلك اللعبة ، فربطت عصبة الأمم قضية الاعتراف بولاية الموصل كجزء من العراق بتمديد مدة المعاهدة البريطانية لعام ١٩٢٢ إلى ٢٥ سنة تبدأ من ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ . وقد

---

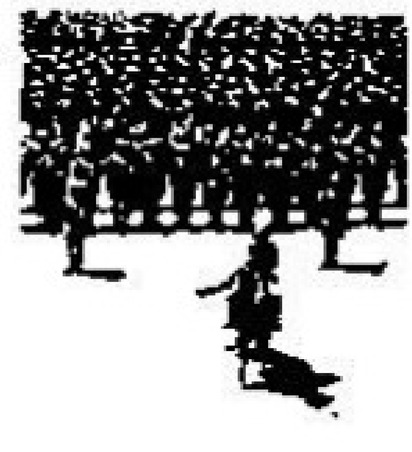
(١٦) راجع السيد عبدالرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، بيروت ـ لبنان، مطبعة دار الكتب ١٩٧٥، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(١٧) ساطع الحصري، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص ٥٣٥ .

كتب الحصري (إن عصبة الامم خيرت الحكومة العراقية بين الموافقة على تمديد المعاهدة أو التنازل عن ولاية الموصل لتركيا)[١٨] . فاختار العراق الحل الأول ووافق على تمديد المعاهدة البريطانية العراقية لعام ١٩٢٢ للمدة المقترحة . ولم يكن امام مجلس الامة إلا أن يقبل هذا التمديد في جلسته المنعقدة في ٢١ - ١ - ١٩٢٦ بأكثرية ٥٨ صوتا ضد ١٨ صوتا للمعارضة وتغيب عن الجلسة عشرة نواب ، وكان عدد اعضاء مجلس النواب يومئذ ٨٨ عضوا ، مفضلاً بذلك اهون الشرين .

لم تغلق ابواب الامل في وجه الملك فيصل لتقصير امد المعاهدة أو تخفيف بنودها ذلك أنَّ مدة الخمس والعشرين سنة كانت مقرونة بعبارة (ما لم يقبل العراق عضوا في عصبة الامم قبل ذلك) . فبرز هدف جديد لسياسة فيصل يقوم على ضرورة الإسراع في الدخول إلى عصبة الامم . لأن انخراط العراق عضوا في عصبة الامم سيؤدي إلى الغاء العلاقات الانتدابية بين بريطانيا والعراق بصورة رسمية ، وهي العلاقات التي تقمصتها المعاهدات العراقية - البريطانية ، ولا سيما أن قضية الموصل قد انتهت وأن مجلس العصبة اعترف بأن ولاية الموصل هي جزء من العراق ، أي أن المعاهدة الاولى قد تحولت في الجولة الثانية إلى ورقة رابحة بيد فيصل . إذ أن مادتها السادسة نصت على أن : -

(جلالة ملك بريطانيا يتعهد بأن يسعى لادخال العراق في عضوية عصبة الامم في اقرب وقت ممكن)[١٩] . وبعد مباحثات طويلة رافقتها ضجة كبيرة تم وضع معاهدة عراقية - بريطانية جديدة في ١٤ كانون ١٩٢٧[٢٠] . وقد اعترفت هذه المعاهدة في مادتها الاولى (بأن العراق دولة



(١٨) ساطع الحصري ، المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٥٣٢ .
(١٩) ساطع الحصري ، المصدر نفسه ، ص ٥٣٩ - ٥٤١ .
(٢٠) الدكتور فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية ، المصدر المذكور سابقا ، ص ١٨٨ - ٢٠٨ .

مستقلة وذات سيادة) وحددت المادة الثامنة منها تاريخ ترشيح العراق لعضوية عصبة الامم بعام ١٩٣٢ ، (على شرط أن يحتفظ بمستوى التقدم الحاضر ، وأن تسير الاوضاع سيرا جيدا في نفس الفترة)، وأن تتحسن العلاقات بين الحكومتين البريطانية والعراقية[٢١] . ولم تقابل هذه المعاهدة برضاء الشعب وظلت الوزارات العراقية تجادل الجانب البريطاني بوجوب تحقيق دخول العراق في عضوية عصبة الامم دون قيد أو شرط حتى اضطرت بريطانيا إلى اصدار بيان ١٤ ايلول ١٩٢٩ القائل بأنها قررت ترشيح العراق لعضوية عصبة الامم في عام ١٩٣٢ دون قيد أو شرط . وفي الوقت نفسه اتخذ قرار بعدم المضي قدما لابرام معاهدة ١٩٢٧ لأن دخول العراق إلى عصبة الأمم سيلغي كل معاهدات التحالف المعقودة بين بريطانية والعراق ، وما يتفرّع عنها من اتفاقات مالية وعسكرية . . . الخ .

وفي ضوء الظروف الجديدة ونمو النقمة على سياسة المعاهدات التي كانت تستبطن روح الانتداب ونصوصه المقيتة عقدت بريطانيا معاهدة اخرى (رابعة) مع العراق في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ جعلتها اساسا للتحالف العراقي البريطاني فكان امدها ٢٥ عاما[٢٢] . وكان من المقرر أن يشرع في

---

(٢١) نعتقد بأن هذا الموقف يرتبط باشتداد التنافس بين الدول الامبريالية في تلك المرحلة وبالاخص بريطانيا والولايات المتحدة التي كان لعابها قد سال حينذاك طمعا في النفط العراقي . وقد قررت بريطانيا أن تقوم بإلغاء الوصاية على العراق واستبدالها بمعاهدة تحفظ امتيازاتها ومصالحها وتقيم علاقات خاصة بينها وبين العراق، بدافع من رغبتها في منع الدول الاعضاء في عصبة الأمم من منافستها، تخلصا من شروط الوصاية التي نصت على اعتماد مبدأ الباب المفتوح والتكافؤ بين تلك الدول في هذا الصدد. وتلك ايضا هي الدوافع التي املت على بريطانيا، في ظروف مستجدة، ان تفرض معاهدة عام ١٩٣٠ الجائرة على العراق. وللاطلاع على المزيد من الحقائق عن المطامع المبكرة للولايات المتحدة في نفط العراق، راجع: يوسف ابراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، الطبعة الأولى، بيروت، مطبعة الفن الحديث، سنة ١٩٣٤، ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢٢) انظر النص الكامل للمعاهدة في كتاب «تاريخ الوزارات العراقية» لعبد الرزاق الحسني، بيروت، مطبعة دار الكتب ـ سنة ١٩٧٤ . وللمزيد من التفاصيل عن المفاوضات راجع: الجزء الثالث من كتاب الحسني، ص ١٨ ـ ٢٢ . والدكتور فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية، المصدر المذكور سابقا، ص ٢٥٤ ـ ٢٨٦ .

تنفيذها بعد دخول العراق إلى عصبة الامم . وفي الثالث من تشرين الاول من عام ١٩٣٢ تم الغاء الانتداب البريطاني على العراق بدخوله عضوا في عصبة الامم واصبح العراق دولة مستقلة . ويكفينا أن نشير هنا إلى أن هذه المعاهدة قد غيرت شكل التبعية العراقية لبريطانيا ولم تلغها . وهكذا يبدو جليا أن استقلال العراق بين الحربين العالميتين كان قد تميز تاريخيا باستمرار السيطرة البريطانية المستترة على مقدراته . وقد احتفظت الامبريالية الانكليزية بحق التوجيه في الحياة الاقتصادية والسياسية للبلاد ، على الرغم من التبدلات التي حدثت في اشكال تلك التبعية كما تقدم . وهكذا نشأ وضع شاذ للغاية ، وصفه كاتب بريطاني منصف وصفا طريفا بقوله : « وما دام أن ملوك العراق وحكوماته لا يخرجون على حدود السياسة الخارجية التي تضعها لهم الحكومة البريطانية ، فلا اشراف هناك ولا تدخل ولا مشاكل ولا اثر لأي نفوذ بريطاني من أي نوع . وسيظل العراق محتفظا بكامل استقلاله ما دام انه لا يريد أن يعمل عملا مستقلا »(٢٣) . وهي مفارقة صارخة تعني بعبارة بسيطة أن العراق يكون مستقلاً ما دام لا يمارس استقلاله فعلا . فإذا حاول أو اقدم على ممارسة حقوقه كدولة مستقلة ، سلطت بريطانيا سيف المعاهدة على رقبته . وكانت الخلافات الاجتماعية والدينية والعشائرية بين طوائف العراق المختلفة من العوامل التي اثرت في الحياة السياسية والاجتماعية وادت إلى استمرار التوتر في الحياة السياسية الداخلية خلال الفترة بين الحربين(٢٤) .

---

(٢٣) Ionidis, Michael, **Divide and Lose: The Arab Revolt of 1955- 1958,** London (Geoffry Bles) 1960, p.25.

(٢٤) راجع نص مذكرة الملك فيصل عن هذه المشاكل التي عاناها في تأسيس الدولة في كتاب ناجي شوكة، سيرة وذكريات، مطبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٧، ص ٦٢٢ - ٦٣١. وفي عبدالرزاق الحسني «تاريخ الوزارات العراقية» الجزء الثالث، ص ٣١٦، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٧٨.

ومعلوم أن سكـان العراق يتـألفـون من العـرب والاكـراد والفـرس والتركمان ومن الاشوريين واليـزيديـين والصابئـة واليهود ، ولكن اغلبيتهم السـاحقة كـانت ـ وماتـزال ـ من العـرب ، في حـين أن الاكـراد يشكلون ١٧ ٪ فهم الاقليـة القوميـة الاكثر عـددا وقد تمـركـزت تلك الاقليـات في مناطق معينة من البلاد . فمنهم من يسكن المناطق الجنـوبية من العـراق ، ومنهم من يتمركز في المناطق الوسطى والشمالية ، ومنهم من يقطن الشريط الجبلي في الشمال الشـرقي ، وآخرون في المنـاطق المجاورة لهـا ، ومنهم من يسكن النجف وكربلاء وسامراء . أمـا اليهود والمسيحيـون فكانـوا يؤلفون أقلية صغيرة من سكـان المدن الـرئيسية : بغـداد والموصـل والبصرة . أمـا الاشوريون الـذين جاء بهم الانكليـز إلى العراق في اعقاب الحرب العـالمية الاولى بعـد تعرضهم إلى مـذابح رهيبـة في الاناضـول والـذين يتحـدثـون باللهجات الارامية الحديثة ويدينون بالمسيحية ، فكانوا يتمركزون في منطقة الحدود الشمالية في ضواحي الموصل والعمادية ، وفي مـدن هذه المنـطقة . وما تزال هناك مجموعة صغيرة من اليزيدية يقطنـون في مناطق شمـال غربي الموصل (في سنجار والشيخان) وعلى الحدود السورية .

ولعل هذه الظاهرة ، المتعلقة بالتـوزيع الجغـرافي للشعب العراقي ، كانت السبب الاساس الذي استعملته بريطانيـا في تأجيـج نيران الاحقـاد والخلافات . وتلك هي احدى المناورات التي ورثتهـا بريـطانيا عن الـدولة العثمانية الزائلة ، ومـارستها بهمة ونشاط منـذ ذلك الحـين للسبب المذكور اعـلاه . فهما لم يختلفـا في مطامعهـما واهدافهـما ، وإن اختلفا في اسـاليبهما وصيغهما . ثم كانت هناك مشكلة اخرى هي مشكلة العلاقات السلبية بين العرب والاكراد معا من جهة والاشوريين من جهة اخرى . فعلى الرغم من أن الاشوريين يؤلفون اقلية ضئيلة العدد للغاية ، إلا أن ظروفـا خاصـة ، لعل من ابرزها وقوف بريطانيـا إلى جانبهم مـاديا ومعنـويا ، قـد ادت إلى ازدياد حدة هذا النزاع . فقد كان معظم الاشوريين قد هاجروا من منـاطق



الحدود التركية إلى العراق هربا من ملاحقة الاتراك لهم لوقوفهم مع الحلفاء في الحرب العالمية الاولى ضد الامبراطورية العثمانية .

وبما أنهم كانوا من النساطرة المسيحيين فقد نالوا مساندة الكنيسة الانكليكانية واستغلتهم الادارة البريطانية بمثابة شرطة درك . وقدمت الوحدات الخاصة (الليفي) التي شكلت من الاشوريين خدمات جليلة لبريطانيا ابان الانتفاضة الوطنية التحررية في العراق عام ١٩٢٠ وفي انتفاضة ١٩٤١ التحررية . ومن هنا تولد الصراع الاشوري العربي من جهة والصراع الاشوري الكردي من جهة اخرى . وكانت تقع احيانا معارك دموية بين العرب والاكراد معا من جهة والاشوريين الذين واصلوا خدمتهم للانجليز من جهة اخرى .

ففي عام ١٩٢٣ في الموصل مثلا ، وفي عام ١٩٢٤ في كركوك أيضاً ، حدثت بعض الصراعات بين الطرفين اسفرت عن وقوع عدد من القتلى والجرحى . وكان الاشوريون بزعامة البطريك مار شمعون يطالبون بالحقوق الذاتية اعتمادا على نظام القوميات التركي . وقد بلغ النزاع ذروته بعد حصول العراق على استقلاله الزائف في عام ١٩٣٢ . وقد قلب الانجليز ـ على عادتهم ـ ظهر المجن للاشوريين حلفائهم السابقين . فحلت التشكيلات الاشورية وشعر الاشوريون بأنهم فقدوا الحماية البريطانية .

وعبر قسم منهم الحدود العراقية إلى الاراضي السورية بحثا عن دعم من الفرنسيين وعندما حاولوا في آب من عام ١٩٣٣ العودة إلى العراق بأسلحتهم وقعت اشتباكات دموية بينهم وبين بعض القوات العراقية المرابطة على الحدود استغلها الفريق بكر صدقي قائد المنطقة الشمالية انذاك لتصفية المشكلة الاشورية نهائيا . فدمر في تلك الحملة عددا من القرى وقتل بضع مئات منهم انتقاما لاعتدائهم على وحدات الجيش وتمثيلهم بجثث قتلاه تمثيلا تأباه الانسانية . وقد جرت في عصبة الامم



مناقشة حادة للوضع وقدمت اقتراحات باسكان جميع الاشوريين في خارج العراق . وبعد مرور بضع سنوات هدأت الاعصاب وضعفت الحزازات وخفت الضغائن وعادت المياه إلى مجاريها الطبيعية(٢٥) .

ولنلق الآن نظرة على الخلافات الدينية والطائفية ، بعد أن اشرنا إلى المشكلات الاخرى التي عاناها العراق في مطلع عهده بالاستقلال الزائف . فقد وجدت جاليات مسيحية ويهودية قطنت المدن ، وعاملتها الدولة العثمانية معاملة الرعايا لا المواطنين باعتبارها من الملل الدينية غير المسلمة . وعن تلك الدولة الزائلة ورث العراق ، في جملة ما ورثه حينذاك ، خلافات دينية وطائفية . ويبدو في اعتقادنا المدروس واجتهادنا المتواضع أن الخلافات الطائفية كانت ابرز دورا واكثر الحاحا من الخلافات الدينية . ومن الواضح أن انقسام المسلمين من عرب العراق إلى سنة وشيعة على الرغم من كونهم اخوة في الدين الواحد كان أوخم اثرا وافدح ضررا من انقسامها إلى مسلمين ومسيحيين ويهود على الرغم من كونهم اخوة في الوطن الواحد . غير أنهم سرعان ما يتناسون هذا الانقسام المذهبي في غضون الأزمات والمواقف الوطنية وعندما يستقطب الصراع ضدّ المستعمر والمحتل . فقد حاول الانجليز ابان ثورة ١٩٢٠ استغلال انقسام مسلمي العراق إلى سنة وشيعة لكنهم منوا بفشل ذريع . فلقد وثب

---

(٢٥) للاطلاع على المزيد من التفاصيل والمعلومات عن القضية الآثورية في تلك الفترة، راجع : البحث الذي نشره الدكتور خلدون ساطع الحصري باللغة الانكليزية، في عددين من مجلة **International Journal of Middle East Studies** المختصة بشؤون الشرق الأوسط في لندن، سنة ١٩٧٤، المجلد رقم ٥، ص ١٦١ - ١٧٦ و٣٣٤ - ٣٦٠ على التوالي، وفي المجلد الثالث، ص ٢٥٥ - ٣٠٧، من تاريخ الوزارات العراقية - الطبعة الخامسة، بحث مطول عن الاقلية الأشورية وما قامت به من تجاوزات وما تعرضت له من ازعاجات. وعلى كل يعيش النساطرة الآثوريون اليوم في كنف الجمهورية العراقية عيشة هادئة آمنة مطمئنة ويشاطرون بقية العراقيين في وظائف الدولة ومنشآتها ولا سيما المصرفية والحسابية وينصرف الزراع منهم إلى حرث الأرض واستغلالها دون مضايقة أو منازعة شأنهم في ذلك شأن بقية العراقيين الآمنين على أموالهم وارواحهم وما يملكون من ماشية .





الملك فيصل الأول عند قدومه الى العراق عام ١٩٢١.

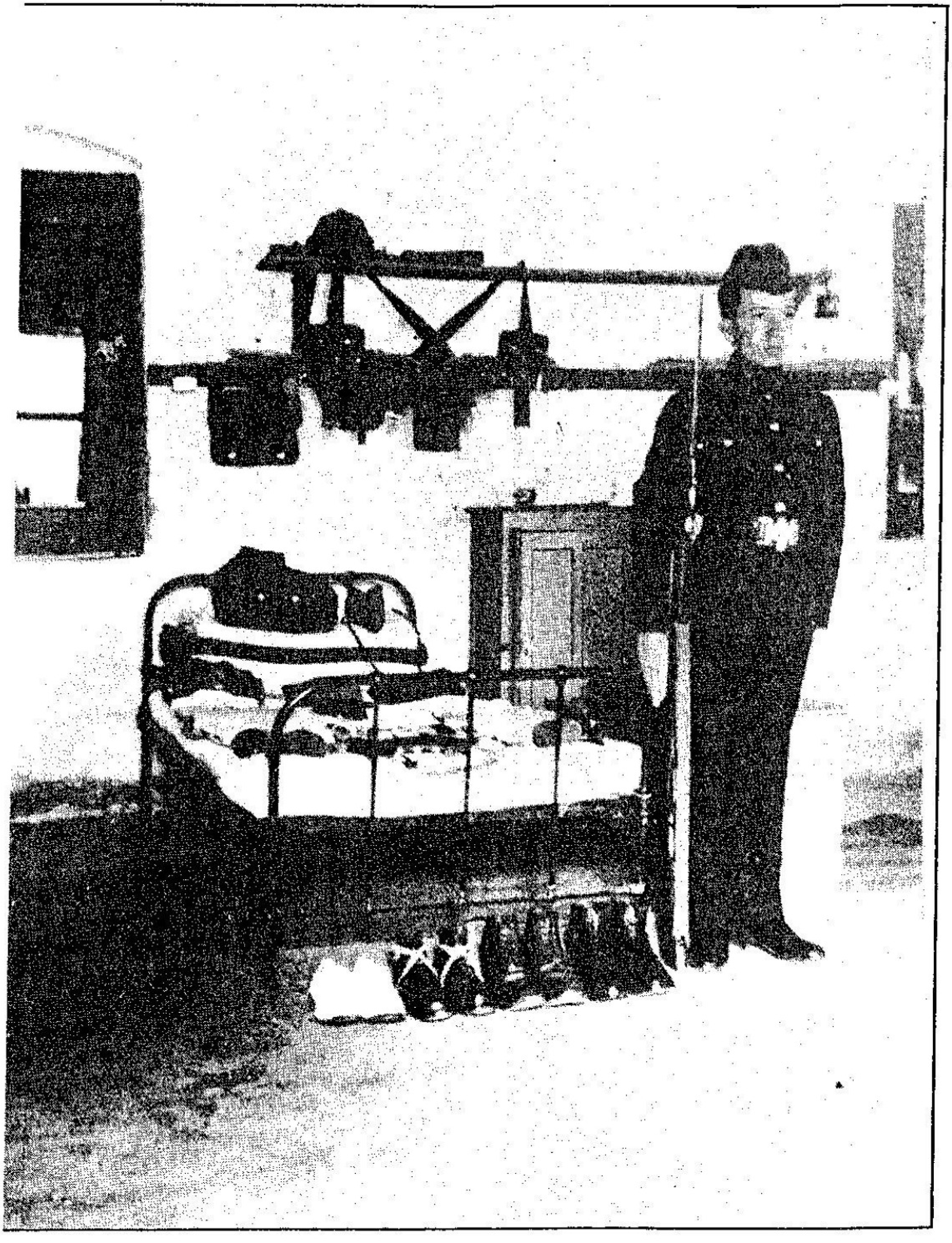


الملك فيصل الأوّل يسلّم العلم العراقي.



الملك فيصل الأول مع أبنائه في العراق.





الملك غازي في الكلية العسكرية يؤدي احدى الواجبات



السيد نوري السعيد.



الملك فيصل الثاني والأمير عبد الاله ونوري السعيد في احتفال رسمي.

الشعب العراقي وثبة رجل واحد في وجه السيطرة الاجنبية . ويروي السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه (الثورة العراقية الكبرى) ما معناه : إن اعضاء جمعية حرس الاستقلال السرية كانوا يقيمون مواليد نبوية اسبوعية في اهم مساجد المسلمين في بغداد والاعظمية والكاظمية من غير تفريق بين المساجد الشيعية والسنية حيث تتلى المنقبة النبوية الشريفة على عادة اهل السنة وتختم بطرف من جهاد الحسين بن علي على عادة الشيعة . وقد كان ذلك سببا مباشرا للتقارب بين المسلمين في العراق .

وقد استغل المفكرون السياسيون هذه القوة الكامنة وراحوا يدعمونها ويستعينون بها في القضايا الوطنية الكبرى(٢٦) .

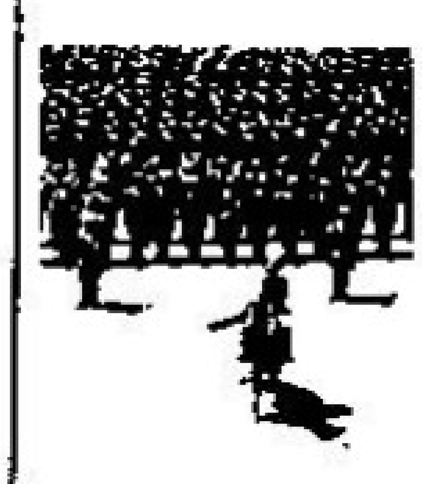
ومن الملاحظ أن تتويج فيصل الأول ملكاً على العراق واعلان الاستقلال الزائف للبلاد قد دشنا انعطافا تاريخيا وادخلا تغييرا جديدا ، في العلاقات الخاصة بين بريطانيا والعراق . فاختفى الاشراف الاستعماري المباشر ، واستبدل باشراف غير مباشر(٢٧) وقررت بريطانيا أن تعمل مع الملوك والاقطاعيين وأن تحكم البلاد بواسطتهم بدلا من ازاحتهم واللجوء إلى الحكم المباشر(٢٨) . « وكانت للملوك والأمراء قصورهم وبلاطاتهم ، كما كانت لرؤساء الوزارات مكاتبهم ودوائرهم . لكن الرأس ، هو الممثل البريطاني ، الذي يضع لوحة نحاسية في باب دائرته . . . وعندما كانت السلطة المكشوفة . . قائمة . . كان في وسع المعارضة أن تمضي إلى باب بريطانيا الأمامي الذي يمثل بريطانيا على لوحته النحاسية ، ويضع جنود

---

(٢٦) عبدالرزاق الحسني في «الثورة العراقية الكبرى»، الطبعة الموسعة، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، سنة ١٩٧٢، ص ٦١ و٦٤ - ٦٥. والدكتور علي الوزدي في «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث»، الجزء الخامس، القسم الأول، حول ثورة العشرين، مطبعة المعارف، بغداد، سنة ١٩٧٧، ص ١٨٩ و١٩١. وطالب مشتاق في (أوراق أيامي)، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٨، ص ٨٢ - ٨٣.

(٢٧) Ionidis المصدر المذكور سابقا، ص ١٢.

(٢٨) المصدر السابق، ص ٢٠.



بريطانيا في مداخله . . وكان على بريطانيا أن تواجه المعارضة الشعبية مباشرة »(٢٩) أما الآن فقد تبدل الوضع تمام التبدل ، إذ انتقلت اللوحة النحاسية إلى أبواب القصور الملكية ، ووقفت القوات العسكرية في مداخلها . أما البريطانيون فيقبعون بعيدا في المؤخرة . . . وغدا ملوك العرب ورؤساء وزاراتهم ، أمام العرب حرّاسا تعينهم بريطانيا . . . »(٣٠) للمحافظة على مصالحها وامتيازتها .

وقد ازداد الوضع السياسي في العراق تعقيدا ، لأن معظم سكان البلاد كانوا مرتبطين بالانماط التقليدية للحياة الاقتصادية والاجتماعية . وقد ورد ذكر ما تقدم في صورة وافية ودقيقة رسمها الباحث السوفيتي الدكتور كوتلوف في كتابه عن تبلور حركة التحرر الوطني في المشرق العربي ، إذ أفاد أن نشوء العلاقات الرأسمالية الجديدة ، والتعمير المزعوم للبلاد العربية من قبل الغرب قد نُفّذا على حساب جماهير الكادحين ، ووصف تردّي الأوضاع الاقتصادية ، وتمتع الزعماء العشائريين بنفوذ واسع وكبير على فكر السواد الأعظم واتجاههم ، وأشار إلى أن مجالات اهتمام الجزء الأكبر من الناس قد تحددت في اطار القبيلة أو الجماعة الريفية أو الحيّ في المدينة(٣١) .

وقد كان الولاء القبلي قويا للغاية بين قسم كبير من سكان المدن الذين لم تنقطع صلاتهم بعشائرهم في القرى والأرياف(٣٢) .

كان المجتمع العشائري مجتمعا تسوده التقاليد الموروثة من الماضي ؛

---

(٢٩) المصدر السابق، ص ٢٢ و٣٠.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٠ و٣٨.

(٣١) ل . ن. كوتلوف، تبلور حركة التحرر الوطني في المشرق العربي، باللغة الروسية، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

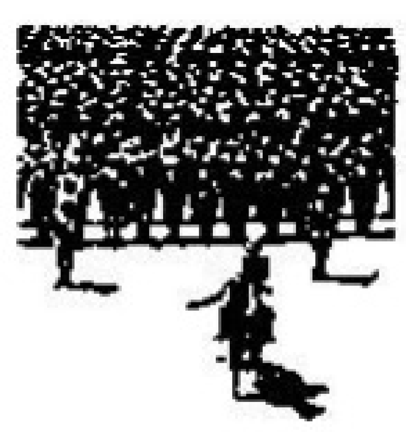
(٣٢) علي الوردي، «لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث»، الجزء الرابع، بغداد ١٩٧٤، ص ٤٠٢ .



ومن بين هذه التقاليد والقيم الموروثة ما يتعلق بالخلافات القبلية والسرقات والغـزو والثأر من جهـة ، ومن جهة اخـرى بالضيـافـة والفخـر والاعتـزاز بالنفس والكرم وحماية الدخيل . ولعل الموقف السلبي للقبائل ازاء السلطة بعد الحرب العـالمية الاولى كـان من ابرز تلك التقـاليد . وقـد استخدمت السلطة احـدث منجزات الفن العسكـري للقمع والارهـاب . ولكن هذه الاجـراءات لم تعد دائـما بالنتـائج المـرجوة . وكـان البدو عنـد اقل فـرصة يحتكمـون إلى السلاح ويفضـون النزاعـات فيما بينهم بـالقوة ويعمـدون إلى استغلال أي ظرف غير اعتيادي فيقومون بمهاجمة القرى وضواحي المـدن ، ويقطعون الـطرق ، وينهبون القـوافل . ولقـد تسبب هذا الـوضع في خلق صعوبات جمة للسلطة المركزية .

اضف إلى ذلـك أن وجود القبـائل الـرحل كـان يولـد تعقيـدات في العـلاقات مـع الدول المجـاورة وبصورة خـاصـة مـع العـربيـة السعـوديـة وسورية ، إذ كـان البدو يعبـرون حدودهـا بصورة مستمـرة بحثا عن المـاء والكلأ .

وقد عجزت البرلمانات والاحزاب السياسية والجمعيات والنوادي عن خلق معـارضة حقيقيـة وفعالـة في المجلس النيابي أو في الصحـافة . ولهـذا برزت ظاهرة جديدة في الحياة السيـاسية العـراقية في وسط الثـلاثينيات من هـذا القرن ـ ولا سيـما بعد رحيـل الملك فيصل الاول إلى دار البقـاء في ٨ أيلول سنة ١٩٣٣ ـ فاخذت المعارضة تلجأ إلى القبائل بهـدف الضغط على الوزارات واسقاطها . كما حدث ، على سبيل المثال ، مع وزارة علي جـودة الايـوبي (آب ١٩٣٤ ـ شباط ١٩٣٥) ومـع وزارة جميل المـدفعي الثـالثـة (آذار ١٩٣٥) . وقد وجدنا تفسيرا واضحا للعجز الذي اصاب البرلمانات ومنعها عن القيام بمهامها الحقيقيـة في تلك الفترة ، في العبـارة التي افادهـا الكاتب البريطاني مايكل آيونيدس في كتابه « فرق ، تخسر » كما يلي بالحرف الواحد : « فهذه البرلمانات « المعينة » في البلاد العربية ، كانت تتألف طبعا



من العناصر المحافظة من أرباب المال والأملاك ومن حملة الآراء المعتدلة جدا الذين يمكن أن يوكل إليهم أمر تأييد سياسات العهد القائم . ولا ينتظر من مثل هؤلاء الناس أن يكونوا ميالين إلى القيام بأية اصلاحات أو تبنيها »[٣٣] . وقد ادت العلاقات الخاصة التي قامت في تلك الفترة بين بريطانيا وصنائعها المحليين في بلد مثل العراق ، إلى ظهور برلمانات تعارض الاصلاح بالضرورة . علما بأن بريطانيا كانت تتبجح في الفترة نفسها ببرلمانها الأمّ ، وديمقراطيتها العريقة ، وأياديها البيضاء على الأمم الاخرى التي ساعدتها في تأسيس برلماناتها المختلفة .

ولا يجوز أن ننسى في هذا المجال أن القبائل والأقليات كانت تثور لأسباب ذاتية في حركات عفوية دون أن تكون مدفوعة من قبل المعارضة « الامر الذي كان يترك الباب مفتوحا أمام امكان استغلال هذه الثورات من قبل مختلف القوى السياسية لأغراضها الخاصة ».

فعلى سبيل المثال : في عهد ياسين الهاشمي الذي خلف رئاسة جميل المدفعي في ١٧ آذار وامتد حكمه إلى ٢٩ تشرين أول من العام التالي ، أي في الفترة السابقة على انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، اخمدت السلطات المركزية سبع انتفاضات قبلية كبيرة قام بها الفلاحون . كانت الاولى في الرميثة في اوائل ايار ١٩٣٥ . والثانية في جنوبي الفرات أي في سوق الشيوخ والناصرية في منتصف ايار المذكور أيضاً . والثالثة في منطقة بارزان في لواء الموصل في آب ١٩٣٥ . ثم تمرد اليزيدية ضد التجنيد في أوائل تشرين الأول ١٩٣٥ . وقبيل ذلك انتفاضة العشائر في « المدينة » ـ بالتصغير ـ بلواء البصرة في أيلول ١٩٣٥ . والأهم في ذلك كله الانتفاضة الثانية في الرميثة في ربيع ١٩٣٦ (٢١ نيسان) وانتفاضة الديوانية في صيف ١٩٣٦ . وكانت معظم هذه الانتفاضات فلاحية أو فلاحية بدوية

---

(٣٣) Ionidis، المصدر سالف الذكر، ص ٣١ ـ ٣٢ .

تدل على تصاعد النضـال ضد الاقطاع على الرغم من أن اسبابها المبـاشرة كانت ذات طابع مختلف تماما(٣٤) .

وكـان التوازن بـين القوى السيـاسية في العـراق يخضع لنفـوذ الملك فيصـل الاول وهيمنة مجلس الامـة فضلا عن مـواقف وتوجيهـات المعتمـد السامي . فكانت المعارضة ـ مهما قست في اساليبها ـ لا تتجاوز الشكليات في الصحف تارة وتحت قبة البرلمان تارة اخرى .

فلما انتقل الملك إلى جوار ربـه في ٨ ايلول من عام ١٩٣٣ ، اختـل هذا التوازن وأخـذ السياسيـون يمزجـون بين مصـالحهم الخاصـة ومصالـح البلاد العامة . فظهرت التكتلات غير المشروعة ، واستساغ هؤلاء التوسل بالقبائل تارة وبـالجيش طورا لتحقيق أحـلامهم . فأصبـح رؤساء القبـائل يحسبـون لمقامهم حسـابا خـاصا . وأصبـح الجيش يـرى في نفسـه القـدرة الفعالة على كل شيء . ويمكن أن نعدد ونستعرض تلك المواقف الفلاّحيـة البدوية المعارضة للحكومة كما يلي :

١ ـ فحـركة خـوّام التي بدأت في ٧ مـايس ١٩٣٥ (ونعني بها ثـورة الرميثة الأولى) وإن كانت في ظاهـرها احتجـاجا عـلى اعتقال الشيـخ أحمد أسـد ، وكيل العلماء في الـرميثة ، فـإن رئيس أركـان الجيش وقتئـذ ، طـه الهاشمي ، يقول في مـذكراتـه : « وفي مثل هـذا الموقف الحـرج قبض على شخص يحمـل كتاب تـوصية من المـدفعي . . . لتحريض القبـائل وحثهم على الثورة »(٣٥) . أي أن الحـركة بـدأت على اسـاس حزبي صـريح كـان للسلطة الدينية اثرها الفعال في اذكائها .

٢ ـ أمـا ثورة سـوق الشيوخ (٩ مـايس ١٩٣٥) فقـد قـامت عـلى اسـاس (السركلة) والافكـار (المتطرفـة) السيـاسيـة التي كـان المعلمـون

---

(٣٤) علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .
(٣٥) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٤٢٨ .

يـروجونها . فـإن الانجليز لما احتلوا (سوق الشيـوخ) في ٦ تمـوز ١٩١٥ خلقوا واجهة بينهم وبين دافعي الضرائب وخصصـوا لهذه الـواجهة (وهم الشيوخ) نسبة فيها يجبونه من واردات التمور سموها (السركلة) وجعلوها من الحقـوق الممتازة فتـولدت عـداوات عميقة بـين الفـلاحـين والـواجهـة الحكـومية حتى إذا ثـارت الرميثـة ثورتهـا الاولى في ٧ مايس ١٩٣٥ انتهـز فلاحو (السوق) الفرصة فقاموا بثورتهم بعد يومين مباشرة .

٣ ـ أما حركة بارزان في ٥ آب ١٩٣٥ فإن الحكومـة لم تخمد جـذوة تمرد البارازانيين بعد دخـول الشيخ احمـد البارزاني إلى الاراضي التـركية في حزيران ١٩٣٢ . فقد ظهر اخـوه الملا مصـطفى بدلا عنـه واخذ يعـارض اقدام الحكومة على انشاء المخافر الضرورية لتثبيت مقامهـا وفرض سلطانها في تلك الاطراف الجبلية المنيعة .

٤ ـ وأما التمرد الذي حصل في نـاحية المـدينة ـ بـالتصغير ـ التـابعة لقضاء القرنة بلواء البصرة في اواخر آب ١٩٣٥ فكان نتيجة للدعايات التي بثها خصوم وزارة الهاشمي الثانيـة (١٧ آذار ١٩٣٥ ـ ٢٩ ت ١/١٩٣٦) بتحـريض العشائـر على تقـديم عرائض إلى الملك يستـرحمـون فيهـا اعفـاء اولادهم من التجنيد الاجباري الذي قررت الوزارة فرضه مهما كان .

٥ ـ وأمـا ثـورة اليـزيـديـة في تشـرين الاول ١٩٣٥ فكـانت نتيجـة للرواسب التي خلفها تمرد الاشوريين في آب ١٩٣٣ والقسـوة التي لجأ إليهـا بكر صدقي لاخماد تلك الثورة فـاخذ المـارقون عـلى الوطن يحثـون مشايـخ اليزيدية على العصيان وعدم الموافقة على سوق ابنـائهم لخدمـة العلم وبعد أن سمعوا بأن البعض من رؤسـاء القبائـل في وسط العراق يحـاول التمنع من قبـول التجنيد الاجبـاري وقد ثبت أن عبـد الكريم قـره كلّه والمحامي عبـد الله فـائق يعمـلان في حـركـة التمـرد بـوحي من ممثلطات الانتـداب الفرنسي في سورية التي كانت ترى أن منح الاستقلال للعراق كـان سابقـا لاوانه وأنهم لا يريدون مثله لسورية .

٦ ـ يبقى علينا أن نذكر شيئا عن ثورة الرميثة الثانية في ٢١ نيسان ١٩٣٦ فقد تجمعت ثلاثة عوامل ادت إلى اندلاعها :

(أ) معارضة التجنيد الاجباري .

(ب) عدم استساغة القبائل لقرار منع تسيير مواكب العزاء في شهر محرم .

(ج) محاولة الحكومة توحيد لباس الراس بين السكان .

فقد عارض الانجليز ادخال نظام التجنيد الاجباري في العراق منذ البداية وقالوا في معارضتهم : إن ادخال نظام ينفر منه الرأي العام ولا يميل إليه إلا عدد من المثقفين ليس في صالح العراق . وقد البوا الأكراد أيضاً لمعارضة التجنيد الاجباري . وأما منع تسيير مواكب عزاء الحسين في محرم فكان علماء الشيعة انفسهم غير راضين عن تسيير هذه المواكب لانها ضد الدين وضد المذهب ولكن لم يكن في امكانهم اقناع السذج من العوام بعدم رضاهم . لهذا سكتوا على كره منهم فاستغل خصوم الوزارة سذاجة العوام . وما يقال عن التجنيد الاجباري يقال كذلك عن المحاولة التي بذلتها الحكومة لتوحيد لباس الرأس[٣٦] .

٧ ـ وأما تمرد الاكرع في مايس ١٩٣٦ بزعامة الشيخ شعلان العطية فقد كانت بلا شك ولا شبهة بتحريض من ساسة بغداد ، إذ يقول طه الهاشمي في مذكراته : « عثرت القيادة على كتاب مرسل من حكمة سليمان إلى الشيخ شعلان العطية يحرضه فيه على القيام بالعصيان »[٣٧] . والسبب في هذا التحريض أن الهاشمي لم يدخل حكمة سليمان وزيراً للداخلية في الوزارة التي الفها في ١٩٣٥/٣/١٧ . وكان منصب وزارة

---

(٣٦) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة الخامسة، الجزء الرابع، ص ١٨٤ ـ ١٨٧ .

(٣٧) مذكرات طه الهاشمي، الجزء الأول، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٣٩ .

الداخلية اهم المناصب الوزارية يومئذ ويفوق حتى منصب رئيس الوزراء في الاهمية[٣٨] .

٨ ـ وهناك حادثة بني ارجاب التي كادت تؤدي إلى عواقب وخيمة لو لم تتداركها السلطة القائمة بالحكمة وطول البال ، وكانت هذه الحركة نتيجة ظلم الرؤساء للفلاحين البائسين[٣٩] .

أما جهاز الدولة العراقية الذي اشرنا إلى ضعفه قبلا ، فقد كان في هذه الظروف عاجزا عن وضع الحلول الناجعة للمشاكل الماثلة امام البلاد في السياستين الداخلية والخارجية . فهو من جهة كان منقادا في تصرفاته إلى السلطة الحاكمة وكانت السلطة الحقيقية إلى حين انتهاء الانتداب بيد المندوب السامي البريطاني ومن جهة اخرى، وبعد دخول العراق إلى عصبة الامم في ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ كان ممثلو بريطانيا يتدخلون في واجباته ويفرضون شروطهم عليه مستغلين سلطة بريطانيا الخفية وبنود معاهدة ١٩٣٠ العراقية ـ البريطانية . وقد وصف مايكل أيويندز هذا الوضع وصفاً دقيقاً بقوله :

« ولهذا فقد وجد ملوك العرب ورؤساء وزاراتهم انفسهم دائما في موقف مربك محير هو موقف الوسيط ، الذي ينقل إلى البريطانيين ما يتعرض له من ضغط شعبي ممثل في المعارضة ، وينقل إلى هذه المعارضة ، اصرار بريطانيا على التمسك بسيطرتها واشرافها[٤٠] .

ويبدو ، اولا ، أن المعارضة كانت تريد من الحاكم الوطني المحلي أن يلعب دورا ايجابيا فعالا في مواجهة بريطانيا . كما يبدو ، ثانيا ، أن بريطانيا لم تكن لتسمح للحاكم المذكور إلا أن يلعب الدور الرئيس في

---

(٣٨) الحسني، الجزء الرابع من تاريخ الوزارات العراقية في الطبعة الخامسة الجديدة، هامش ص ٨٩.

(٣٩) راجع تفصيل ذلك في المصدر السابق، ص ١٨٠ .

(٤٠) Ionidis المصدر المذكور سابقا، ص ٣٣.

الحفاظ على المصالح البريطانية ، ودورا ثانويا في الدفاع عن المطالب الوطنية . ويبدو ، ثالثا واخيرا ، أن بعض الساسة العراقيين قد اخفقوا في الاحتفاظ بتوازنهم ضمن هذه المعادلة الصعبة بين النارين : نار بريطانيا ونار المعارضة . ويمكن أن يعتبر رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون من ابرز الامثلة على هذا الوضع الذي عاناه الساسة العراقيون حينذاك ، حين اقدم على الانتحار في مساء الثالث عشر من تشرين الثاني عام ١٩٢٩ تاركا وصية كتبت بخط يده قال فيها :

« . . . الامة تنتظر الخدمة . الانجليز لا يوافقون . . . يظنون أني خائن للوطن . وعبد للانجليز . ما اعظم هذه المصيبة »[٤١] . والواقع ، أن جهاز الدولة المحتكر من قبل الاقطاعيين الكبار لم يكن ليملك قاعدة اجتماعية قوية . وقد حافظ على السلطة عن طريق الاعتماد على اسناد المستعمرين لهم وعلى الاضطهاد الفظ والمناورات السياسية للطبقة الحاكمة . وقد انعكست ازمة النظام في عدم استقرار الوزارات وكثرة تغييرها والاختلافات السائدة فيها . ويكفي القول بأن العراق وخلال (٢٠) عاما « أي من ١٩٢١ إلى ١٩٤١ » تشكلت فيه ثلاثون وزارة اشترك في تأليفها (١٣) شخصا[٤٢] . ولو استعرضنا اسماء رؤساء

---

(٤١) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، ص ٢٩٤ .

(٤٢) افادنا الاستاذ الكريم المؤرخ العراقي السيد عبدالرزاق الحسني مشكورا بما يلي نقلا عن كتابه المعنون «تاريخ الوزارات العراقية»، الطبعة الثالثة، بيروت، سنة ١٩٦٩، ص ٢٨١ من المجلد العاشر:

أ ـ بلغ عدد الوزارات التي تألفت في عهد الانتداب بين ١٩٢٠/١٠/٢٥ حيث تألفت وزارة عبدالرحمن النقيب الأولى و١٩٣٢/١٠/٣ «أي تاريخ دخول العراق عضوا في عصبة الامم» ١٤ وزارة اشترك فيها ستون وزيرا.

ب ـ وبلغ عدد الوزارات في عهد الاستقلال بين ١٩٣٢/١٠/٣ والاحتلال البريطاني الثاني للعراق في ٢ حزيران ١٩٤١ «١٦» وزارة دخل فيها ثلاثون وزيرا جديدا.

جـ ـ وبلغ عدد الوزارات في عهد الاحتلال الثاني بين ١٩٤١/٦/٢ و١٩٤٦/١٢/٢٩ (٦) وزارات فقط.

الوزارات في هذه الحقبة لوجدنا أن كلا من نوري السعيد وجميل المدفعي قد شكل خمس وزارات ، وأن كلا من عبد المحسن السعدون ورشيد عالي الكيلاني شكل اربع وزارات ، وأن عبد الرحمن النقيب وجعفر العسكري وياسين الهاشمي شكل كل منهم وزارتين اثنتين ، أما توفيق السويدي وناجي شوكة وحكمة سليمان وطه الهاشمي فقد شكل كل واحد منهم وزارة واحدة[٤٣] . وفي ضوء ما تقدم ، يبدو أن السلطة في العراق كانت حكرا على « رؤساء وزراء محترفين يمثلون الاقطاعيين والعسكريين المتقاعدين أو المستمرين في الخدمة »، أو البرجوازية الكومبرادورية[٤٤] الذين كانوا يتناوبون على كرسي رئاسة الوزارة ويتبادلون الحقائب الوزارية[٤٥] . وكان معدل عمر الوزارات العراقية في هذا العهد (١٩٢١ -١٩٣٢) ثمانية اشهر . وكانت اطول وزارة مكثت في الحكم :

١ - وزارتا نوري السعيد الأولى والثانية حيث امتد حكمهما (٣١) شهرا متواصلا من ٢٣ آذار ١٩٣١ إلى ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٢ .



= د - وتكونت بين ٢٣ شباط ١٩٤٦ و٥ أيار ١٩٥٣ (أي سنة انتهاء مدة وصاية عبدالاله) (١٣) وزارة.

هـ - وكان عدد الوزارات التي تألفت في عهد الملك فيصل الثاني بين ١٩٥٣/٥/٥ حتى نهاية الحكم الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨ (١٠) وزارات. فيكون مجموع عدد الوزارات في العهد الملكي الزائل بين ١٩٢٠/١٠/٢٥ و١٩٥٨/٧/١٤ «٥٩» وزارة بإضافة وزارة الاتحاد الهاشمي.

(٤٣) ساطع الحصري (مذكراتي في العراق)، الجزء الثاني، ص ٥٥٨.

(٤٤) كان أحد رؤساء الوزارات من رجال الدين (عبدالرحمن النقيب) وكان سبعة منهم من العسكريين (المتقاعدين أو المستمرين في الخدمة) وهؤلاء هم عبدالمحسن السعدون وجعفر العسكري وياسين الهاشمي ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودة وطه الهاشمي وخمسة منهم كانوا من المدنيين وهم توفيق السويدي وناجي السويدي وناجي شوكة ورشيد عالي وحكمة سليمان. (وسنتناول في الفصل التالي بعض التفاصيل عن معظمهم باعتبارهم من المساهمين في أحداث عام ١٩٤١).

(٤٥) كان ياسين الهاشمي وزيرا للاشغال في وزارة السعدون الأولى المؤلفة في ١٩٢٢/١١/١٨ فلما الف ياسين الهاشمي وزارته الأولى في ٢ آب ١٩٢٤ ادخل فيها عبدالمحسن السعدون وزيرا للداخلية. وهكذا دواليك.

٢ ـ وتليهـا في المدة وزارة يـاسـين الهـاشمي الثانيـة حيث حكمت (١٩) شهرا من ١٧ آذار ١٩٣٥ إلى ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ .

٣ ـ فوزارة السعدون الثانية (٢٦ حزيران ١٩٢٥ ـ ١ تشـرين الثاني ١٩٢٦) إذ بلغت مدة بقائها في الحكم (١٦) شهرا .

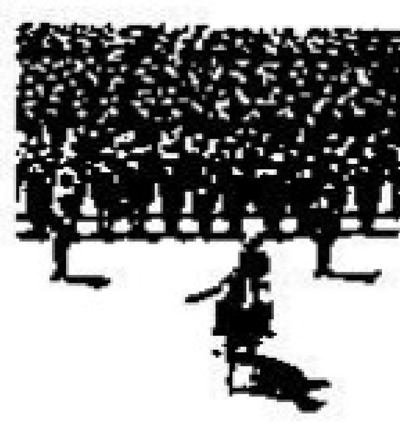
٤ ـ ثم وزارة السعـدون الثـالثـة وقـد حكمت (١٥) شهـرا (١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ ـ ٢٨ نيسان ١٩٢٩) .

٥ ـ فـوزارة جعفر العسكـري الثانيـة التي حكمت (١٤) شهرا من ٢١ تشرين ١٩٢٦ ـ ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ .

وكانت اقل الـوزارات عمرا وزارة جميـل المدفعي الثـالثة (اقـل من اسبـوعـين) . واحتلت المكـان الثـاني في قصـر عمـر الـوزارات وزارة طـه الهاشمي .

ومن الواضح أن هذا القلق الصارخ في الـوضع الـوزاري ، يعكس التناقض الذي كان قائـما في تلك الفترة بـين الوعي الـوطني المتصاعـد من جهـة ، وبين المنـاورات البريـطانية والمسـرحيات التي اخـرجتهـا السلطات العليـا في العراق ـ من الملك إلى اخـر وزير ـ في محـاولات مختلفة ومتعـددة هدفها الوحيد ينحصر في تبرير وتمرير تلك المناورات .

كـما يمكن أن تستنتج ، في ضـوء مـا تقـدم ، اسبـاب تخلف الحيـاة المدنية في العراق وابتعاد نشاط المجموعـات السياسيـة التي تمسك بـالسلطة عن المصـالح الملحـة للجمـاهـير الشعبيـة ، بـاستقـراء تـأريـخ الاحـزاب والتنظيمات السياسية[٤٦] . ففي نهاية عهد السيطرة العثمانية على العـراق



(٤٦) قدم فاروق صالح العمر في كتابه (الأحزاب السياسية في العراق)، جامعـة عين شمس، القاهرة ١٩٧١ ، تحليلا للأحـزاب والتنظيمـات السياسيـة في العراق من ١٩٢١ ـ ١٩٣٢ : العهـد والحرس، الـوطني والاخـاء، عصبـة الأهـالي وجمعيـة الاصـلاح الشعبي، الحـزب الشيوعي العراقي، ص ١١٢ و١١٧ و١٢٧ و١٣٠ ، ٣٥٩.

وأوائل عهد الاحتلال البريطاني الأول وجدت بضع منظمات سياسية ذات طابع عربي قوميّ مثل جمعية النهضة الاسلامية في النجف الأشرف[٤٧]، والفرع العراقي لجمعية العهد وحزب « حرس الاستقلال » السري بواجهاته العلنية، ومنها المدرسة الاهلية[٤٨]. وقد غلب الطابع الديني على التنظيم الاول إذ كان معظم اعضائه من زعماء ثورة النجف ضد الاتراك في عام ١٩١٥ .

ويبدو أن هذه المنظمة السياسية كانت في مقدمة المنظمات التي عارضت الاحتلال البريطاني للعراق انطلاقا من مواقف دينية ذات صبغة قومية[٥٠]. أما حزب العهد الذي كان منظمة موحدة في عهد الدولة العثمانية، فقد انقسم في اوائل عام ١٩١٩ إلى جمعيتين هما العهد العراقي والعهد السوري. وقد حدث هذا الانقسام في دمشق اثر تأكد الاحرار العرب من أن الحلفاء لا يوافقون على اقامة دولة عربية واحدة تمتد من المحيط إلى الخليج. وقد ارتبط نشاط العهد مع نشاطات الامير (فيما بعد) الملك فيصل. وكانت اغلبية اعضائه تؤيد عقائد فيصل السياسية وخططه التي اعتمدها تجاه بريطانيا. ومن ابرز اعضائه نوري السعيد وجعفر العسكري وجميل المدفعي وعلي جودة وهؤلاء هم الذين ركن إليهم الانجليز في العراق في عهدي الانتداب المباشر والاستقلال الزائف. وفي ١٩١٩ تكونت منظمة سياسية اخرى هي « جمعية حرس الاستقلال » وكانت تهدف إلى حماية مصالح العرب من اعتداء الامبريالية البريطانية منطلقة من مواقف قومية عربية[٥١].

---

(٤٧) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثالثة، مطبعة العرفان صيدا ـ لبنان، سنة ١٩٧٢ ص ٥٨.

(٤٨) المصدر السابق نفسه، ص ٥٧ ـ ٦٠.

(٤٩) اسماعيل ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني، ص ١٤.

(٥٠) مس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، بغداد ١٩٧١، ص ٥٠ ـ ٥٢.

(٥١) طالب مشتاق، اوراق ايامي، دار الطليعة ـ بيروت، سنة ١٩٦٨ ص ١٠٩ ـ ١١٩.
زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، بغداد، سنة ١٩٥٣ ص ٥٠ ـ ٥٢.



وكـان الفرق في طبيعـة المنتمين إلى حـزبي العهـد والاستقـلال ، أن الاول قـد ضم اكثريـة من العسكريين في صفـوفـه ، في حـين ضم الثـاني اكثرية من المدنيين(٥٢) .

ولكن الاختلافات بين الحزبين قد تجاوزت طبيعة المنتمـين إلى طبيعة السياسات والمواقف التي اتخذها كل منهـما . فقد كـان العهديون يكافحـون النفوذ الفرنسي في سورية ويستعينون ببريـطانيا ، في حـين كان الحـرسيون يكافحون النفوذ البريطاني في العراق ، ويتحفظون على العهديين باعتبار أن العهـد العراقي مـرتبط بالعهـد السوري المتعـاون في نضالـه السياسي مـع بريطانيا(٥٣) .

وبعد قيام الحكـومة العـراقية في البـلاد في ٢٣ آب ١٩٢١ ، ظهرت احـزاب على طـراز الاحزاب الـديمقراطيـة الغربيـة . ففي ايام وزارة عبـد الـرحمن النقيب الثانيـة ، ظهر حـزبـان معـارضـان همـا « الحـزب الـوطني العراقي » الذي تـألف في ٢ آب ١٩٢٢ برئـاسة جعفـر ابو التمن وحـزب « جمعية النهضة العراقية » الـذي تألف بـرئاسـة الحاج امين الجرجفجي في ١٩ من آب المذكور . وكان برنامجا هذين الحزبين متقاربـين لا يختلفان عن بعضهـما إلا في جوانب ثـانويـة طفيفة . فقـد عارض الحـزبـان الاحتـلال والانتداب وأيدا استقلال العراق وفي ٢٥ آب ١٩٢ حـل المندوب السـامي السر بيرسي كوكس هذين الحزبين ردا على مطالبتهما بعدم تدخل بريطانيـا في شؤون العراق الداخليـة ووجوب تشكيـل حكومـة وطنية غـير خاضعـة للانتداب المباشر(٥٤) . ثم تألف حزب ثـالث موال للحكـومة ، بعـد حل الحزبين المعارضين ، سمي بـالحزب الحـر العراقي تـأسس في ٣ ايلول عام

---

(٥٢) طالب مشتاق، ذكريات سيـاسية عن طـالب باشـا النقيب، مجلة (آفاق عـربية)، العـدد الخامس من السنة الرابعة (كانون الثاني ١٩٧٩) ص ٩٥.

(٥٣) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر المذكور سابقا، ص ٦٠ ـ ٦١.

(٥٤) انظر اسماعيل ياغي، المرجع المذكور، ص ١٥.

١٩٢٢ برئاسة السيد محمود النقيب الابن الاكبر لرئيس الوزراء انذاك بمباركة بريطانيا[٥٥] . وكان جل اعضائه من زعماء القبائل الذين ارتبطت مصالحهم بالسلطة ومن صنائع بريطانيا . وبتعبير اخر كان هذا الحزب في وقت واحد مواليا للحكومة البريطانية[٥٦] ومساندا لحكومة عبد الرحمن النقيب ، وداعيا إلى التعاون غير المشروط مع انكلترا . وكان يدعو بوجه خاص إلى عقد معاهدة معها . وبعد توقيع هذه المعاهدة في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ انتهى مبرر وجود الحزب واصبح خبرا من اخبار التأريخ .

وبعد المصادقة على معاهدة ١٩٢٢ العراقية ـ البريطانية من قبل المجلس التأسيسي في ١٠ حزيران ١٩٢٤ ، تأسس في بغداد في ١٩ آب عام ١٩٢٤ « حزب الامة » الذي قاده في البداية داود السعدي ليخلفه احمد الداود بعد ايام . وكان الحزب في اغلبيته يضم المحامين الشبان ويرفع شعارات استقلال العراق التام مع الاحتفاظ بالنظام الملكي ونشر الروح الدستورية وتوثيق عرى الودّ بين مختلف فئات الشعب وتعديل المعاهدة البريطانية ـ العراقية (معاهدة ١٩٢٢) بما يلائم مصالح البلاد[٥٧] .

ونشأت في ولاية الموصل ـ وفي أثناء أزمتها ـ احزاب ثلاثة هي : حزب الاستقلال العراقي (في اول ايلول ١٩٢٤) برئاسة آصف وفائي ـ اغا ، وجمعية الدفاع الوطني (في ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٥) برئاسة احمد الفخري والحزب الوطني العراقي (في ايار ١٩٢٥) برئاسة عبد الله السليمان (وهو غير الحزب الوطني العراقي الذي اسسه ابو التمن في بغداد) .

وكانت هذه الاحزاب الثلاثة قليلة العدد وتمارس دعاية مناهضة لتركيا في

---

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٥ .

(٥٦) انظر فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق، ص ١١٢ . راجع ايضا : عن احزاب الحر والوطني والنهضة، طالب مشتاق، اوراق أيامي، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ و١٢٠ .

(٥٧) فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق، المصدر السابق، ص ١٢٧ ـ ١٣٠ .



الغـالب[٥٨] . وبعد حـل مشكلة المـوصـل لصـالـح العـراق انحلت هـذه الاحزاب الثلاثـة . وفي الوقت نفسـه ، تكون في بغـداد جزبـان برلمـانيان جديدان همـا « حزب التقـدم » و « حزب الشعب » وكـان مؤسس الحزب الاول عبد المحسن السعدون الـذي انشأ حـزبه في ٢٢ آب ١٩٢٥ ليسنـد حكومته الثانية[٥٩] . وكان السعدون مؤيدا للتعاون مـع بريـطانيا انـطلاقا من تصـورات معينة إذا جـاز التعبير . فقـد كان يـرى في بريـطانيا ضمـانا للحفـاظ على الـوحدة الاقليميـة في العراق وعـلى مواجهـة اطماع الجيـران وتهديداتهم المستمرة ، ولا سيما في مطالبة تركيا بـولاية المـوصل . وكـان لا بـد أن يكون في مـواجهة حـزب السعدون حـزب معارض فـوقف ياسـين الهاشمي الذي جمع حوله المعارضة البرلمانية وانشأ « حزب الشعب » في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٥ . وكـان هذان الحـزبان يتكـونان من عـدد محدود من السياسيين المحترفين . وقد استمدا نفوذهما من نفوذ اعضائهما البارزين وفي الدرجة الاولى من اشخاص قادتهما .

وفي تشـرين الاول ١٩٣٠ اسس نـوري السعيـد من عـداد اتبـاعـه حـزب (العهد) الـذي كان يهـدف إلى تأييـد معـاهـدة ١٩٣٠ العـراقيـة ـ البريطانية ، وهي المعاهدة التي وضعت على اسـاس انهاء نظام الانتـداب وانضمام العراق إلى عصبة الامم[٦٠] .

وكـان « الحزب الـوطني العراقي » بـرئاسـة جعفر أبـو التمّن ، وهو الحزب الذي كان المندوب السامي قد عطله في ٢٥ آب ١٩٢٢ قد استأنف نشاطه في حزيران ١٩٢٨ واعلن برنامجا تقليديا ينطوي على بعض الجوانب



(٥٨) انظر عبدالرزاق الحسني «تاريخ العراق السياسي»، صيدا ١٩٧١، الجزء الثالث، ص ٢٦٢ .

(٥٩) أنهى الحـزب وجوده عـام ١٩٢٩ تقريبـا أي بعد انتحـار السعدون في ١٣ تشـرين الثاني ١٩٢٩ وإن كانت فلوله تحاول الانبعاث بين الفينة والفينة .

(٦٠) خيري العمري ، حكـايات سيـاسية في تـاريخ العـراق، دار الهلال ـ القـاهرة، ١٩٦١، ص ٢٢٣ .

الايجابية عند عقد معاهدة ١٩٣٠ . ولكن هذه المنظمة الوطنية لم تستطيع أن تلعب دورا فعالا على المسرح السياسي بسبب تعرضها إلى الاضطهاد الشديد من جهة ، وما احاط بايديولوجيتها من غموض وارتباك من جهة اخرى ، فضلا عن افتقارها إلى استراتيجية واضحة وخطط تاكتيكية دقيقة . وكان السياسيون العراقيون في الثلاثينيات ينقسمون إلى مجموعتين كبيرتين وفقا لمواقفهم من معاهدة ١٩٣٠ ، مجموعة تساند التحالف العراقي - البريطاني وتطالب بتعاهد تعاقدي غير مشروط، ومجموعة اخرى لا تعارض التحالف المذكور من حيث المبدأ ولكنها تطالب بمعاهدة متكافئة تخدم مصالح الطرفين معا على قدر الامكان . وفي المجموعة الاولى كان يقف نوري السعيد واعوانه ، أما في الثانية فكان يقف ياسين الهاشمي وحكمة سليمان ورشيد عالي الكيلاني وكامل الجادرجي . واستطاعت المجموعة الثانية المناهضة لبريطانيا أن تؤلف حزبا سياسيا معارضا في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٠ سمي « حزب الاخاء الوطني »، وقد تزعمه ياسين الهاشمي ، وكان من ابرز اعضائه رشيد عالي الكيلاني وحكمة سليمان ومحمد زكي المحامي . وكان برنامج الحزب يتلخص في « تنفيذ الاستقلال على مراحل »[٦١] كما اسلفنا .

اقام « الحزب الوطني العراقي » برئاسة جعفر أبو التمن و « حزب الاخاء الوطني » برئاسة ياسين الهاشمي في ٢٢ - ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٠ تحالفا حزبيا على اساس برنامج مختصر اطلق عليه اسم « وثيقة التآخي » وانحصرت اصوله في المواد الثلاث الاتية :

١ - إن المعاهدة فاسدة وجائرة يجب تعديلها .

٢ - إن المجلس الحالي يجب أن يحل لانه لا يمثل البلاد .

٣ - إن الوزارة التي تؤلف يجب أن تعمل على الاساسين الاول والثاني

---

(٦١) مجيد خدوري، العراق المستقل، ص ٣٠٠

وكما اشرنا من قبل كانت المعارضة في منتصف الثلاثينيات تستند إلى رؤساء القبائل وتشجعهم على الوقوف ضد حكومة بغداد بهدف اسقاطها . وقد بدأت هذه الحركة وتطورت في فترة حكم وزارة علي جودة الايوبي (٢٧ آب ١٩٣٤ - ٢٣ شباط ١٩٣٥)، وتجلت في انتفاضات القبائل في الفرات الاوسط . وكان علي جودة قد اسس حزبا برلمانيا سماه « حزب الوحدة الوطنية » للمحافظة على حكومته . إلا أن هذا الحزب انتهى وجوده عمليا باستقالة حكومة علي جودة بضغط من القبائل . وبعد نيل العراق في ٣/ت ١٩٣٢/١ لاستقلاله ، حل الحزب الوطني وحزب الاخاء أنفسهما (في ١٩٣٤ و ١٩٣٥ على التوالي)[٦٢] .

وكان حزب نوري السعيد (العهد) قد تلاشى من الوجود بعد استقالة وزارة نوري السعيد الثانية في ١٩٣٢/١٠/٢٧ لانتفاء الغاية التي تأسس من اجلها . وفي نهاية عهد الانتداب المباشر وبداية عهد الاستقلال الزائف ، ظهرت الجماعات والمنظمات السياسية والاجتماعية التي كانت تقيم نشاطاتها على اسس جديدة . وكانت تضع برامجها على اسس ايديولوجية تقدمية ، وتأخذ بنظر الاعتبار مصالح الجماهير الكادحة ، وتفتش عن افضل الطرق للانتشار بين الاوساط الشعبية الواسعة : العمال والفلاحين والفئات الوسطى من سكان المدن . أي انها حاولت أن تكسب القاعدة الجماهيرية وتنظم حركتها الواسعة ذات الوعي التقدمي ضد الامبريالية والرجعية المحلية من أجل الاستقلال الوطني التام والاصلاحات الديمقراطية التقدمية الحقيقية . وكانت الجمعيات المهنية الناشئة قد قادت الإضرابات العمالية في اواخر العشرينيات واوائل الثلاثينيات . كما ظهر عدد من الجمعيات السياسية ، احتلت جماعة « الاهالي » مكان الصدارة من بينها ، وتشكلت من شباب جامعي مثقف يحمل ميولا ليبرالية . وفي الثاني من كانون الثاني ١٩٣٢ ، صدر العدد الاول من صحيفة « الاهالي »



(٦٢) عبدالرزاق الحسني «تاريخ العراق السياسي الحديث» الجزء الثالث، ص ٢١٤ .

التي عبرت عن وجهة نظر هذه الجماعة التي كانت تتسلح بمبادىء الثورة الفرنسية وروحها الديمقراطية[٦٣] بوصفها افضل اشكال الحكم .

واتخذت هذه الجماعة من الاشتراكية الغربية وبالاخص البريطانية اساسا ايديولوجيا لها[٦٤] ، اطلقوا عليه اسم « الشعبية »[٦٥] . واعلن برنامج الجمعية ضرورة اجراء التحولات الاجتماعية وتحدث عن المصالح الطبقية للعمال والفلاحين ، وعن تنظيم الملكية الزراعية ، الذي يمكن أن يعتبر مطلبا تقدميا في الظروف التي كانت سائدة في العراق حينذاك[٦٦] . وتكونت الجمعية من اعضاء اختلفت منطلقاتهم السياسية « مثلا عبد الفتاح ابراهيم الذي كان ماركسيا ، وكامل الجادرجي الذي كان برجوازيا ليبراليا ، وحكمة سليمان الذي كان من انصار الاصلاح على اسلوب كمال اتاتورك » . وقد منيت هذه التجربة التي قامت على الاستنساخ من الخارج ، بالفشل الذريع . ويعود السبب إلى طابعها « الاغترابي » المعروف البعيد عن التيار الصاعد للقومية العربية . وبعد انقلاب بكر صدقي الذي اطاح بوزارة ياسين الهاشمي الثانية في اواخر ١٩٣٦ قامت جماعة الاهالي بتأسيس منظمة سياسية معبرة عن موقفها الفكري هي « جمعية الاصلاح الشعبي » التي طالبت بالاصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي لمصلحة كل الشعب والقضاء على الاستغلال[٦٨] . وقد اشترك فيها اربعة من اعضاء وزارة حكمة سليمان التي تألفت اثر الانقلاب العسكري الذي قام به بكر صدقي في ٢٩/ت ١/١٩٣٦

---

(٦٣) اسماعيل ياغي ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٦٤) كامل الجادرجي «من اوراق كامل الجادرجي» بيروت ١٩٧١ ، ص ١٠١ .

(٦٥) ياغي ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٦٦) صلاح العقاد «تطور اليسار في العراق» ، القاهرة مجلة (الكاتب) ، مارس ١٩٦٧ ، العدد ٧٢ ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٦٧) صلاح العقاد «المصدر نفسه» ص ٩٨ .

(٦٨) انظر ياغي ، المصدر المذكور ، ص ١٧ .

وهؤلاء الوزراء هم : كامل الجادرجي وجعفر أبو التمن ويوسف ابراهيم وناجي الاصيل . وبعد أن اجازت وزارة الداخلية تأليف هذه الجمعية ونشرت منهاجها في ١٥/ت ١٩٣٦/٢ ، شعر القوميون أن هذه الجمعية تستبطن المبادىء الشيوعية ، فاتصلوا بحكمة سليمان وبكر صدقي وأعلنوا حربا شعواء ضدها ، فلم يسع وزراة الداخلية إلا أن تغلقها(٦٩) . وكان تشكيل الخلايا الاولى للحزب الشيوعي العراقي قد بدأ في ١٩٣٢ . وتأسس الحزب في ١٩٣٤ . ثم عقد كونغرنسه الاول في سنة ١٩٤٤ ومؤتمره الاول سنة ١٩٤٥ وكان المأمول أن يلعب دورا كبيرا في حركة التحرر الوطني العراقي . ولكنه في الواقع لم يلعب إلا دوراً محدوداً في حياة البلاد السياسية لاسباب عديدة ذاتية وموضوعية . وقد نزلت أول مظاهرة شيوعية إلى شوارع بغداد بعد انقلاب بكر صدقي في سنة ١٩٣٦ ، ورفعت شعارات :

« كد العمال للعمال » ، « الويل للفاشية المجرمة » ، « نريد خبزا وسلاما »(٧٠) .

ولنحاول الآن تقديم كشف بحسابات الارباح والخسائر ، إذا جاز هذا التعبير ، للتجربة الحزبية في العراق في تلك الفترة . ونحن في الواقع ، وفي ضوء ما بحثناه من قرائن وحيثيات ، نميل إلى ترجيح كفة السلبيات على كفة الايجابيات . وبوجه عام يمكن أن يقال أن الاحزاب السياسية العراقية كانت في عهد الانتداب المباشر وبداية الاستقلال الزائف ، ضعيفة تنظيميا وغامضا ايديولوجيا وكانت تتسم بالفردية ، والشخصانية ، وتفتقر إلى القاعدة الجماهيرية العريضة المنظمة ، ولم تكن هذه الاحزاب احزابا ايديولوجية ذات برامج سياسية واقتصادية واجتماعية واضحة(٧١) . وإذا نظرنا إلى تلك الاحزاب في ضوء اطارها التأريخي ،

(٦٩) الحسني «الوزارات» الجزء الرابع، ص ٣١٤، الطبعة الخامسة.
(٧٠) طالب مشتاق، ايام النكبة، بيروت، سنة ١٩٣٧، ص ٩٦.
(٧١) عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، الجزء الثالث، ص ٢١٤.

لوجدنا أنها قد بقيت في مرحلة رد الفعل والاكتفاء باستغلال الواقع دون العمل على تغييره .

ولا يمكن للباحث في هذه الفترة إلا أن يأخذ بالمعنى الذي قصده السياسي العراقي البارز الذي عاش اكثر من ثلاثين عاما في صميم الحياة الحزبية السياسية ونعني به (كامل الجادرجي) عن تاريخ الاحزاب في العراق من انه لم يكن ثمة حزب واحد يتبنى مبدأ محدداً أو اية فلسفة خاصة به ، وأن حياة كل حزب كانت تتوقف على مؤسسه ، أو كانت تنتهي بتنفيذ الاهداف التي اسس الحزب من اجلها[٧٢] . لقد كان الاشخاص في السياسة العراقية يلعبون دورا اكثر اهمية من دور البرامج . وكان هؤلاء الاشخاص إما من عائلات كبيرة اجتماعيا أو دينيا وإما من زعماء القبائل ، وإما من كبار رجالات الجيش أو الدين[٧٣] .

وكانت المنظمات السياسية الجديدة التي ظهرت في تلك المرحلة غير قادرة على التحكم الواعي والفعال بالمسار السياسي العام للتوصل إلى تغيير جذري أو انعطاف حاسم . وقد امتاز المسار المذكور بالتمزق الذي اصاب الشعب العراقي وضعف التماسك الوطني والوعي القومي وتسلط الاقطاعيين ورؤساء القبائل على عقول الجماهير ومشاعرها وغياب الحزب الوطني المنظم الذي يمتلك الافق القومي والتصور الايديولوجي التقدمي الواضح . ومنذ ذلك الحين ، وإلى ما بعد الحرب العراقية ـ البريطانية في سنة ١٩٤١ ، ظلت الساحة خالية ، والحاجة ماسة إلى قوة جديدة وقفزة نوعية ، تنتقل بالوضع من صفحة إلى صفحة تالية ، ومن مرحلة تاريخية إلى مرحلة تاريخية اخرى .



(٧٢) مذكرات كامل الجادرجي وتأريخ الحزب الوطني الديمقراطي . دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ٦٧ .

(٧٣) ياغي ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٩٨ .

الفصل الثالث

الجيش والسياسة
دراسة تحليلية واستقرائية
ونقدية ومقارنة

الجيش والسياسة
دراسة تحليلية واستقرائية
ونقدية ومقارنة

يلعب الجيش دوراً مهماً في الحياة العامة في دول اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ومن هنا ، بات من الضروري للباحثين في التاريخ السياسي للحركة الوطنية أن يقوموا بدراسة دور الجيش في هذه المجتمعات ، وإلا فإن تلك الابحاث والدراسات ستبقى ناقصة ، في تقديرنا ، مهما كانت وافية ودقيقة . وقد اخذنا بمنهج التحليل الاجتماعي للوضع السياسي في الفصول السابقة واللاحقة معا ، وحللنا الوقائع السياسية في ضوء الخلفيات الاجتماعية . ويبدو من المنطقي الآن ، في ضوء تلك المنهجية ، أن نفرد فصلاً خاصاً للبحث في العلاقة المتبادلة بين الجيش والسياسة ، وبين المجتمع العسكري والمجتمع المدني . بالاخص وأننا قد وجدنا ، بعد مراجعة ملية وافية ، أن المكتبة العربية تعاني من نقص بارز في هذا الصدد .

لقد اصبح الجيش في العديد من دول اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، يلعب احياناً ادوارا مزدوجة . فهو يقوم تارة بدور مؤسسة رسمية ، وتارة اخرى يمثل دور مؤسسة سياسية خاصة ، واحيانا يلعب الدورين معا[١] .



(١) الجيش والحركة الوطنية ، فريق من الباحثين بإشراف الدكتور انور عبد الملك، دار ابن خلدون، بيروت، سنة ١٩٧١، ص ٣٥، وراجع ايضا: العدد الثالث من المجلة السوفيتية (امريكا اللاتينية) الصادرة في موسكو بتاريخ ١٩٧٧، الفصل المتعلق بندوة عن =

فالجيش جزء لا يتجزأ من جهاز الدولة اولا . ويعتبر أيضاً بمثابة التنظيم السياسي المتميز عن الاحزاب والتكتلات التقليدية ثانيا . وفي ضوء هذه الازدواجية ، يتحتم على الباحث أن لا يقع في التباس الخلط بين مفهومين في الحديث عن الجيش . ويقوم المفهوم الاول على اعتبار الجيش جزءاً من جهاز الدولة ، ويقوم المفهوم الثاني على اعتباره واحدا من الشرائح الاجتماعية والبنى السياسية إلى جانب الاحزاب والتكتلات السياسية الاخرى . وقد لعب الجيش هذا الدور المزدوج في معظم الدول النامية والحديثة العهد بالاستقلال في العالم الثالث . واختلفت طبيعة هذا الدور باختلاف المراحل التاريخية والظروف الزمنية . واشتركت كافة الجيوش المذكورة في طابع عام يتلخص في انجاز الاستقلال السياسي . ولكن بعضها لعب دوراً اضافياً مهماً يتلخص في تحقيق التغيير الاجتماعي . واقلها عددا قد لعب احيانا وفي ظروف استثنائية دوراً معيقاً للتغيير الاجتماعي المذكور .

وقد وجدنا من المستحسن ، اتماما للفائدة ، واستكمالا للصورة ،

= (الجيش والسياسة في امريكا اللاتينية اليوم)، باللغة الروسية، الصفحات: ٤٩ ـ ٨٥. والعدد الرابع من ذات المجلة والسنة نفسها|الفصل المتعلق بندوة عن ذات الموضوع ايضا، الصفحات ١١٣ ـ ١٤٩ . والعدد السادس من ذات المجلة والسنة نفسها، الفصل المتعلق بملاحظات الباحث الفرنسي(آلن جوكس) عن تلك الندوات وبعنوان (العسكريون في امريكا اللاتينية وظاهرة نزع القومية عن الدولة)، الصفحات: ٩٣ ـ ١٠٧. ومن الواضح أن هذه الدراسات تمثل النظرة السوفيتية الى العلاقة بين الجيش والسياسة في امريكا اللاتينية. اما النظرة الامريكية الى هذه العلاقة في تلك القارة، فإنها تتمثل في الدراسات التالية:

١ ـ روبرت ج. الكساندر في بحثه المعنون (الجيش في السياسة) المنشور في الكتاب المعنون (الحكومة والسياسة في امريكا اللاتينية) بأقلام جمهرة من الباحثين الغربيين وبإشراف هارولد ديفز، طبعة رولاند باللغة الانكليزية، الولايات المتحدة الامريكية، سنة ١٩٥٨ء٧
٢ ـ المقدم ثيودور وايكوف في بحثه المعنون (دور العسكريين في السياسة بأمريكا اللاتينية) المنشور في

Western Political Quarterly —, No.13, September 1960, pp.745- 763.



أن نستعرض استعراضا خاطفا مواقف الدول الاجنبية المختلفة الرأسمالية والاشتراكية من نظرتها إلى علاقة الجيش بالسياسة . ولاحظنا أن هذه المسألة قد نوقشت بجدية واهتمام في المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي معا . وقد اعرب كل فريق عن رأيه وعرض اجتهاده في ضوء منهجه الايديولوجي وخطه الاجتماعي .

وراح المؤرخون والفلاسفة وعلماء الاجتماع يطرحون بصدد هذا الموضوع من الحلول والاجابات ما تعددت واختلفت وتضاربت في كثير من الأحيان .

فالمؤرخون الغربيون عندما يتحدثون عن طبقات المجتمع ، ويصنفونها إلى طبقات متوسطة واخرى برجوازية ، ويقارنون بين الطبقتين دفاعا عن البرجوازية باعتبارها اكثر ميلا للتحديث من الاولى ، فإنهم ينسبون الجيش إلى الطبقة المتوسطة ، ويصفونه « بالمؤسسة الاقوى للطبقة المتوسطة الجديدة »(٢) . ويعتمد اصحاب هذا الرأي على المقارنة التفصيلية الدقيقة بين الجيش والطبقة المتوسطة الجديدة . ونحن لا نجد في هذا الرأي معيارا حقيقيا يميز الضباط عن الفئات الاجتماعية الاخرى المحسوبة على الطبقة المتوسطة الجديدة . بل وجدنا مفارقة صارخة هي أن اصحاب الرأي الذي يعتبر الضباط طبقة مستقلة قائمة بذاتها ، لا يقرون في الوقت نفسه مفهوم الصراع الطبقي . ونحن من جهتنا ، حتى لو وافقناهم في انقسام المجتمع إلى طبقات فإننا نعتقد أن الصراع الطبقي ليس قانونا عاما للتطور الاجتماعي ولا سيما في الدول النامية وبلدان المشرق العربي التي انعتقت من نير الاستعمار حديثا بالذات .

وإذا افترضنا جدلا أن النظام الاجتماعي قد قام على العامل



(٢) Haoperin, M., **Politics and Social Changes in the Middle East and Africa,** Princeton, 1963, p.258

الاقتصادي فحسب ، فإن حجم ما يمتلكه الانسان اقتصاديا بالفعل ، لا يقرر بالضرورة الحتمية نوع الولاء الاجتماعي أو الانتماء الطبقي الذي اختاره[٣] .

ولم يتفق المؤرخون الغربيون على تصنيف الجيش طبقيا ، فمنهم من اعتبره « فئة من المثقفين التكنوقراطيين »، ومنهم من وصف الضباط بـ « الصفوة والفئة والطبقة » دون تحديد واضح أو تمييز دقيق . وهنا لا بد من الاشارة إلى الالتباس الذي يقع فيه المؤرخون الغربيون في تحليلهم للجيوش العربية في ضوء مفهومهم للخصائص الاجتماعية للجيوش الانكليزية والفرنسية . فليس من الضروري في تقديرنا أن تعتبر الجيوش العربية من اصول اجتماعية مشتركة ومصالح اقتصادية متشابهة . ولا حتى أن يكون العسكريون فئة مهنية وراثية محترفة واحدة على نمط طبقة الضباط الارستقراطيين في الجيش الالماني في العهد القيصري مثلا[٤] .

ويقول المفكر العسكري الالماني كلاوزوفيتز أن طبقة النبلاء كانت تقوم بدور خاص في الجيش الذي وصف بأنه سبق الدولة في الظهور إلى الوجود[٥] . حتى قيل أن بروسيا هي جيش يمتلك وطنا وليست هي وطنا يمتلك جيشا[٦] . وأوضح كلاوزوفيتز أيضاً أن النبلاء قد وضعوا سيوفهم في خدمة الدولة تماما مثل فلاحيهم الذين كانوا جنودا تحت امرتهم . وقد امتلك هؤلاء النبلاء سلطة مطلقة على جنودهم لا تختلف في شيء عن

---

(٣) المصدر نفسه، الصفحات ٦٢، ٦٣، ٧٦.

(٤) الجيش والحركة الوطنية، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٦.

(٥) الجنرال كارل فون كلاوزوفيتز ، الوجيز في الحرب، ترجمة اكرم ديري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، سنة ١٩٧٤، ص ٤ - ٥٠.



(٦) وهي عبارة افادها المؤرخ العسكري الالماني (فون بيرنهورست) في اواخر القرن الثامن عشر. راجع : فالتر غورليتز، هيئة اركان حرب القوات المسلحة الالمانية: تاريخها وتكوينها وتطورها في لفترة ١٦٥٧ - ١٩٤٥، طبعة هوليس وكارتر باللغة الانكليزية، لندن، سنة ١٩٥٣، ص ١.

سلطتهم على فلاحيهم في اقطاعياتهم . وكان الجيش البروسي جيشا فريدا من نوعه في حينه ، امتزجت فيه تقاليد الحسب والنسب واعراف الوراثة الارستقراطية مع أحدث مزايا التنظيم الاداري[٧] .

ولكن الحال في الجيوش العربية مختلف اختلافا جذريا . لأن فئة الضباط في هذه الجيوش تمثل إلى حد كبير شريحة من اكثر الشرائح الاجتماعية تلاحما وتعاطفا مع مواطنيهم في تطلعاتهم وطموحاتهم القومية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية[٨] . ويحاول المؤرخون البرجوازيون ، أحيانا تشويه الانتفاضات التي قامت بها الجيوش العربية فيصفونها بأنها انقلابات مصلحية قام بها الجيش لاجل الجيش ، ونفذتها البيروقراطية العسكرية لا لشيء أو لسبب إلا تدعيما للبيروقراطية العسكرية نفسها . ويقابل ذلك أن المؤرخين السوفييت لا يتفقون طبعا مع هذا التفسير البرجوازي ، بل يتصدون له ويردون عليه بطرح مجموعة من الاستفسارات منها : لماذا إذن تدافع فئة الضباط عند وصولها إلى السلطة عن استقرار النظام الاجتماعي القائم ؟ ويترتب على ما تقدم ، في نظرهم ، أن تأتي فئة ثانية بانقلاب اخر بعد الانقلاب الاول لتصلح شيئا من الاوضاع ، ثم تحاول فئة ثالثة أن تقوم بتغييرات اكثر جذرية . وهكذا دواليك .

وكما أن المؤرخين البرجوازيين يتخذون موقفا سلبيا ، يتسم بالتعصب والانحياز وينطلق من مصالح بلدانهم ، في تفسير دور الجيش في البلدان العربية ، ولا يتورعون عن اللجوء إلى تصنيفات غير موضوعية للضباط بوحي من العداء المطلق للنظرية الماركسية ، كذلك يقع المؤرخون



(٧) راجع : كلاوزوفيتز ، المصدران المذكوران سابقا .

(٨) شبلي العيسمي ، في الثورة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧٤ ص ٦٨ .

الاشتـراكيون الاممـيـون في التباس مقـابل من جـانب اخر ، فيـرون أنه من المستحيل أن ينظر إلى دور الجيش في الحياة السياسية للبلدان العربية بمنظار لا طبقي . ويبـدو واضحا أن تفـاسير المؤرخـين البرجـوازيين قـد اتسمت باهمال مقصود للعامل الاجتماعي . كما أن تفاسير المؤرخين الماركسيين قـد اتسمت بـاهمال مقصـود للعامـل القومي . وفي ضـوء الحـوار الـدائـر بـين الفريقين ، نأخذ على المؤرخين البرجوازيين محاولاتهم اليائسة التي تهـدف إلى عزل الجيش عن الجماهير والاتجاهـات السياسيـة في المجتمع العـربي ، واظهـاره كما لـو كان نـوعا من التجمـع الفوقي المتسلط عـلى الـطبقـات ، والقـادر على تحقيق الاصـلاحات في مختلف المجـالات بدون الاعتمـاد على القـطاعات الشعبيـة صاحبـة المصلحـة الحقيقيـة في تلك الاصـلاحـات أو التحولات . كما نأخذ على المؤرخين الامميين تأكيدهـم المطلق عـلى العامـل الاقتصادي والمنظور الطبقي ، واهمالهم التام للعامل القومي أو تقليلهم من شـأنه ، في تصـور متزمت ضيق وغـير واقعي ، ولا سيما في الـوطن العربي وفي العالم الثالث . وقد تبلورت تلك الدراسات والمناقشات السوفيتيـة عن الـدور السياسي للجيش في الشـرق المعاصـر ، وظهرت في صيـغ سياسيـة محـددة عن موقـع الضباط في البنيـة الاجتماعيـة ، فاعتبـرتهم من المثقفين الــوطنيين ، وبــالتحـديــد من المثقفين العسكــريــين (الانتلجينسيــا العسكرية)[٩] . ونحن نرى أن هذا التحليل قد يكـون صحيحا أحياناً ، وربما كان اقرب إلى الواقع في ظروف معينة . ولكننا لا نتفق مـع اصحاب هذا الرأي في تـطبيق نظريـة الصراع الـطبقي تطبيقـا حرفيـا آليا ، كـما لو كانت حقيقة علمية مطلقة عامة ، لا تتعلق بالظروف ولا ترتبط بـالتجارب



(٩) ر. أ. سيفورتيان، الجيش في النظام السياسي لبلدان الشرق المعاصـر، موسكـو ١٩٧٣، ص ١٦ (بـاللغـة الـروسيـة). وراجـع في هـذا المصـدر مـا يتعلق بـالجيش والمجتمـع، الصفحـات: ٧ ـ ٣٤، وما يتعلق بمجـال النشاط السيـاسي للضباط، الصفحـات: ٧٣ ـ ٧٩، وما يتعلق بالعلاقة بين الحزب والجيش، الصفحات ٨٠ ـ ٨٥.

ولا تتوقف على الوقائع المحسوسة ، ولا يمكن ، بالتالي أن نجاريهم في الاصرار غير المبرر وغير المعقول على تفسير كافة الظواهر السياسية والاجتماعية وحتى الدولية في ضوئها ، دون أن نقيم وزنا أو نحسب حسابا للشروط والمتغيرات الذاتية والموضوعية السائدة في بلدان الشرق المعاصر . ونحن لم نصل إلى تلك النتائج بالاستسلام إلى هوى عابر أو مزاج طارىء أو دافع عاطفي ، بل استخلصناها من تحليل التجارب واستقراء الوقائع وعقد المقارنات . فوجدنا أن الدافع الاقتصادي كان ضعيفا في الدور السياسي الذي لعبه الجيش في البلدان العربية ، ولا سيما في العراق الذي امتاز جيشه بالتجاوب العارم مع العاملين القومي والوطني ، ولا سيما في المرحلة بين الحربين[١٠] . وينطبق ما تقدم بوجه اخص على الدور الذي لعبه الجيش العراقي في حركة سنة ١٩٤١ التحررية .

---

(١٠) للاطلاع على المزيد من الحقائق والمعلومات عن تغليب العامل القومي على العامل الاقتصادي وعن الرأي القائل بأن العامل الاقتصادي قد لا يلعب دورا على الاطلاق احيانا، وقد يلعب دورا ثانوياً أو مساعدا ويكون فعالا نسبيا أو ربما يكون ضارا في أحيان أخرى، راجع الفيلسوف البريطاني برتراند راسل، البلشفية في النظرية والتطبيق، الفصل المعنون (المادية التاريخية). ومن أبرز الامثلة التاريخية التي عرضها راسل عن تغليب العامل القومي على العامل الاقتصادي هي تريستا وارلندا. ففي المثال الأول كانت تريستا قبل الحرب العالمية الأولى هي الميناء الوحيد الذي تمتلكه امبراطورية النمسا والمجر على البحر الابيض المتوسط. ولكن بعد انتهاء الحرب وسقوط الامبراطورية، اعطيت تريستا حق تقرير المصير في استفتاء عام. فاختارت بغالبيتها الايطالية الانضمام الى الوطن الايطالي الام المزدحم بالموانىء المنتشرة على امتداد سواحله، مضحية بمصالحها الاقتصادية وملتزمة بحقوقها القومية. وفي المثال الثاني، ترتبط المنطقة الشمالية (إلسْتر) من ارلندا بالتاج البريطاني. ولكن الارلنديين يختلفون عن البريطانيين في لغتهم وعقيدتهم الدينية وفي طبيعتهم القومية. ونراهم يطالبون بالانفصال عن بريطانيا على الرغم من الفوائد الاقتصادية الجمة التي ينالونها من ارتباطهم ببريطانيا الغنية ماليا والمتقدمة صناعيا، ويصرون على الانضمام الى ارلندا الجنوبية الحرة المستقلة على الرغم من فقرها المدقع واقتصادها الزراعي المتخلف، مضحين بالمصالح الاقتصادية التزاما بالروابط القومية، انظر:

Russell, Bertrand, **Bolshevism in Theory and Practice**, London, 1951, pp.79- 85.

وقد كان للتيارين المذكورين (البرجوازي الغربي والماركسي الاممي) انصار واتباع في الوطن العربي ، واجههم حزب البعث العربي الاشتراكي منذ اول يوم من ولادته في المرحلة التأسيسية في الاربعينيات من القرن العشرين . لانه كان في حقيقة ظهوره وطبيعة تكوينه حزبا قوميا اشتراكيا منذ اللحظة الاولى ، فاصطدم بالاتجاه البرجوازي لانه كان حزبا اشتراكيا ، كما اصطدم بالاتجاه الاممي لانه كان حزبا قوميا . فكان هناك قوميون برجوازيون لا يؤمنون بالاشتراكية . كما كان هناك اشتراكيون امميون لا يؤمنون بالقومية . لكن حزب البعث العربي الاشتراكي استلهم من روح العصر والواقع والتاريخ معادلة جديدة ربطت ربطا جدليا وعضويا وثيقا بين الصراع القومي والصراع الطبقي ، واعتبر القضية العربية قضية كاملة واحدة لا تقبل التجزئة وتجمع بين الجانب الاقتصادي الاجتماعي والجانب القومي السياسي ، وبين الدعوة إلى الوحدة العربية والدعوة إلى الثورة الاشتراكية . ومن هنا ، انفرد هذا الحزب وامتاز عن كافة الحركات السياسية الاخرى الموجودة في الساحة العربية بأنه حزب قومي اشتراكي في وقت واحد وعلى حد سواء . وفي مواجهة التيارين البرجوازي من جهة والاممي من جهة اخرى ، التزمنا بالموقف القومي الاشتراكي والخط الثوري الانساني للحزب القائد . ومن الواضح ، أن تحليل النشاط السياسي للجيش في الوطن العربي بوجه عام وفي القطر بوجه خاص ، يحتاج إلى جهد استثنائي والتزام صارم بالمنهج الاستقرائي ، للوصول إلى الحقيقة الثابتة والنتيجة الصحيحة . ومن هنا ، ينبغي للباحث أن يطلع اطلاعا موضوعيا دقيقا على المواقف المختلفة والاجتهادات المتعددة في هذا الصدد . وتنقسم تلك المواقف والاجتهادات إلى نظريتين اساسيتين هما : نظرية « الجيش العقائدي » المسيَّس ، وهي نظرية ثورية جديدة ، ونظرية « الجيش المحترف » غير المسيَّس ، وهي نظرية تقليدية قديمة . وتعتمد هاتان النظريتان على نمطين مختلفين تماما من الجيوش في طبيعة تكوينهما : جيوش ظهرت إلى الوجود في ظروف ومعارك

الحروب الوطنية التحررية ، وجيوش تألفت من التشكيلات العسكرية التي اوجدتها الدول الاستعمارية مدفوعة بأغراضها ومصالحها .

ويختلف هـذان النمـطان من الجيـوش عن بعضهـما ، اختـلافـا جوهريا ، ليس في طبيعة تكـوينهما حسب ، بـل في نشوء ونـوعية الـطبيعة الاجتماعية السـائدة في كـل منهـما أيضـاً . فتكـوين الكـوادر العسكـريـة (الضباط) في النمط الاول (العقائدي) من الجيوش قد جرى عن طريق توحيد عناصر مختلفة مثل فصائل الانصار التي قامت على الاختيار الطوعي بـالاشتـراك في النهـوض الثـوري ، فضـلا عن ضبـاط وضبـاط صف التشكيـلات الاستعماريـة السابقـة الـذين انخـرطـوا في القـوات المسلحـة الوطنية عن قناعات ملتزمة ومواقف عقائـدية . ولكن الـدول التي استقلت حديثا وبمساعدة الدول الكبيرة لم تستطيع أن تحقق الانتقاء المذكور للكوادر العسكرية الـوطنية . ومن هنـا ، اتسمت جيوشهـا في تكوينهـا الاجتماعي بـالاختلاط الفـائق وتعدد الالـوان وتنوع المـواقف والاتجاهـات . وقد نشأ النمط الاول (العقائدي) من الجيوش في خضم المعارك والحروب الوطنيـة التحـررية ، والتـزم بالاهـداف الاساسيـة للثورة الـوطنيـة ، وكـان الاداة العسكرية واليد الضاربة للقيادة السيـاسية في نضـالها من أجـل تحقيق تلك الاهـداف . وجرى تـوجيهه بعـد الاستقـلال للتفـاعـل الحي مـع العمـل الثوري في البناء .

ونرى أن النمط الثاني (المحتـرف) من الجيوش ينتمي ومنـذ بدايـة تكـوينـه ، إلى مبـدأ احتـراف مهنـة العسكـريـة في الجيـوش وابتعـاده عن السياسة باعتباره اداة طيعة عمياء بيد السلطة الحكومية .



وقد لاقت فكرة الاحتـراف تقبلا واستحسـانا من الـرعيل الاول من الضباط العرب القـدامى الذين كـانوا قـد تتلمذوا عليهـا وتشبعوا بهـا من

معلميهم الانكليز أو الفرنسيين أو الاتراك[١١] . وكانت الملاكات الاولى من هؤلاء الضباط قد درست في اكاديميات الامبراطوريات الاستعمارية ، وعاشت في اجوائها ، وتأثرت بتقاليدها ، قبل تشكيل جيوش وطنية في بلدانهم[١٢] . وبعد أن ظهرت إلى الوجود هذه الجيوش الوطنية التي ساعدت الدول الاستعمارية على تكوينها بتوفير الخبرات والمدربين لها ، اختلف الوضع وازداد تعقيدا . لأن هؤلاء الضباط الاجانب كانوا في الحقيقة من الموجهين الملتزمين بسياسات ومصالح دولهم الاستعمارية . ومن هنا ، بذلوا جهدا دائبا مدروسا لغرس بذور التفرقة والروح الحرفية المجردة في صفوف هذا النمط الثاني (المحترف) من الجيوش . وكان مجرد وجودهم ، فضلا عن نشاطهم ، يشكل عقبة حقيقية امام نشر وتعميم الروح الوطنية الصادقة في امثال هذه الجيوش المتحررة من السيطرة الاستعمارية المباشرة في مرحلة السيادة الشكلية . وقد وجدنا من استقراء الوقائع وتحليل التجارب وعقد المقارنات ، إن الفوارق الحاسمة التي ذكرناها كما تقدم ، في تكوين الجيوش التحررية « النمط الاول ، العقائدي » والجيوش التي ساهم الاستعمار في تشكيلها من قبل ومن بعد الاستقلال الشكلي الزائف « النمط الثاني ، المحترف » قد انعكست بدورها على السلوك السياسي للضباط ولا سيما في السنوات الاولى من زوال الاستعمار السافر والتسلط المباشر . وإذا كان النمط الاول « العقائدي » من الجيوش يتميز تميزا واضحا بالشخصية الوطنية والقومية للضباط ومشاركته الفعالة في تحولات ما بعد انتصار الثورة ، فإن هذه

---

(١١) موريس جانوفيتز ، العسكريون ودورهم في التطور السياسي للدول النامية ، دراسة تحليلية ومقارنة باللغة الانكليزية ، مطبعة جامعة شيكاغو ، سنة ١٩٧١ . راجع ما يتعلق بأثر المثال العثماني في التدخل على النشاط السياسي للضباط العرب الذين خدموا في الجيش العثماني ، ص ١٢ .



(١٢) Patrick Seale, **The Struggle for Syria**, London (Oxford University Press) 1965, p.37.

الشخصية كانت في النمط الثاني « التقليدي » من الجيوش هي شخصية العسكري المحترف المتربي في مدرسة استعمارية والذي لا يستسيغ ولا يطيق الالتزام السياسي والانتماء العقائدي . ولكن الواقع الحي ، ابعد ما يكون عن التصنيف الدقيق واقرب ما يكون إلى التداخل الوثيق ، في بعض الاحيان . وقد حدث بالفعل ، في حالات وامثلة معينة ، أن النمطين الاول « العقائدي الثوري » والثاني « المحترف التقليدي » من الجيوش ، قد اقترب احدهما من الاخر في طبيعة تكوينه وطريقة عمله ، ولا سيما بعد انتزاع الاستقلال الحقيقي التام . وربما تحول جيش من النمط الاول (العقائدي) تحولا مطردا إلى الاحتراف المجرد كما في النمط الثاني (التقليدي)، وذلك بابتعاده ـ ولا سيما الضباط ـ عن المجتمع ، واندماجه تدريجيا في الهيكل البيروقراطي للدولة ، أو ربما يتحرر جيش من النمط الثاني (التقليدي المحترف) تحررا تدريجيا من الاشراف الاستعماري والتوجيه الاجنبي ، فيزداد اقترابا من المجتمع ، ويتحول ، بمرور الزمن ارادة التغيير وفاعلية النمو وعزيمة الصراع الايديولوجي الثوري المنظم[١٣] الملتزم الهادف ، تحولا تدريجيا ، إلى جيش من النمط الاول (العقائدي الثوري). وفي حالات كثيرة سويت هذه الفوارق تدريجيا بين هذين النمطين من الجيوش ، بدرجات مختلفة ونسب متفاوتة وصيغ متعددة[١٤] .

ومن هنا ، نستطيع القول أن دور الجيش في الحياة السياسية ، يختلف باختلاف الاقطار وظروفها وخصوصياتها ، ونادرا ما يتطابق أو يكون على نسق مشترك واحد في جميع الاقطار . ففي بعضها ، مثلا ، ساعد الجيش على اقامة انظمة ثورية وتقدمية . وفي اكثرها ، لم يساعد على



(١٣) كما حدث بالفعل في القطر العراقي بالعمل الثوري الذي حققه وقاده حزب البعث العربي الاشتراكي.

(١٤) ر.أ. سيفورتيان، الجيش والنظام السياسي في بلدان المشرق المعاصر، موسكو ١٩٧٣، ص ٣٩.

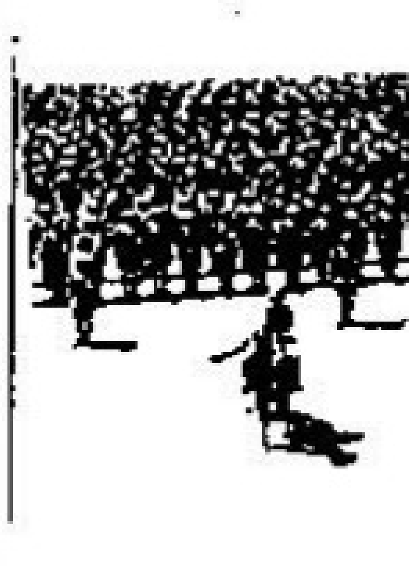
اقامة مثل هذه الانظمة[١٥] . وكما أن ادوار الجيش لم تتشابه ، فكذلك لم تتشابه وظائفه في اقامة نوع من الانظمة السياسية أو اخر . ويبدو أن تدخل الجيش في السياسة قد اخذ على الاغلب شكل الانقلاب ، إذا كان القطر مستقلا . فإذا انتقلنا إلى المضمون ، لاحظنا أن معظم الانقلابات العسكرية في العالم كانت على وجه العموم ذات اتجاهين : الاول يساري إذا وجد احتلال اجنبي أو عدو خارجي (مثل العراق وسورية ومصر) . ويتمثل الثاني في انقلابات عسكرية وقعت في اقطار أو ظروف تفتقر إلى الشرطين المذكورين سابقا . وغالبا ما تكون حينذاك ذات اتجاه يميني (مثل تايلند والتشيلي واليونان) . ومن جهة اخرى ، لوحظ على اثر الانقلاب العسكري في اليونان ، أن الدول الاوروبية الغربية وشعوبها وحكوماتها قد اتخذت موقفا ينم عن الخوف من تسرب عدوى الانقلابات العسكرية وتعطيل المؤسسات الديمقراطية البرجوازية البرلمانية . ومن الواضح ، أن تلك الدول تقف في مواجهة هذه الظاهرة موقفا ازدواجيا . فهي من جهة تعادي وقوع الانقلابات العسكرية في اقطار معينة من العالم الاوروبي الغربي . ولكنها من جهة ثانية ، تشجع على وقوعها في اقطار العالم الثالث والدول النامية[١٦] .

وينبغي أن نوضح الآن أننا تجنّبنا تحليل الدور الذي لعبته الجيوش في الحياة السياسية للبلدان العربية ، لانه لا يدخل في صلب الموضوع ،

---

(١٥) موريس جانوفيتز ، العسكريون ودورهم في التطور السياسي للدول النامية ، دراسة تحليلية ومقارنة باللغة الانكليزية ، مطبعة جامعة شيكاغو ، سنة ١٩٧١ ، راجع : ايديولوجيات الضباط العسكريين ، الصفحات ٦٣ ـ ٦٥ .

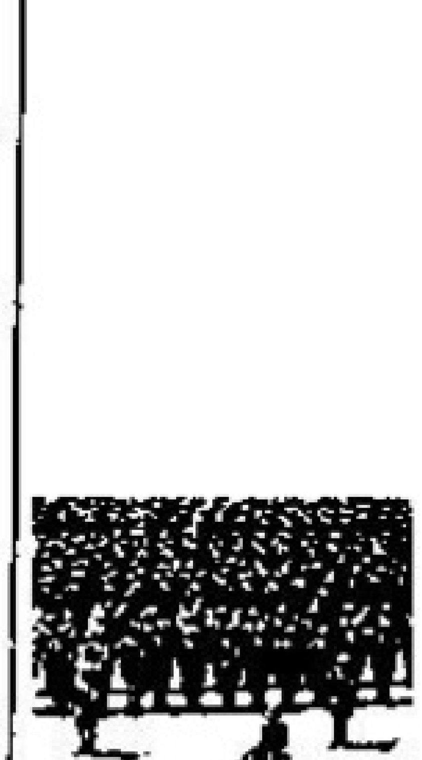
(١٦) شبلي العيسمي ، في الثورة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت سنة ١٩٧٤ ، ص ٧١ . وراجع ايضا : غ . ي . ميرسكي ، العالم الثالث : المجتمع والسلطة والجيش ، اصدار اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، دار (ناوكا) للنشر ، موسكو ، سنة ١٩٧٦ . وبالاخص ما يتعلق بأسباب الانقلابات وأهداف العسكريين ، الفصل الثاني ، الصفحات ٦١ ـ ١٨٠ «باللغة الروسية» .



ولا يخدم الغرض المقصود . فأشرنا إلى الخصائص البارزة والخطوط العريضة بالقدر الذي يوفر الخلفية الضرورية ويستكمل معالم الصورة المطلوبة . كما لم نتطرق إلى الجوانب الاكاديمية للمذاهب العسكرية ، وما يتعلق بها ويترتب عليها من المسائل التعبوية ، لانها خارجة عن الصدد ، وبعيدة عن الموضوع الاساس للبحث .

ومن هنا ، اقتصرنا في البحث على الدور السياسي الذي لعبه الجيش العراقي في مرحلة معينة من مطلع القرن العشرين واوائل التاريخ الحديث ، ولا سيما في سنة ١٩٤١ . فقد حاول الانكليز بشتى الوسائل ، لا سيما بعد نشوب ثورة ١٩٢٠ الكبرى ، أن لا يكون الجيش العراقي إلا مجرد قوة بوليسية تحل محل احتلالهم العسكري وانتدابهم المباشر ولكن جهودهم لقيت ما تستحقه من فشل ذريع . فقد نظر الشعب العراقي إلى جيشه نظرة وطنية دائما . وبدأ الجيش يحظى بتأييد الشعب وقواه الوطنية كافة ولا سيما بعد انتصاره في قمع التمرّد الاشوري في آب من سنة ١٩٣٣ . ونعتقد أن أسبابا عديدة دفعت الشعب إلى تأييد الجيش حينذاك ، على الرغم من وجود ضباط انكليز على رأس قياداته . ومنها ما يعود إلى حرمان العراقيين على امتداد قرون طويلة من كيانهم المستقل وجيشهم الوطني منذ سقوط بغداد بيد هولاكو عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) بالاضافة إلى الاحترام الخاص والتقدير الفائق الذي اولاه المجتمع الاسلامي للمحاربين دفاعا عن الوطن والمجاهدين في سبيل الله .

ومنذ تلك اللحظة التاريخية الحاسمة في سنة ١٩٣٣ ، اخذ العراقيون ينظرون إلى الجيش باعتباره رمزا للاستقلال وتجسيدا ملموسا للسيادة الوطنية والتخلص من رواسب ومخلفات الماضي الاسود المشؤوم والتسلط الاجنبي الطويل[١٧] . وفي ضوء ما تقدم ، اصبحت الخدمة في



---

(١٧) الجيش والحركة الوطنية، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٦ .

الجيش من المهن المحترمة اجتماعيا بحيث اخذت تستهوي الشباب من ذوي الميول القومية والوطنية . وهكذا بدأت العناصر الاساسية للجيش العراقي تتكون من ابناء الارياف ، ولا سيما بين اوساط الجنود وضباط الصف . ومع مرور الايام والاحداث والتجارب ، لعبت هذه القاعدة العريضة من الجنود وضباط الصف دورا مهما في التأثير على مواقف الضباط ، ولا سيما ذوي الرتب الصغيرة منهم ، في الوقوف بحزم إلى جانب المطامح القومية للجماهير . وكانت من العوامل البارزة التي جعلت معظم الضباط من ذوي الرتب الصغيرة في الجيش العراقي يتحسسون بالظلم السياسي والقهر الاجتماعي الذي لحق الفلاحين من جانب الاقطاعيين . علما أن نسبة ابناء الفلاحين من الضباط إلى نسبة ابناء المدن واو'د الموظفين الاداريين ، كانت قليلة عدديا في بداية تأسيس الجيش العراقي ، بالقياس إلى مرحلة متأخرة لاحقة . وكما أن احترام الشعب للجيش بدأ منذ الانتصار على التمرد الاشوري المبيت في سنة **١٩٣٣** ، كذلك كان تعاطف الجيش مع الفلاحين قد بدأ بمحاولة قمع انتفاضاتهم في الفرات الاوسط باللجوء إلى استخدام القوة العسكرية استخداما واسعا واحيانا قاسيا في سنة **١٩٣٥**(١٨) . تلك هي الواقعة التاريخية والحقيقة الموضوعية . وإذا كانت سنة **١٩٣٣** بمثابة لحظة تاريخية حاسمة في بداية احترام الشعب لجيشه المغوار ـ كما قدمنا ـ كذلك كانت سنة **١٩٣٥** بمثابة لحظة تاريخية حاسمة في بداية شعور الجيش بظلم الاقطاعيين وازدياد عطفه على الفلاحين . ويبدو أن الفريق بكر صدقي الذي عهد إليه قمع هذه الانتفاضات اراد استخدام العنف في قمع الاحتجاج المسلح للفلاحين



---

(١٨) مذكرات الشهيد العقيد صلاح الدين الصباغ. فرسان العروبة في العراق، طبعة الشباب العربي، سنة ١٩٥٦ ، الصفحتان ٦٦ ـ ٦٧ .
وراجع ايضا: خيري العمري، يونس السبعاوي: سيرة سياسي عصامي، منشورت وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية، بغدا ، سنة ١٩٧٨ ، الصفحتان ٦٥ ـ ٦٦ .

بالدرجة نفسها التي كان قد استخدمها من قبل في قمع التمرد الاشوري المسلح ، وربما بدرجة أكثر . وقد شعر الضباط بالاستياء العارم والغضب الشديد من هذا الوضع ، لان القسوة إن كانت مشروعة ومبررة في مواجهة التمرد الاشوري الانفصالي المدعوم بقوة المستعمر الاجنبي ، فإنها غير واردة على الاطلاق في مواجهة فلاحين مظلومين يقاومون اقطاعيين ظالمين . وتعتبر هذه الحادثة التاريخية والحالة النفسية التي سبقتها ورافقتها ولحقتها ، من المؤشرات الاولية البارزة في الطريق التي ادت بعد فترة قصيرة للغاية إلى تدخل الجيش العراقي ، تدخلا مباشرا وفعالا ، في الحياة السياسية للقطر(١٩) .

ومن الجدير بالذكر ، أن الاشوريين وإن كانوا الطرف المقابل الذي دخل في صدام مسلح مع القوات العراقية ، إلا أن المواجهة الحقيقية المباشرة كانت بين العراق وبريطانيا حيث كان الاشوريون اداة مخططاتها المشبوهة . ومن هنا ، كان نجاح الجيش العراقي في قمع التمرد الاشوري بمثابة انتصار على بريطانيا ، ادى إلى افشال مشاريعها الهادفة إلى تمزيق الوحدة الوطنية والاقليمية للعراق .

قلنا إن قمع الاشوريين في سنة **١٩٣٣** كان البداية للتقدير الفائق الذي اسبغه الشعب على جيشه الباسل ، وإن قمع نهوض الفلاحين في سنة **١٩٣٥** كان البداية للتدخل العسكري في النشاط السياسي . وعلينا الآن أن نقرر ، التزاما بالواقع وانصافا للتاريخ ، إن ثورة **١٩٢٠** كانت قد ساهمت إلى حد بعيد في تأجيج المشاعر الوطنية والقومية في صفوف القوات العراقية المسلحة . لأن الثوار ، أو آباءهم كانوا قد شاركوا فيها ، أو



(١٩) للاطلاع على المزيد من الحقائق والمعلومات عن انتفاضات الفلاحين في الفرات الأوسط، والظروف والنتائج التي ارتطت بها وترتبت عليها، راجع: الاستاذ السيد عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الرابع ، الطبعة الرابعة ، مطبعة دار الكتب بيروت سنة ١٩٧٤ ص : ٦١، ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٢ .

عاصروها ، أو تأثروا بها في الاقل ، واقتنعوا بالتجربة الشخصية والمواجهة المباشرة بقدرتهم على التصدي المسلح الفعال للاستعمار الاجنبي والاحتلال البريطاني . ويجد المتتبع للتطور التاريخي للجيش العراقي أن نسبة كبيرة من الجنود الذين التحقوا بالخدمة العسكرية واستمروا فيها ، قد تأثرت انماط حياتهم واساليب معيشتهم تأثرا شديدا بالوضع الجديد الذي نقلهم دفعة واحدة من الريف إلى المدينة ومن البداوة إلى الحضارة .

وقد تجلت تلك الظاهرة ليس باطلاعهم على المبادىء البسيطة للعلوم العسكرية فحسب، وإنما أيضاً باحتكاكهم بالاحداث السياسية والاجتماعية . ومن الواضح أن المؤسسة العسكرية قد حققت مهمة تربوية كبيرة في الميادين الثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، حتى امكن أن يقال أن الثكنة هي المدرسة[٢٠] التي التحقت بها وتخرجت فيها اعداد كبيرة من المواطنين البسطاء بعد حصولهم على حدود متوسطة في الاقل من المعارف والخبرات والفنون . وكان ضباط الجيش العراقي وجنوده في تلك الفترة من اكثر الشرائح والقطاعات الشعبية قرباً من العصر الحديث واطلاعا على العالم الخارجي بتطوراتهما أو منجزاتهما ، ولا سيما بمشاركة بعض ضباطه في الدورات التدريببة على الاسلحة الحديثة في المجتمعات الصناعية والتحاقهم بالمعاهد العسكرية في الدول الاجنبية[٢١] . وقد ادى ارتفاع مستواهم الثقافي ، ولو نسبياً ، إلى ازدياد وعيهم الوطني والقومي .

تلك هي العوامل التي غرست المشاعر القومية والوطنية في الجيش العراقي . وقد رسخت تلك المشاعر في قلوب القادة من الضباط الذين عاشوا فترة طويلة في الجيش العثماني وتأثروا بانقلاباته العسكرية وحركاته



---

(٢٠) ساطع الحصري، آراء وأحاديث في التربية والتعليم، مطبعة الرسالة، القاهرة، سنة ١٩٤٤، الفصل المعنون «الخدمة العسكرية والتربية العامة» الصفحات ٦٨ ـ ٧٥ .

(٢١) شبلي العيسمي، في الثورة العربية، المصدر المذكور سابقا، جـ (١) ص ٧٦ .

السياسية ، وكان معظمهم اعضاء في تنظيمات قومية عربية سرية مثل جمعية العهد بزعامة عزيز علي المصري[٢٢] .

ومن الجدير بالذكر ، ونحن نتحدث عن دور الضباط والجنود المنحدرين من الاصول الفلاحية والطبقات الوسطى ، واثره في مواقف الجيش العراقي في الحياة السياسية والاجتماعية ، أن نقول إن الانكليز حرصوا في بداية تشكيل الجيش المذكور على أن تكون الدفعات الاولى من الضباط من ابناء العوائل البارزة المعروفة تقليديا بولائها لهم وارتباطها بهم . وقد نجحت هذه الخطة الانكليزية في بداية الامر . ولكن التوسع الذي حدث في الجيش العراقي بعد سنوات فوت عليهم فرصة النجاح وافلت منهم الزمام . إذ التحقت بالكلية العسكرية دفعات غير تلك التي وضع شروطها ومواصفاتها المخططون البريطانيون . وقد توهم الانكليز أن الجنود ليس في امكانهم أن يتعلموا أو يتقنوا هذه المهنة على أساس أن نسبة الامية المتفشية في صفوفهم كانت كبيرة جدا وأن الجهل كان متفشيا في اوساطهم على نطاق واسع . ومن هنا ، تصور الانكليز أن حاجة الجيش العراقي إلى خبرائهم ومستشاريهم ستستمر ، وأن الجندي العراقي المتحدر من اصل ريفي سيظل (فلاحا وإن ارتدى معطفا عسكريا) . ولكن الجهود المشتركة والمضنية التي بذلها الضباط الوطنيون في تعليم جنودهم روح الطاعة الواعية قد فوت هذه الفرصة أيضاً على الانكليز في نواياهم . وسرعان ما تحول الجندي من ابن فلاح إلى عسكري مدرب ومواطن متفاعل مع مجتمعه ، واصبح عسكريا حقيقيا في علمه وفي سلوكه ، وليس في معطفه فقط . ومن الطبيعي أن يعتاد العسكريون حياة خاصة تختلف عن تلك الحياة التي يعيشها المدنيون ، فتتعزز في نفوسهم الوحدة الاخوية والمحبة والاخلاص في الواجب والتفاني في سبيل الوطن وتجاوز الخلافات



(٢٢) السيد عبدالرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ط ٣ ، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان ، سنة ١٩٧٢ ، الصفحات ٤٨ ـ ٥٠ .

الشكلية التي كانـوا يعيشونها قبـل الدخـول إلى الجيش . ومن هنا ، احيط الجيش بهـالة من الهيبـة والاحترام افتقـرت إليهـا المؤسسـات الاخـرى في الـدولة . وقـد منحته هـذه الهيبة افضليـة على تلك القـطاعات ، وامـدتـه بعوامل دفعته دفعا إلى الميدان السياسي . وفي الحقيقة كان الجيش العراقي منذ تشكيله قد اصبح المؤسسة الوطنية الـرئيسة[٢٣] في الـدولة ، ولا سيما وهي ما زالت تمر بمرحلة نشوئها . لانه ظهر إلى الوجود في مرحلة امتـازت بضعف الروابط الوطنية والاجتماعية وقوة صلات القرابة والروابط القبليـة والعشائرية . فكانت عوامل التفكك والتفرقة اقوى في الجماهير من عوامل التماسك والشعور بالوحدة الوطنية . بينما نجد أن واقـع الحال في صفـوف الجيش قـد اختلفت تمـامـا في تلك المـرحلة . فنـرى أن جميـع الشـرائـح الاجتماعية للسكـان ، لا سيما من مـواليد المنـاطق النائيـة وابناء الاريـاف البعيدة من انحاء العراق المختلفة وكافة الفئات الاجتماعيـة والعشائـرية ، تختلط على قدم المسـاواة ودون تمييز في هـذا المجتمع العسكـري الجديـد . وقـد سـاعـد هذا الـوضع عـلى تـوسيـع مـدارك العسكـريـين ، وعـزز من وحـدتهم ، عن طريق احتكـاكهم بمواطنـين من مختلف المناطق الجغـرافيـة والشـرائح الاجتمـاعية . وهكـذا شعر ابنـاء الجيش انهم اعضـاء في اسـرة وطنية واحدة ، وازداد شعورهم بالـوحدة رسـوخا بفعـل النظام السـائد في الجيش والقائم على التزام جانب العدالة ومعاملة الجميع على قدم المسـاواة في الحقوق والواجبات . فلا نستغرب والحالة هذه إذا وجدنا أن الجيش قد اصبح تدريجيا المؤسسة الاكثر معاصرة ليس في المجتمع العـراقي فحسب، بـل حتى في البلدان النـاميـة الاخـرى التي هي اكـثـر تخلفـا عن العـراق اقتصاديا واجتماعيا . لأن الجيش لا بد أن يكون بـطبيعة تكـوينه وطـريقة عمله ، مواكبا إلى حد ما على الاقل للمقاييس الحديثـة المتبعة في الجيـوش المتقـدمة ، وأن يكـون على بينـة متواصلة ومتفـاعلة من العلوم العسكـريـة

---

(٢٣) الجيش والحركة الوطنية، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٥ .

والتقنيات الحربية .

واحيانا تلعب التحديات الخارجية(٢٤) دورا فعالا في دفع الجيش إلى البحث عن الاساليب الحديثة ولا سيما بوجه الاعداء الذين يتوجب على الجيش أن يلحق على الاقل بمستواهم التدريبي ونوعية تسليحهم(٢٥) . ونستطيع أن نقول بكل فخر واعتزاز أن الجيش العراقي قد نجح في مواجهة اول خطر حقيقي هدد وجود الدولة العراقية . وكان التمرد الاشوري الذي وقع سنة **١٩٣٣** والذي قمعه الجيش العراقي ، قد جاء تعبيراً عن مخطط بريطاني غادر ضد الدولة العراقية وجيشها ووحدتها الوطنية(٢٦) . فإن نجاح الجيش العراقي في قمع هذا التمرد قد ادى إلى زيادة وحدة العراق الوطنية من جانب ، ونبه العراقيين والعرب إلى أنهم قد اصبحوا الآن يمتلكون جيشا في وسعه أن يدافع عنهم من جانب اخر . ففي الوقت الذي نستطيع أن نعتبر هذه الفترة بداية لظهور مشاعر الحب

---

(٢٤) فلسفة الحركة القومية العربية (الجزء الثاني، التحدي الاستعماري)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٧٧، ص ٧ - ١٨ .

(٢٥) سن تسو، مفكر عسكري صيني قديم عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. وربما كان كتابه المعنون (فن الحرب) اول كتاب من نوعه في التاريخ. ترجمه الى الانجليزية صاموئيل جريفيث. راجع قوله المأثور: «اذا عرفت نفسك تكون قد كسبت ٥٠٪ من الحرب واذا عرفت عدوك تكون قد كسبت ٥٠٪ من الحرب ايضا. واذا عرفت نفسك وعرفت عدوك معا تكون قد كسبت الحرب ١٠٠٪ واذا لم تعرف نفسك تكون قد خسرت ٥٠٪ من الحرب. واذا لم تعرف عدوك تكون قد خسرت ٥٠٪ من الحرب ايضا. واذا لم تعرف نفسك ولم تعرف عدوك في وقت واحد معا تكون قد خسرت الحرب ١٠٠٪» ص ٨٤.
Sun, Wu, **The Art of War,** translated and wih an introduction by Samuel B. Griffith etc. Clarnden Press: Oxford, 1963, p.84.

(٢٦) راجع الدكتور خلدون ساطع الحصري في بحثه باللغة الانجليزية المعنون «حادثة الاثوريين في سنة ١٩٣٣»، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٤٨ - ٣٤٩. وراجع ايضا: رياض رشيد ناجي الحيدري المدرس المساعد بكلية القانون والسياسة في جامعة بغداد التي ساعدته في النشر، في كتابه باللغة العربية المعنون (الاثوريون في العراق ١٩١٨ - ١٩٣٦)، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، سنة ١٩٧٧ .



والاحترام والتبجيل التي ربطت الجماهير بجيشها الوطني ، فيجب أن لا ننسى أنها كانت أيضاً اللحظة التي شعر فيها الانكليز بخطورة الجيش العراقي على مستقبل مخططاتهم . وقد اثبتت الاحداث اللاحقة أن تخوفهم كان في محله فعلا .

ومنذ بداية تدخل الجيش العراقي في الميدان السياسي كانت ميوله القومية تنمو جنبا إلى جنب مع شعوره بضرورة المحافظة على الوحدة الوطنية . وكانت التحديات الخارجية من الدول المجاورة هي الشغل الشاغل للجيش العراقي ولا سيما في بداياته . وقد لعبت هذه التحديات دورا كبيرا في سياسات الانكليز الذين عمدوا منذ البداية إلى اشغال الجيش العراقي بمشاكله الداخلية اولا والتلويح بخطر الدول المجاورة ثانيا .

ومن هنا بدأ قادة الجيش العراقي يشعرون بضرورة تطوير اساليبهم وتحديثها عسكريا في ضوء التحديات التي واجهوها والاهداف التي اختاروها . فبات من الضروري ارسال عدد من الضباط للدراسة في الخارج ودعوة بعض الخبراء الاجانب للتدريس في الداخل . وقد اتاح ذلك للضباط أن يتعرفوا على المنجزات التقنية العالمية وما حققته القوات المسلحة الاجنبية من تطور . فكان الضباط يعقدون المقارنات بين الاوضاع المتخلفة في جيشهم والاوضاع المتقدمة في الجيوش الاجنبية الاخرى . وكما هو معلوم فليس هناك من يشعر بوطأة التخلف مثلما يشعر بها الضباط الذين لا يتعرفون في سير دراستهم العسكرية على أوضاع جيوش البلدان الاكثر تطورا وحسب، وإنما يتعرفون وإلى حد معين على اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ومنجزاتها العلمية والثقافية . وعند عودتهم لا يكتفون بتدريب جنودهم وضباطهم على انواع الاسلحة الحديثة التي تدربوا عليها وحسب، وإنما يشرحون لهم ما اطلعوا عليه من حضارة وتقدم . وهكذا فإن ادراكهم للتخلف الضارب اطنابه في الوطن قد ساعد



على ايقاظ المشاعر القومية والوطنية في نفوسهم ودفعهم إلى النضال من أجل تصفية السيطرة الأجنبية التي تمنع توحيدهم في دولة عربية كبرى . ومنذ الثلاثينيات اصبح الجيش العراقي المؤسسة الوحيدة من مؤسسات الدولة العراقية التي تعيش إلى حد كبير خارج الاطار التقليدي للمجتمع المثخن بالحزازات والاحقاد التاريخية والاجتماعي . ولهذا السبب فأنه اصبح يتمتع بأفضلية بارزة على الاحزاب والفئات السياسية ولا سيما بعد امتلاكه وزنا مؤثرا في الحياة السياسية للمجتمع العراقي . وقد توفرت للجيش عدة عوامل ساعدته في هذا المضمار ، منها مركزية الادارة وتسلسل الرتب والانضباط الصارم واستحواذه على وسائل للاتصال تمتاز بالسرعة والسهولة .

وتلك هي العوامل التي جعلته بالمقارنة مع المؤسسات المدنية الاخرى أن يكون بمثابة حجر الاساس ومركز الثقل في الحياة العامة . ومن هنا ازدادت تدخلات الجيش في ميادين السياسة(٢٧) .

وفي ضوء ما تقدم ، ادرك الجيش انه قوة عصرية منظمة وقادرة على الحركة السريعة والفعالة فتشرب بالشعور الجارف بالمسؤولية التاريخية . واستولت على الضباط قناعات راسخة عن دورهم الاستثنائي الخاص باعتبارهم القوة الوطنية الطليعية في مجتمعهم . وهكذا اصبح الجيش حاملا للافكار القومية وقوة حقيقية حملت على عاتقها رسالة تاريخية .

إن هذه المواقف التي اعتمدها جيشنا المقدام في القطر العراقي ولا سيما بين الحربين العالميتين بالذات ، اقنعت الوطنيين المؤمنين اشخاصا واحزابا بضرورة تغيير الوضع السياسي ، وأن الجيش يمثل القوة المنظمة

---

(٢٧) Finer, S.E. **The Man on Horseback: The Role of the Military in Politics,** London (Pall Mall) 1971, p.11.

(فاينر : الفارس على صهوة الحصان : دور العسكريين في السياسة، باللغة الانجليزية) .
وانظر بوجه عام : ص ١٠ ـ ١٣ الفصل المعنون (المزايا السياسية للعسكريين) .

الوحيدة القادرة على تحقيق هذا الهدف[٢٨] .

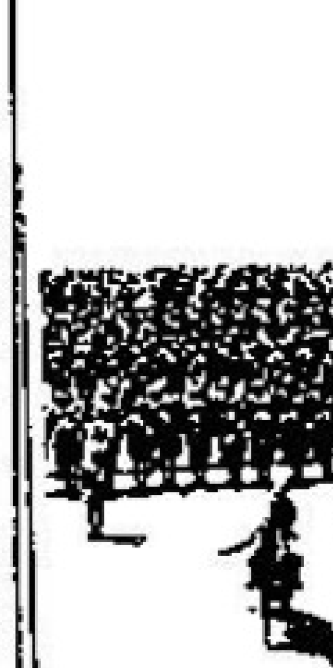
ومن هنا نستطيع أن نعرف الاسباب التي جعلت هذا الجيش في العمل الوطني اوضح موقفا واشمل عملا من الاحزاب السياسية والوطنية التي نشطت في ذات الفترة التي يتناولها البحث . كما نستطيع الآن أن نجيب عن بعض الاسئلة التي اثارها الباحثون في الحركة الوطنية ، ومن اهمها وابرزها السؤال التالي :

هل اثر الجيش في الاحزاب السياسية في البلاد أو انه تأثر بها ، ولا سيما بعد انقلاب **١٩٣٦** العسكري ؟

من الصعب أن نجيب عن هذا السؤال بمجرد الاعتماد على حوادث معينة أو مواقف فردية .

ويثبت قولنا بالاطلاع على تاريخ الاحزاب السياسية التي عملت في الحقل السياسي في الفترة بين الحربين بشكل خاص وكيف أن كثيرا من هذه الاحزاب التي لم تحمل الافكار الرئيسة للاهداف التي اعتنقها الضباط القوميون في الجيش ، قد تلاشت وحلت محلها أحزاب اخرى . وأن كثيرا من هذه الاحزاب أو الشخصيات السياسية قد حاولت ، بعد أن برهن الجيش على التزامه بالقضايا الوطنية والقومية ولا سيما في قضية فلسطين والوحدة العربية والتحرر من الاستعمار البريطاني وقيوده في العراق ، أن تتبنى تلك الاهداف بعضها أو كلها ، لكسب رضى الجيش والتحرك بسهولة في اوساط الجماهير التي استقطب اعجابها ونال تأييدها واثار حماستها .

ولا بد للباحث في تدخل الجيش بالسياسة أن يشير إلى السلبيات التي تترتب على مثل هذا الوضع . فبعد أن اصبح الجيش مؤثرا في الحياة



(٢٨) يونس السبعاوي : بقلم خيري العمري ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

السياسية ، خشي البريطانيون والحكام المحليون من هذا الاتجاه ، فحاولوا تشجيع الجيش على التدخل في الامور الداخلية واليومية للدولة ووظائفها لصرفه عن الأمور السياسية . وفي هذا الحالة يصبح الاصطدام بالجماهير اكثر احتمالا ، ويكون التعاون مع اجهزة الشرطة والقمع الداخلي امرا اعتياديا ، وبذلك يفقد الجيش هيبته في المجتمع . وفي الوقت نفسه قد يفقد الجيش توازنه أو يصاب بنوع من الانفصام بين العمل السياسي والسيطرة على الاتجاه العام وضرب القوى الرجعية المؤثرة في السياسة ، وبين الانصراف إلى تطوير قدراته القتالية ومواكبة التطورات الحديثة ، لكي لا يخسر تأييد الجماهير من جهة ولا يتخلف عن اللحاق بالتطور العام للقدرات القتالية من جهة اخرى . وهذا ما توخاه المخططون البريطانيون والسياسيون السائرون في ركابهم . وتلك هي الغاية التي توخاها الاستعماران البريطاني والفرنسي في اقطار المشرق العربي وذلك بتحويل الجيش من قوة وطنية للدفاع الخارجي ، إلى قوة بوليسية توطد الامن الداخلي(٢٩) . ومن الواضح ، أن المؤامرة المذكورة على القوات الوطنية المسلحة تبدأ ، كما بدأت دائما ، من محاولة حرفها عن القيام بواجبها التاريخي ودورها القومي . فالمسألة اذن ليست مسألة تدخل أو عدم تدخل الجيش في السياسة ، وهي حيلة متكررة ومكشوفة وقديمة طالما لجأت إليها واستعانت بها الانظمة العميلة والاوساط الاستعمارية والدوائر الرجعية والتقليدية التي ارادت أن تلغي الدور الوطني والقومي للجيش . وإنما هي مسألة التزام أو عدم التزام الجيش بالواجب التاريخي والدور الوطني والقومي . وينبغي في جميع الأحوال أن ينظر إلى هذا الموضوع من هذه الزاوية ، وليس من زاوية اخرى . وهي قضية مهمة لا تتعلق فقط

---

(٢٩) للمزيد من التفاصيل العامة عن هذا الموضوع راجع : غ . ي . ميرسكي ، الجيش والسياسة في بلدان آسيا وافريقيا ـ باللغة الروسية ـ دار (ناوكا) للنشر ، موسكو ، سنة ١٩٧٠ ، راجع بالاخص ما يتعلق بالمواقف الامبريالية من القوات المسلحة في الاقطار النامية ، الفصل السابع ، ص ٣٢٠ ـ ٣٤١ .

بالواقع العملي ، بل تتعلق أيضاً بالمنهج الفكري . ونأمل أن لا يساء فهمنا أو يشوّه قصدنا . فنحن لا نزعم أن تـدخلات الجيش في الحيـاة السياسيـة على وجه التعميم والاطـلاق تؤدي إلى اجهاض التغييـرات الاجتماعيـة ، وإنما يتوقف ذلك على ظروف الجيش وتكوينـه الاجتماعي . فـإن كثيراً من البلدان كانت جيوشها في بداية تكوينها تعاني من سيطرة الملاكات الرجعيـة ولا سيما في الرتب الكبيرة التي كانت تعتبر العمل في الجيوش احترافا وتنظر إلى العسكـريـة عــلى أسـاس أنها مهنــة للعيش ووسيلة للرزق . وعــلى العكس ، فإن الجيوش التي كان قادتها من الضباط الـوطنيين كـان تأثيـرها ايجابيا في عمليـة التغيير الاجتمـاعي . وكثيرا مـا التحق في صفوف الجيش المدرسون والمحامون والمثقفـون يحدوهم الأمـل الكبير في تحقيق انتصـارات حـاسمة في المجـالات الوطنيـة والقـوميـة ، وهـم الـذين وجـدوا ضـالتهم بـالانخراط في الجيش أو الـذين كانـوا يعتبرون أن الجيش يفتـح لهم آفاقـاً ارحب واوسع في النضال السيـاسي من مهنتهم السابقـة فأخـذوا يلتحقون بالمعاهد الدراسية العسكرية(٣٠) .

وكما يدور الصراع بين الاجيال في صفوف المـدنيين ، كـذلك يـدور صـراع بين الـرتب الكبيرة من الضبـاط التقليديـين والـرتب الصغيـرة من الضباط الوطنيين في صفوف العسكريين . ومن الملاحظ أن القاعدة العامـة هي أن الجيوش لا تستسهل التمرد واعلان العصيان والخروج عن الولاء

(٣٠) يبدو ان هذه الظاهرة هي اكثر وضوحا واوسع انتشارا في العراق وسـورية ومصـر. ففي مصر مثلا كـان الرئيس محمـد نجيب محاميـا وعسكريـا معا وفي العـراق كان الـرئيس احمد حسن البكر مدرسا في مقتبل عمره. وفي سورية كان الرئيس محمد أمين الحافظ قـد اشتغل بالتعليم في أوائل حياته «مقابلتان شخصيتان معه ومع الاستاذ اكرم الحوراني في اوائـل سنة ١٩٧٨». راجع : العسكريون باعتبارهم رجال دولة، تأليف جمهرة من الباحثين الغربيـين بإشراف بيتر دنيس وادريان بـريستون، طبعـة كروم هيلم بـاللغة الانكليـزية ـ لنـدن سنة ١٩٧٦ . وينطوي على سـير عسكريـين بارزين لعبـوا ادوارا سياسيـة مهمة مثـل الماريشـال هندنبورغ والجنرال فرانكو والجنرال ايزنهاور والجنرال ديغول .



للدولة ، ولكنها تجد نفسها مدفوعة باعتبارات نفسية وضغوط معنوية إلى التمرد في المواقف الحدية والحالات الحرجة . بل أن الفرد العسكري في الجيل الانتقالي قد يشعر بالتمزق الذاتي بين تقاليد الولاء ودوافع التمرد . وبتعبير اخر ، يتخذ الضباط التقليديون موقفا مفاده : أن الاراء السياسية للعسكريين كأفراد ينبغي أن لا تختلف عن الاراء الرسمية للدولة التي اقسموا يمين الولاء على حمايتها . وقد حاولت الحكومات الرجعية المتعاقبة في العراق في الفترة التي نحن بصددها (بين الحربين) ترسيخ الايديولوجية الرسمية للدولة في صفوف الجيش . فقام المفهوم الرسمي على الشعار القائل بأن الجيش ينبغي أن يكون فوق الميول والاتجاهات . وقد التزم الجيش بهذه الافكار على الرغم من عدم اقتناع قسم كبير من الضباط بصحتها . وهذا مما اعطى الانقلابات العسكرية في العراق فيما بعد طابعا خاصا ، وجعل حتى اكثر الضباط تقدمية يتحرجون في الاعراب عن انتمائهم إلى فكرة سياسية معينة عند اذاعتهم للبيان الأول . وعلى الرغم من تحفظ الضباط في المجاهرة بالافكار التي يؤمنون بها ، لا يمكنهم أن يعزلوا انفسهم عن التأثيرات الايديولوجية في البلد الذي يعيشون فيه ، لانهم في النهاية مواطنون ينتمون إلى مجتمع معين . فكان الانكليز ولا سيما في فترة اشرافهم المباشر على العراق بشكل عام وعلى الجيش بشكل خاص يثقفون المنتسبين للسلك العسكري على ضرورة ابتعادهم عن العمل في المجال السياسي ويضربون لهم امثلة من الدول الاوروبية المتقدمة وبشكل خاص من انكلترا . فاستهوت هذه الطروحات كثيرا من الضباط ذوي الرتب الكبيرة . وكانوا (الانكليز) يعيبون على الاقطار العربية أن جيوشها مسيّسة اكثر من الدول المتقدمة . ويعزون احد الاسباب في تأخرنا إلى تدخل جيوشنا العربية في السياسة . ولكن قلق الضباط من التخلف وتبعية بلادهم للاجنبي وضعف القوى السياسية المؤهلة لتحقيق التغييرات الملحة كانت كلها من جملة الاسباب التي املت على الضباط ضرورة المسارعة إلى الاعراب عن ارائهم في جميع المسائل السياسية والاجتماعية المهمة . وهناك

اسباب اخرى دفعت الجيش العراقي إلى الاهتمام بالسياسة ، منها محاولة الاستعمار وحليفته الرجعية الداخلية استغلال الجيش استغلالا دائما كأداة لقمع التظاهرات والاضرابات مما خلق مجالا عريضا للتماس المهم والمباشر للجيش مع الاحداث السياسية والمشاركة فيها ، بالاضافة إلى تحسس الضباط الصغار بقوتهم الفعلية في حسم الصراع السياسي ضد النظام الرجعي . ومن هنا اخذ الضباط الاحرار يتساءلون : لماذا لا يستغلون هذه القوة لصالح الشعب ضد اعدائه ؟(٣١) .

واقتنع الضباط بأن المدنيين القابضين على زمام السلطة هم سياسيون غير قادرين على حكم وتوجيه المجتمع ، فضلا عن العداء المتأصل في الضباط والجنود للنظام القائم المتمثل في حكم العائلة المالكة وطبقة الملاكين الكبار والبرجوازيين الطفيليين (الكومبرادوريين) . ومن جانب اخر فإن قسما من الضباط الكبار في الجيش ولا سيما المتحالفين مع النظام الملكي قد ساورتهم مخاوف معينة من تكليف الجيش بمثل هذه الواجبات « حفظ النظام العام والامن الداخلي » تحسبا من تدخله في الشؤون السياسية للبلد . وقد اصبح دور الجيش في الحياة السياسية اكثر تأثيرا من جراء الاجماع الكامل للاحزاب السياسية والشخصيات الوطنية في البلد على وجوب قيام الجيش بحسم الصراع السياسي . ويعود السبب في ذلك إلى التكوين التنظيمي للاحزاب السياسية التي نمت بين الحربين في العراق ، لأن هذه الاحزاب كانت تتشكل في ظرف سياسي عابر معين ،

---

(٣١) شبلي العيسمي : في الثورة العربية، ط ٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، سنة ١٩٧٥، راجع : بوجه عام الفصل الرابع المعنون «الانقلابات العسكرية وفشلها في تحقيق اهداف الثورة»، ص ٦٥ - ١١٢، وبالاخص «مبررات الانقلابات العسكرية وطبيعتها» ص ٦٩، راجع ايضا: J.J. Johnson (Ed.) **The Role of the Military in Underdeveloped Countries,** Princeton, N.J., 1962, p.288.
دور العسكريين في البلدان النامية، جمهرة من الباحثين الغربيين بإشراف جون ج. جونسون).



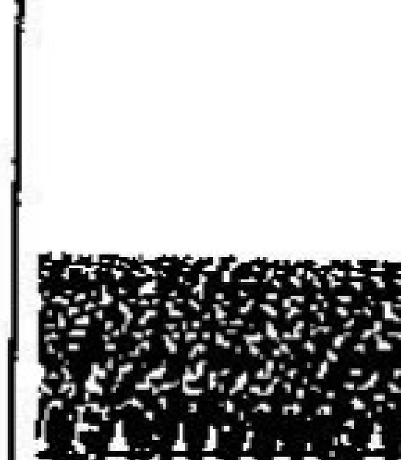
وسرعان ما يدب الانحلال في عروقها بزوال الظرف المذكور ، ومن ثم تتلاشى من الساحة دون أن تترك اثرا سوى ازدياد فقدان ثقة المواطنين بتلك الاحزاب الموسمية . وعلى العكس من تلك الاحزاب ، كان الجيش مؤسسة حكومية تمتلك الوحدة التنظيمية والقوة الاستمرارية . فتوفرت له خبرات لم تتوفر للاحزاب السياسية المذكورة . ومن هنا اصبح الجيش اقدر من اية مؤسسة اخرى على توجيه العمل السياسي . فتسابقت الاحزاب إلى خطب وده بعد اقتناعها اقتناعا راسخا بأن التغيير المطلوب لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الجيش . فالجيش ينبغي بطبيعة تكوينه أن يكون دائما موحدا وخاضعا إلى انضباط صارم وملتزم بمبدأ المرؤوسية . وتلك هي الركيزة الاساسية للمتانة التنظيمية التي ميزته عن بقية المؤسسات الحكومية . وفي الوقت نفسه فإن هذه الميزة بالذات هي التي اتاحت له الفرصة لان يكون اكثر ثباتا واستقرار من تلك المؤسسات الاخرى . وبالمقابل فإن ما افتقرته الاحزاب السياسية في عراق ما بين الحربين ، قد امتلكه الجيش العراقي . ولا تفوتنا ملاحظة مهمة اخيرة وهي أن الجيش مؤسسة لا ينفق على ادامتها مجموعة من الاشخاص وإنما الامة كلها هي التي تتولى هذا الانفاق(٣٢) .

---

(٣٢) «اذا اردنا ان نتعمق في تحليل الادوار التي لعبتها الجيوش في العالم الثالث والوطن العربي، والعلاقات التي ربطتها بالتطورات السياسية التي حدثت في بلدانها، فنستطيع ان نتناولها من ثلاث زوايا:

اولا ـ علاقة هذا الدور بالمرحلة التاريخية: كيف ترتبط البرجوازية بالمرحلة التاريخية؟ نجدها ايجابية في بدايتها، ولكنها تصبح سلبية في فترة لاحقة، عندما تعيق نضج مرحلة جديدة، خذ الجيش العراقي مثلا، كان دوره يتسم بدرجة معينة من الايجابية قبل البعث، وبدأ هذا الدور يتسم بسلبية واضحة في عهد قاسم قبيل البعث، وقد ظهرت بعض الجوانب السلبية في تجربة الحزب الأولى (سنة ١٩٦٣)، ثم تخلص الجيش من سلبيته بعد التحامه بتجربة الحزب وحركة الشعب.

ثانيا ـ طبيعة هذا الدور من حيث علاقته بالسلطة: ومن الواضح ان الجيش قد ساعد على تطور البلاد ولجم انحرافات السلطة طالما بقي في مواقع جماهيرية معارضة (مرحلة النضال السلبي) رقيبا على السلطة بنظرة فاحصة وناقدة وزاجرة، كما انه لعب مثل هذا الدور =



= الايجـابي ايضا عنـدما تحـول الى جيش عقائـدي ملتـزم ومؤمن بسلطة الحـركـة الثـوريـة الجماهيرية الطليعية التاريخية، أما في غير هاتين الحالتين، اي عندما كان الجيش يقترب من السلطة ويبتعد عن الشعب، وتختلط مهمة حماية سلطة معادية للشعب (المهمـة السياسيـة) بمهمة الدفاع عن الوطن (المهمة العسكرية)، وعندما يقيم ديكتاتورية عسكرية ويحتـال على التطور التاريخي وينصب نفسه وصيا عـلى الجماهـير وحاميـا للطبقة الجـديدة ومصـالحها، فعندئذ سيتحول هذا الدور الى طبيعة سلبية.

ثالثا ـ علاقة الجيوش بالاحزاب السياسيـة: اتسمت هذه العـلاقة بـطبيعة جـدلة في بلدان العالم الثالث بـوجه عـام والوطن العـربي بوجـه خاص، فقـد وقفت الجيوش وقفـا معاديـا لـلاحزاب السيـاسية والانـظمة العمليـة المواليـة للاستعمـار، مع الاحـزاب الوطنيـة ضد الاحزاب الرجعية، مع الاحزاب العقائدية أو ضدها، ملتزم بالاحزاب العقائـدية أو معـاد لهـا ومنقلب عليها، تلك هي المسـألة، وفي ضـوء ذلك، تكتسب تلك العـلاقة إمـا طبيعة إيجـابية أو سلبيـة»، مقابلة شخصيـة مع الـرفيق الدكتـور الياس فـرح في بغـداد بتـاريـخ ١٩٧٩/٦/٧.



ملحق بالفصل الثالث

مصادر عربية وانكليزية عن الجيش والسياسة

أ ـ العربية :

لقد اشرنا في الهوامش إلى عدد من المصادر العربية التي اطلعنا عليها واستشهدنا بها . ونضيف الآن المصادر التالية :

١ ـ الاستاذ طارق عزيز : محاضرة بعنوان « الجيش ومكانه في الثورة العربية »، وقائع الملتقى الفكري العربي في الخرطوم ١٥ ـ ٢٣ (اذار) سنة ١٩٧٠ . ونشرت في العدد (١٠١) من مجلة (المعرفة) الدمشقية في شهر تموز من السنة نفسها .

٢ ـ المارشال م . ن . توخاتشفسكي ، جيش الثورة : آراء في تنظيم وعمليات القوات المسلحة في الحرب الثورية ، تعريب ابراهيم سلامة ، دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٧٠ .

٣ ـ (أ) نيوبيرغ : الانتفاضة المسلحة ، تعريب المقدم الهيثم الايوبي ، دار الطليعة بيروت ، سنة ١٩٧١ .

٤ ـ الجنرال اندريه بوفر ، من العدوى الثورية إلى الحرب الذرية ، تعريب اكرم ديري والهيثم الايوبي ، دار الطليعة ، بيروت سنة ١٩٧٢ .

٥ ـ الجنرال اندريه بوفر ، الحرب الثورية ، ترجمة الهيثم الايوبي واكرم ديري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ .



٦ ـ الدكتور انور عبد الملك ، المجتمع المصري والجيش ، دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٧٤ .

٧ ـ الدكتور انور عبد الملك ، الفكر العربي في معركة النهضة ، دار الآداب ، بيروت ، سنة ١٩٧٤ . وانظر بالاخص ما افاده عن الجيش والحركة الوطنية ، الصفحات ١٩٠ ـ ١٩٦ .

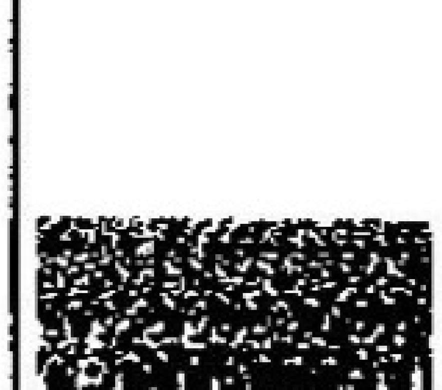
٨ ـ صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة في العراق ، طبعة الشباب العربي ، دمشق ، سنة ١٩٥٦ ، الفصل التاسع المعنون (الجيش والسياسة)، الصفحات ١٨٣ ـ ١٩٠ .

اسماعيل احمد ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني : دراسة في تطور الحركة الوطنية

٩ ـ اسماعيل احمد ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني : دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية ، دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٧٤ . راجع الفصل المعنون « الجيش والحركة الوطنية »، الصفحات ١٩ ـ ٢٨ .

١٠ ـ محمود الدرة ، الحرب العراقية ـ البريطانية ١٩٤١ ، دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٦٩ . راجع الفصل المعنون « السياسة في الجيش »، الصفحات ٤٥ ـ ١٣١ .

١١ ـ تجربة الاتحاد السوفيتي حول علاقة الحزب بالقوات المسلحة ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، القيادة القومية (المكتب الثقافي)، اعداد الرفيق الدكتور الياس فرح ، سنة ١٩٦٥ .



ب ـ الأنكليزية :

١ ـ جاك وديس ، الجيوش والقضايا السياسية ، طبعه لورنس وشريكه ويشارت باللغة الانكليزية ، لندن ، سنة ١٩٧٧ . ويلاحظ أن

المؤلف يعمل حاليا مسؤولا عن مكتب العلاقات الخارجية باللجنة المركزية للحزب الشيوعي البريطاني . راجع بالاخص ما افاده عن : انواع الانقلابات اليمينية واليسارية والوسطى (٧ - ١٥)، والعلاقة بين الجيش والسلطة السياسية (١٦ - ٣٧)، وهل يمكن للجيش أن يعمل في معزل عن الطبقات (٣٨ - ٤٧)، ولماذا تحدث انقلابات عسكرية تقدمية (٦٦ - ٧٧)، الضباط والطبقات الاجتماعية (٧٨ - ٩٩)، ولماذا تنجح الانقلابات الرجعية (١٢٣ - ١٣٠) .

٢ - Howard , Micae' Eliot , **Soldiers and Governments : Nine Studies in Civil - Military Relations** , (by Various authors) London (Eyre and Spottiswoode) 1975.

العسكريون والحكومات: (٩) دراسات عن العلاقات بين الدوائر العسكرية ، والسلطات السياسية ، تأليف جمهرة من الباحثين الغربيين باشراف مايكل هوارد ، لندن ، سنة ١٩٥٧ .

٣ - Huntington , Samuel , **Changing Patterns of Military Politics** , New York (Free Press of Glenecoe) 1926

(الانماط المتغيرة للسياسات العسكرية، تأليف جمهرة من الباحثين الغربيين باشراف صاموئيل هانتجتن ، بجامعة كولومبيا ، سنة ١٩٦٢)!.

٤ - Kennedy , Gavin , **The Miltary in The Third World** , London (Duckworth) 1947 .

غافين كينيدي ، العسكريون في العالم الثالث ، لندن ، سنة ١٩٧٤ راجع بالاخص ما يتعلق بالعلاقة بين العنف والايديولوجيا (١٢ - ٣٠)، والعنف في الدول العقائدية الحزبية (٣٣ - ٣٩)، دور العسكريين في قيام الدول المستقلة سياسيا (٦٥ - ٦٨)، وسورية والعراق في ضوء ما تقدم (١١٢ - ١٢٦) .



٥ ـ جورج حداد ، الاستاذ بجامعة كاليفونيا ، الثورات والحكم العسكري في الشرق الاوسط : الطوق الشمالي ، طبعة روبرت سيلرز ، نيويورك ، سنة ١٩٦٥ .

٦ ـ دراسة باللغة الانكليزية صادرة من مؤسسة راند بعنوان (دور العسكريين في السياسة السوفيتية المعاصرة)، بقلم ر . ل . كارتهوف ، كاليفورنيا ، سنة ١٩٥٦ ، راجع بالاخص الفقرة (دال) من الفصل الثاني والمعنونة (الضباط السياسيون في القوات المسلحة)، الصفحات (٣٦ ـ ٤٠) .

نبذة وجيزة عن الجيش والسياسة في الوطن والعالم

ملحقة بالفصل الثالث

بعد أن قدمنا في الصفحات السابقة دراسة تحليلية ونقدية واستقرائية ومقارنة عن علاقة الجيش بالسياسة ، نجد من المفيد أن نقدم الآن نبذة تاريخية وجيزة عن تلك العلاقة في الوطن والعالم ، استكمالا للصورة واتماما للفائدة وايضاحا للخلفية التي اشتقت منها وقامت عليها تلك العلاقة في تجارب معينة ومختلفة . فمنذ أن ظهر علم التاريخ إلى الوجود ، شغل المؤرخون انفسهم بمشلكة العلاقة بين رؤساء الدول وقواد جيوشهم[1] . وقد انجز هؤلاء الباحثون عددا كبيرا من الدراسات القيمة الرائدة التي لم تترك شاردة أوْ واردة في هذا الموضوع إلا واشبعتها عرضا وتحليلا وسبرا للاغوار والمجاهل ، وبالاخص ما يتعلق بالمركز الذي شغله العسكري في الواقع القومي ، والدور الذي لعبه في الصراع السياسي والتنافس الوظيفي بين الرجل العسكري حامل السيف والرجل السياسي حامل القلم ، والاثر المتبادل الذي احدثه كل منهما في الاخر . ولعل الحوار التأريخي الذي دار بين جيلين مختلفين في قولين مأثورين ، نسب

(١) منعا للخلط والالتباس ، ينبغي الايضاح أن الحكومة التي يرأسها عسكري ليست بالضرورة حكومة عسكرية تمارس سلطة استبدادية مطلقة ، وهي من الاخطاء الشائعة التي لم يسلم منها الكثيرون . والباحث الموضوعي يميز تمييزا واضحا دقيقا بين حكومة مدنية يرأسها عسكري «مثل الرؤساء ايزنهاور في امريكا وديغول في فرنسا وبريجنيف في الاتحاد السوفيتي وأحمد حسن البكر في العراق» وحكومة عسكرية يرأسها عسكري «مثل الارجنتين والتشيلي والبرازيل وسواها» .



احدهما إلى (كليمنصو) والاخر إلى (ديغول)، يمكن أن يعتبر اوضح مثال وافضل نموذج على ما تقدم . فافاد السياسي الفرنسي المعروف (كليمنصو) ذات مرة في الحرب العالمية الاولى ما معناه : « إن الحرب هي قضية خطيرة وجدية إلى الحد الذي لا يمكن تركها للعسكريين وحدهم »، فاجابه البطل القومي والقائد العسكري الجنرال (ديغول) في يوم من الايام بعد الحرب العالمية الثانية بما معناه : « إن السياسة هي قضية خطيرة وجدية إلى الحد الذي لا يمكن تركها للسياسيين وحدهم ».

الجيش العقائدي في العصر الاسلامي(*)

كان ظهور الاسلام حدثا ثوريا عقائديا وتطورا تأريخيا حاسما ، هز الامة هزا عنيفا في طفرة واحدة من نظام قديم إلى نظام جديد . وفي عام ٦٢٢ م تأسست نواة اول دولة عربية واحدة كبرى . ومع ظهورها ، ظهر إلى الوجود اول جيش شعبي عقائدي في التاريخ القومي العربي . وقد اصطبغت الدولة التي اسسها محمد (ص) بصبغة جهادية سياسية[٢] . وقامت على رسالة عقائدية في التعبئة السياسية والعسكرية هدفها توحيد العرب ونشر الاسلام في الامم الاخرى وتأسيس دولة عالمية كبرى[٣] . وقد ولدت الدولة الجديدة بهوية عقائدية واحدة ، جمعت السواعد

(*) كان بودنا أن نكتب دراسة أكمل وأشمل عن هذا الموضوع، لأهميته القصوى لنا نحن العرب في الوقت الحاضر، وأثره فينا وارتباطه بنا. ولكننا لم نوفق في العثور على مصادر كافية في المكتبة العربية. وقد وجدنا عددا قليلا من المصادر التي تطرقت عرضا الى هذا الجانب بالذات من البحث. ولكنها لم تف بالمرام، ولم تخدم القصد الذي توخيناه.

(٢) الدكتور الهيثم الكيلاني: الجانب العسكري في النضال من أجل الوحدة العربية، دار الطليعة ـ بيروت، سنة ١٩٧٣، واللواء محمد جمال الدين محفوظ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٦، ص ١٢.



(٣) Khaddouri, M., **War and Peace in Islam**, Baltimore, 1955, p.51.
وراجع أيضا: الترجمة العربية، الدار المتحدة للنشر ـ بيروت، سنة ١٩٧٣، ص ٧٥.

والقلوب ، وشملت الحياة العربية في جوانبها المختلفة السياسية والعكرية والاقتصادية والاجتماعية . وقد لعب الايمان العقائدي والالتزام الأخلاقي اعظم دور في احراز الانتصارات العسكرية التي احرزها الجيش العربي الاسلامي في الحروب التي شنها والمعارك التي خاضها . ويبدو أن العصور العديدة التي مرت على الامة العربية قد تميزت بظاهرة تأريخية عامة هي ارتباط سيادتها السياسية على وطنها ونفسها ومصيرها بوحدتها العسكرية . وعلى العكس ، ادى فقدانها أو افتقارها للوحدة إلى وقوعها فريسة سهلة ولقمة سائغة للعدوان الخارجي والاجتياح الاجنبي(٤) . ومن الواضح أن تلك الوحدة العقائدية ، التي كان الاسلام اول تجربة تأريخية من تجاربها العربية ، هي القاعدة الشرطية الأساس للوحدة العسكرية الحقيقية الفعالة .

فما الفائدة من وحدة عسكرية بين جيوش اختلفت اهواؤها وتفرقت قلوبها ؟ لا وحدة عسكرية إلا بوحدة عقائدية حقيقية تصهر القناعات والمبادىء والاهداف والقيم في بوتقة مشتركة . وليس اغنى من التأريخ القومي العربي نفسه ، قديما وحديثا ، بالشواهد والامثلة عن جيوش قاتلت بالوحدتين العسكرية والعقائدية معا فانتصرت ، واخرى قاتلت بالوحدة العسكرية فقط فهزمت في كثير من الاحيان . وتلك هي تجربة الانسان وعبرة التأريخ وحكمة الواقع الحي ، في كل زمان ومكان . ويبدو واضحا أن الدولة الكبرى التي اقامتها الامة العربية في العصر الاسلامي قد استندت على دعامتين اساسيتين هما : السيف والايمان العقائدي الجديد . ولعل الايمان العقائدي كان اهم واخطر من قوة السلاح . لأن السر ، كما افاد القائد العظيم (عمر) الفاروق ، في الساعد ، وليس في السيف ، وفي الغاية التي يشتهر من اجلها . ومن الواضح ، إن العقيدة التي التزمها الاسلام في الحرب هي الجهاد . وقد اشتقت الكلمة من



(٤) الدكتور الهيثم الكيلاني : المصدر المذكور سابقا ص ١٢ - ١٣ .

الفعل « جاهد » بمعنى بذل الجهد كما ورد في « القاموس المحيط » للفيروز ابادي(٥) . إلا أن الاسلام قد اشترط أن يكون الجهاد في سبيل الله . ولكن الجهاد بالمعنى العريض والواسع للكلمة لا يدل بالضرورة على الحرب أو القتال فقط . لأن نشر كلمة الحق يمكن أن يتم إما بالاقناع أو بالعنف . وقد اخذ الجهاد هذين المعنيين بالفعل . فاصبح يدل على استخدام القلم أو السيف أو كليهما معا . ومن هنا ، جاء في الحديث الشريف بعد انتصار المسلمين على المشركين في الحرب : عدتم من الجهاد الاصغر (جهاد العدو) إلى الجهاد الاكبر (جهاد النفس)(٦) . ونستطيع نحن اليوم أن نستلخص من هذا القول المأثور درسا اعمق وابعد واخطر . لأن الوضع إذا كان كما وصفه الرسول العربي القائد (صلعم)، فإن الانتصار في الجهاد الاكبر ، يصبح شرطا للانتصار في الجهاد الاصغر . وإذا لم يستطع الانسان أن ينتصر على نفسه ، فكيف يستطيع أن ينتصر على عدوه ؟ وتلك هي الاهمية الفائقة والعناية القصوى التي اولاها الاسلام للناحية العقائدية في الحياة العسكرية . ومن الواضح ، أن تلك الناحية العقائدية بالتحديد ، قد قننت الحرب ، واخضعتها للضوابط والحدود والاحكام ، واكسبتها طابعا انسانيا واخلاقيا ، للمرة الاولى في

---

(٥) طبعة القاهرة، سنة ١٩٣٣ ، المجلد الأول ، ص ٢٨٦ .

(٦) الدكتور مجيد خدوري : الحرب والسلام في شرعة الاسلام، المصدر المذكور سابقا، ص ٥٦ - ٥٧ .

وانظر ايضا الترجمة العربية، المصدر المذكور سابقا، ص ٨٣، راجع : ما أفاده الرفيق الدكتور الياس فرح في جوابه عن السؤال «كيف يفهم التوجيه السياسي بشكل عام وضمن القوات المسلحة بشكل خاص من وجهة النظر البعثية؟» «مجلة حراس الوطن العدد ٧/ تموز ١٩٧٩ ص ١٢ - ١٥ . وبالاخص ربطه للبعث بثورة الرسول العربي من ناحية التأكيد على التعبئة النفسية والفكرية والروحية (أي التعبئة العقائدية) باعتبارها أهم بكثير من التعبئة القتالية. وتبدو الأهمية الفائقة للقوة المعنوية العقائدية بصيغة واضحة في مقولة السيد الرئيس الرفيق صدام حسين في حديثه بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢٨ في مجلس الاعلام: «الشعور بالنصر ليس كل النصر. ولكن الشعور بالهزيمة يعني كل الهزيمة».



التأريخ على الاطلاق . ونحن لا نريد أن نكيل المدائح لانفسنا باعتبارنا من العرب المسلمين لئلا يساء فهمنا ويستغل موقفنا ، وقد نتعرض إلى الاتهام بالتعصب والانحياز ، بل نكتفي باقوال المنصفين من الباحثين والمؤرخين الاوروبيين المحدثين والمعاصرين . ولعل المؤرخ البريطاني والمفكر العسكري (السير باسيل ليدل هارت) يعتبر من ابرز الباحثين المعاصرين في هذا الميدان . وقد افاد في كتابه المعنون « لماذا لا نتعلم من التأريخ ؟ » ما يلي : « إن مساهمة العرب في اضفاء طابع انساني على الحرب كانت اعظم واوسع بكثير من مساهمة الرومان . ويعود الطابع الانساني والاخلاقي الذي اكتسبته الحرب إلى قوانين الفروسية ، وهي من اصل عربي . وينبغي أن نعترف هنا الآن أن اتباع محمد كانوا اسرع واسبق بكثير من اتباع المسيح في الغرب ، من حيث اخضاع الحرب للحدود والضوابط والاحكام الانسانية . . بل إن الاحتكاك بالشرق ، قد ساعد الغرب على امتلاك وتطوير تقاليد وقيم الفروسية وتقنين الحرب »(٧) . ويعتبر الباحث الفرنسي الدكتور (غوستاف لوبون) من ابرز المحدثين في هذا الميدان . وقد افاد في كتابه الموسوعي الضخم المعنون « حضارة العرب » الذي انجزه في سنة ١٨٨٤ ما يلي : « والحق أن التأريخ لم يعرف فاتحا اعدل وارحم من العرب »(٨) .

ولعل هذا الفصل ، لا يمكن أن يجد خاتمة افضل ، تؤكد ما تقدم ، من وصايا الخليفة ابو بكر الصديق إلى الجيوش الاسلامية وهي في طريقها إلى سوح الجهاد : « أيها الناس قفوا اوصكم بعشر فاحفظوا عني : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا

---

(٧) Sir Basil Liddell Hart, **Why don't we learn from History?** London (Allen and Unwin) 1972, p.73- 74.

(السير باسيل ليدل هارت : لماذا لا نتعلم من التاريخ؟)



(٨) حضارة العرب : تأليف الدكتور غوستاف لوبون باللغة الفرنسية ، نقله الى العربية الاستاذ عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ ، ص ١٥ .

شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة . وسوف تمرون بأناس قد فرغوا بانفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له . . . فاندفعوا باسم الله . . . »[٩] .

الملحق (أ) :

نبذة عن أهم المصادر المطبوعة المتوفرة حاليا في المكتبة العربية عن الجيش العقائدي في العصر الاسلامي :

١ ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٧٢. راجع بالاخص الفصل المتعلق بالتراث العربي الاسلامي في (٣٦ ـ ٣٨)، والاسلام في مجال التربية العسكرية (٩٤ ـ ١١٤)، والتطبيق العملي في عهد النبوة: القدوة الحسنة (١٤٧)، والمثال الرائع (١٥١). واختبار العقيدة (١٩٢)، وفي أيام الفتح الاسلامي: انتصار عقيدة (٢٣٢). والمثال الشخصي (٢٣٧)، وفي عهد صلاح الدين الايوبي، قاهر الصليبيين (٢٨١ ـ ٣٢٣)، وأخيرا في عهد قطز قاهر التتر، وبالاخص أسباب نصره (٣٤٣).

٢ ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب، الرسول القائد، الشركة الاسلامية للطباعة والنشر، بغداد، سنة ١٩٥٨. راجع بالاخص الفصل المتعلق بالاسباب الحقيقية للانتصار الذي حققه الرسول (٧)، والفصل المتعلق بأسباب النصر في غزوة بدر وبالاخص ما يتعلق بالروح العقائدية الراسخة والمعنوية العالية (٧٥ ـ ٨٢)، والاسباب العامة للانتصارات الاسلامية في عصر الرسول، وبالاخص ما يتعلق منها بالجوانب العقائدية والمعنوية للجنود العرب (٣٣٩ ـ ٣٤٦)،



(٩) الدكتور حسين فوزي النجار: الاسلام والسياسة، دار الشعب، القاهرة، سنة ١٩٧٧، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

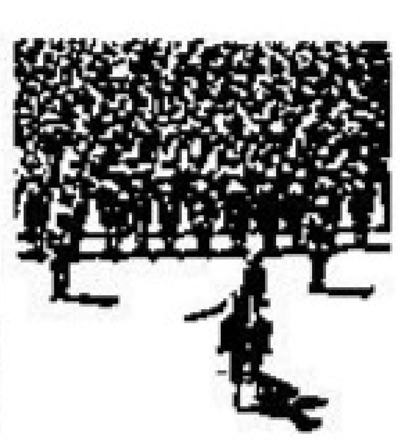
وأخيـرا ما يتعلق بـالجوانب العقـائديـة للحروب الاسـلامية (٣٤٦ - ٣٥٦).

٣ - اللواء الـركن محمود شيت خـطاب، الفاروق القـائد (الخليفـة العـادل عمر) دار الفكر، بيـروت، سنة ١٩٧١. راجـع بالاخص مـا يتعلق بالدعاية الروحية (٣٤)، لا نصر لشعب لا عقيدة له (٣٥)، العقيدة لا تحـارب إلا بعقيدة (٣٦)، العقيـدة المنشئـة البنـاءة (٥٢)، مجمـل عـوامل انتصـار المسلمين (٥٤)، العقيـدة الراسخـة من أهم مـزايـا القائد (٨٨).

٤ - اللواء الركن مصطفى طلاس، الرسـول العربي وفن الحـرب، مطابـع الادارة السياسية للجيش والقـوات المسلحة، دمشق، سنـة ١٩٧٢. راجع بالاخص ما يتعلق بالرسول والجاني العقائدي والعامـل المعنوي (٢٥٩)، والايمـان بعدالـة القضية (٢٦٠)، الشجـاعـة في مـواجهـة الخوف (٢٦٢)، وحدة الصف (٢٦٣)، والـرسول والحـرب الشعبية (٢٦٧).

٥ - اللواء محمد جمال الـدين محفوظ، المـدخل إلى العقيـدة والاستراتيجيـة العسكرية الاسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٦. راجع بالاخص ما يتعلق بالعقيدة العسكرية الاسـلامية (٣٤ - ٤٨)، والجهاد في سبيل الله باعتباره جوهرا للعقيـدة المذكـورة (٤٩ - ٦٣)، وتوجيهات الاسلام في القتال من ناحية التأكيد على قوة العقيدة (١٦٩) والنظرية الاسلامية في بناء الـروح المعنويـة (٢٥٢)، واعـداد الشعب للمعركـة بتقويـة روحـه المعنـويـة وارادتـه القتـاليـة (٣٥٥)، والمبدأ الاسلامي العسكري في القضاء عـلى محاولات تـدمير المعنويات أو تفتيت وحدة الأمة (٣٩٤ - ٣٩٧).

٦ - الـدكتـور حسـين فـوزي النجـار، الاسـلام والسيـاسـة، مـطبعـة دار الشعب، القـاهرة، سنـة ١٩٧٧. راجع بـالاخص ما يتعلق بمفهـوم الحرب في الاسلام، الصفحات (٢٦٣ - ٢٩٧).



٧ ـ د. عبدالله شحاته، الدعوة الاسلامية والاعلام الديني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٨. راجع بالاخص ما يتعلق بمفهوم الجهاد في الاسلام، الصفحات (١٣٩ ـ ١٤٦).

٨ ـ الدكتور محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الاسلامية، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩. راجع بالاخص ما يتعلق بالجهاد، ص (٢٧١).

ب ـ الجيش العقائدي السوفيتي

كانت تجربة الجيش الاحمر في ثورة اكتوبر ١٩١٧ في مرحلته التأسيسية[١٠] وما رافقها من احداث وتطورات ، هي اول تجربة من نوعها في التاريخ الاوروبي الحديث .

وقد ظهر الجيش الاحمر إلى الوجود باعتباره اول جيش عقائدي بالمعنى العلمي الدقيق في القرن العشرين . وكان القادة المؤسسون للجيش الاحمر وعلى رأسهم لينين[١١] على درجة عالية من المرونة الثورية التي دفعتهم إلى الاستفادة القصوى دون تردد من التجارب الاجنبية العالمية الاخرى ، وحتى البرجوازية الاوروبية منها ، عن علاقة الجيش بالسياسة ، وبوجه الخصوص نظريات كلاوزوفيتز[١٢] في هذا الصدد . وكان

(١٠) يبيشيف: بعض قضايا العمل الحزبي السياسي في القوات المسلحة السوفيتية، دار التقدم، موسكو، ص ٣٦.

(١١) Deutscher, I., **The Prophet Armed, Trotsky: 1879- 1921,** (Oxford Univertsity Press) London, 1954, p.477.

(١٢) ادوارد ميد ايرل: اعلام الفكر الاستراتيجي المعاصر من ماكيافلي الى هتلر، باللغة الانكليزية، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة الامريكية، سنة ١٩٤٨، راجع =

السوفيت في تلك الفترة افضل من وضع تلك النظريات موضع التنفيذ الناجح ، وطبقوها في ظروف ذاتية وموضوعية معينة تطبيقا متلائما مع

= الفصل المتعلق بالمفاهيم السوفيتية عن الحرب والمعنون «لينين وتروتسكي وستالين» ص ٣٢٢ ـ ٣٦٤ ، وبالاخص ص ٣٢٣ . وآراء لينين عن كلاوزوفيتز في البحث المعنون (لينين ومسائل الحرب) في المجلة السوفيتية (البلشفي) . موسكو سنة ١٩٣٠ ، ص ٧٠ ـ ٧٩ ، وتعليقات لينين على آراء كلاوزوفيتز في كتيب مستقل طبعته الحكومة السوفيتية بموسكو سنة ١٩٣٣ . ويبدو أن لينين قد تأثر على الارجح بفكر ماكيافلي ايضا .

ومن الطبيعي أن ينطوي الاطلاع على كلاوزوفيتز على التأثر بماكيافلي الذي تأثر به كلاوزوفيتز وتتلمذ عليه واخذ منه . «راجع : ادوارد ميد ايرل ـ اعلام الفكر الاستراتيجي ، المصدر السابق ص ٢٥ » . واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الماكيافلية تعني في المفهوم المألوف أن الغاية تبرر الوسيلة وان الضرورات تبيح المحظورات ، فسنجد الاحتمال قويا للغاية ان القادة السوفيت الاوائل ، ومنهم لينين ، قد اخذوا بها في التخطيط واعتمدوا عليها في التطبيق «راجع ناثان لايتيس : الخطة العملياتية للمكتب السياسي ـ البوليتبورو ـ دراسة تحليلية للاستراتيجية السياسية الشيوعية والمبادىء العملية التي انتهجتها ، طبعة ماكرو هيل باللغة الانكليزية ، نيويورك ، سنة ١٩٥١ ، الترجمة العربية غير المنشورة ، الفصل الثالث عن الوسائل والغايات ، الصفحات ١٦ ـ ٢١ » . وتوجد اشارات مباشرة ومصادر اساسية عن تأثر لينين بكلاوزوفيتز ، ندرجها كما يلي :

اولا ـ بيتر ديكسن ، كيسنجر ومعنى التاريخ ، مطبعة جامعة كامبريدج سنة ١٩٧٨ ، باللغة الانكليزية . راجع الهامش رقم (٣) ، ص ١٦٨ . وقد افاد أن كيسنجر قد اشار الى كلاوزوفيتز مرة واحدة فقط في كتاباته ، للايضاح كيف ان لينين وستالين قد استفادا من كتابات المفكر الاستراتيجي البروسي في تطوير العقيدة العسكرية السوفيتية . وقد وردت تلك الاشارة في الفصل المخصص للفكر الاستراتيجي الصيني ـ السوفيتي في كتاب كيسنجر المعنون «الاسلحة النووية والسياسة الخارجية» المطبوع باللغة الانكليزية في سنة ١٩٥٧ .

ثانيا ـ الدكتور هنري أ. كيسنجر ، الاسلحة النووية والسياسة الخارجية ، طبعة نورتن باللغة الانكليزية ، نيويورك ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ . وقد حلل مفهوم لينين في الحرب باعتبارها انعكاسا للصراع الطبقي ، وافاد انها ليست شرا لا بد منه او وسيلة من نوع «آخر الدواء الكي» ، بل انها ليست الا شكلا من اشكال الصراع الدائم المستمر ، ويصبح شنها واجبا اذا اقتضته موازين وعلاقات القوى ، والا فينبغي تجنبها بأي ثمن . وفي ضوء ما تقدم ، رفضت العقيدة الاستراتيجية السوفيتية ان تعترف بوجود اعتبارات عسكرية خالصة مجردة . ومن هنا كتب لينين قائلا : «ان الحرب هي جزء من كل ، والسياسة هي الكل . . . الظواهر لا تتطابق مع الحقائق . وتكون الحروب اقرب ما تكون من الاعتبارات =

معطيات الزمان والمكان والواقع الوطني ، وطوروها تطويرا خلاقا بعيدا عن قيود واغلال التقليد الاعمى والاستنساخ الحرفي .

وقد أفاد كلاوزوفيتز في عبارة مأثورة عن علاقة الحرب بالسياسة قائلاً : « ان الحرب هي السياسة بوسائل عنيفة ، والسياسة هي الحرب بوسائل لطيفة ، وان الحرب هي اداة السياسة ، تحمل طابعها وتستخدم ميزاتها ، وان ادارة الحرب في مستوياتها العليا هي السياسة وقد استبدلت القلم بالسيف ولكنها احتفظت مع ذلك بقوانينها الخاصة »[١٣] .

ويبدو في ضوء تلك المقولة ، ان العلاقة بين الحرب والسياسة في الحروب التي تنشب بين الامم تكون غالبا غامضة ، ولكن تلك العلاقة تكون أوضح في الحالات غير الاعتيادية ولا سيما في الحروب الاهلية ، وهي واضحة تماما بوجه اخص في التجربة السوفيتية .

فقوانين السياسة سيطرت على كل مرحلة من مراحل الحرب الاهلية الروسية تقريباً ، وفرضت التحركات العسكرية على المقاتلين وادت في النهاية إلى حسم الموقف في ميدان القتال[١٤] . واتخذت القيادة السوفيتية في

= السياسية عندما تبدو وكأنها اقرب ما تكون من الاعتبارات العسكرية». وكشف كيسنجر عن شروح وتعليقات لينين على هوامش كلاوزوفيتز . واشار الى ما كتبه لينين على مجلد من مجلدات كلاوزوفيتز كما يلي بالحرف الواحد: «أن هذا المجلد يتألف من سلسلة من النقاط الرائعة». راجع القائمة التفصيلية الكاملة للشروح والتعليقات المذكورة على الهوامش الاصلية من اعمال كلاوزوفيتز في المصدر التالي باللغة الفرنسية: برتولد س. فريدل، اعمال لينين الكاملة، رقم ١٨٦٧٤، ارشيف معهد لينين بموسكو، الاسس النظرية للحرب والسلام في الاتحاد السوفيتي، باريس، طبعة ميديسينس باللغة الفرنسية، سنة ١٩٤٥، ص ٤٧ ـ ٩٠.



(١٣) كارل فون كلاوزوفيتز : في الحرب، ترجمها عن الالمانية الى الانكليزية العقيدة ج.ج. غراهام، طبعة روتليدج وكيغان بول، لندن، سنة ١٩٥٦، ص ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٥.

(١٤) ولكن الباحث البريطاني (جون اليس) قد طرح نظرية اختلفت بدرجة أو بأخرى عن =



الفريق الركن بكر صدقي رئيس أركان الجيش.



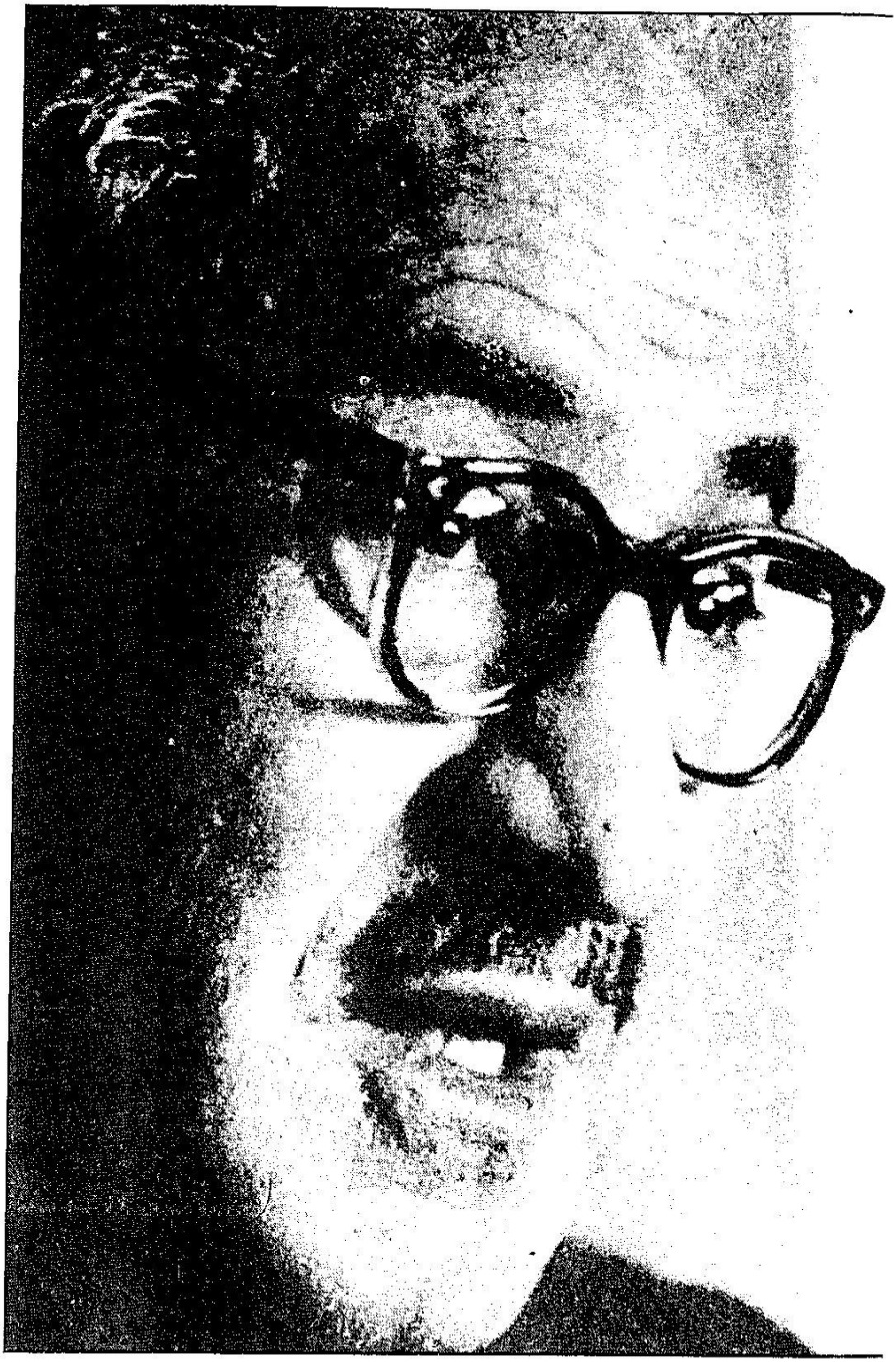
السيد علي جودة الأيوبي.



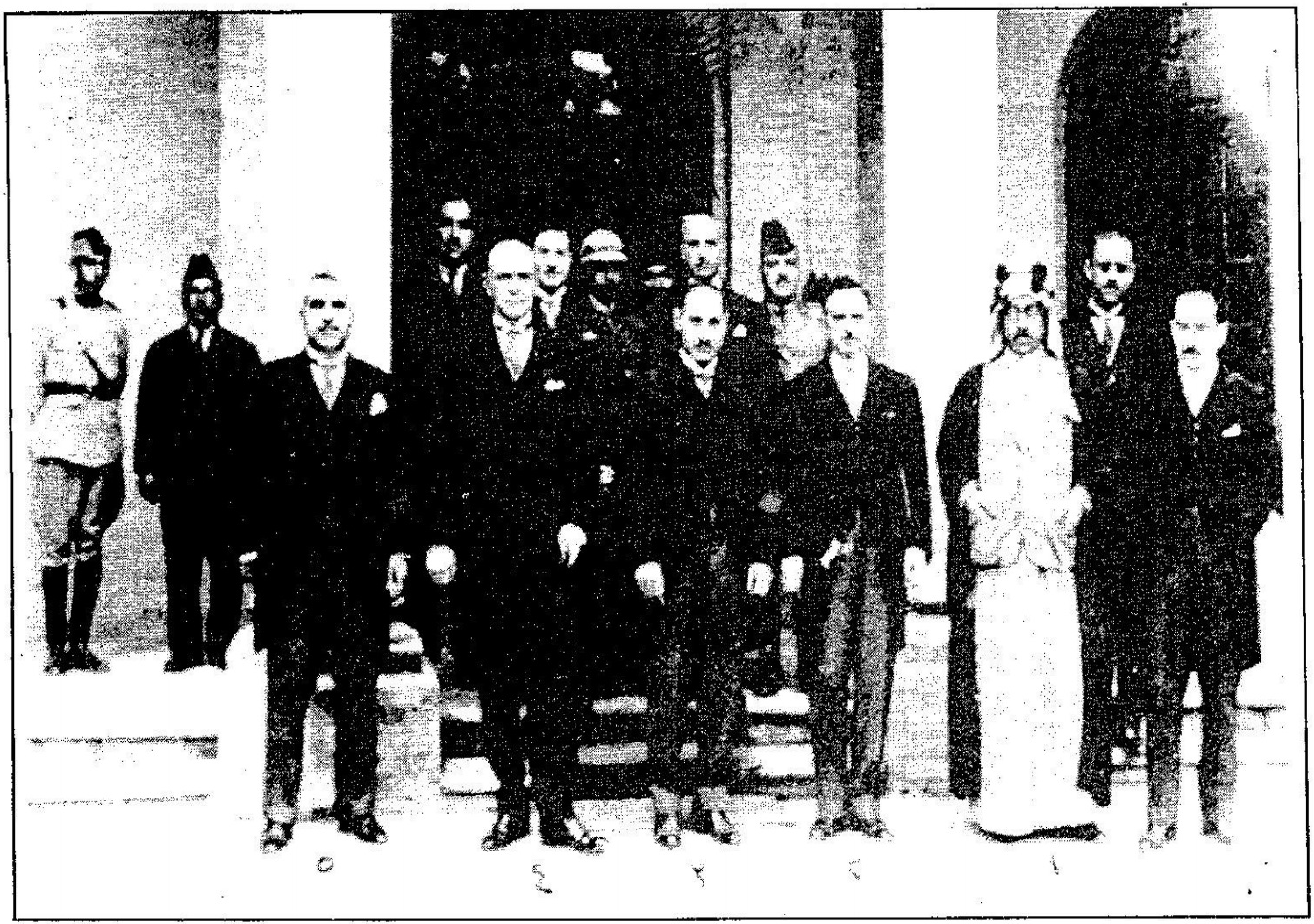
الفريق الركنِ جعفر العسكري.



السيد جميل المدفعي.



السيد رشيد عالي الكيلاني



وزارة رشيد عالي الكيلاني



السيد صالح جبر متصرف البصرة وقت الثورة.

الحرب الاهلية بتوجيه من لينين موقفا متميزا يربط الجيش بالسياسة ربطا وثيقا . فاستلت السيف ، ولم تتخل عن القلم بل استخدمت كليهما معا . وقد وصف (دويتشر) في تلك المقولة ادق وصف المنهج الذي اتبعته القيادة السوفيتية التي كانت مكلفة حينذاك بتأسيس الجيش الاحمر من نقطة الصفر[١٥] . فالنظام القيصري كان قد انهار كليا ، والجيش القديم كان قد انحل ، بإستثناء وحدات قليلةانضمت إلى الثورة[١٦] . وبالرغم من ذلك ، امر لينين بحلها لئلا تنقل عدوى الفساد البرجوازي الاقطاعي من الجيش القيصري القديم إلى الجيش الأحمر الجديد[١٧] . ولم تمتلك الثورة في اكتوبر ١٩١٧ الا عددا من فصائل الانصار وكتائب الحرس الأحمر لا يزيدون في لينينغراد على (٤٠٠٠) مقاتل مسلح وفي موسكو عن

= هذه النظرية في كتابه باللغة الانكليزية المعنون «الجيوش في الثورات» طبعة كروم هيلم، لندن سنة ١٩٧٣، الفصل المعنون ـ الحرب الاهلية الروسية ١٩١٧/ ١٩٢٠، ص ١٦٣ ـ ١٩٩ . والاشارة هنا تعود الى ص ١٩٨ ـ ١٩٩ . وافاد ان الخط الفكري والنهج الايديولوجي للتغيير الثوري للمجتمع الذي اراد ان يحققه الحزب البلشفي، لم يقررا طبيعة الخطط العسكرية التي وضعها. لأنه ما ان استولى على السلطة حتى وجد نفسه مشتبكا في صراع حياة أو موت دفاعا عن النفس وحفاظا على البقاء. ويبدو ان دافع الاستمرار في الوجود والبقاء في السلطة هما اللذان قررا تلك الخطط. ونحن نميل الى الاعتقاد موضوعيا ان هذا الاتجاه يرتبط جوهريا بظروف الوضع الداخلي وتطورات الموقف السياسي. واذا كان الباحث الغربي يعتبر هذا القرار البلشفي انحرافا وتناقضا، فنحن نخالفه في الرأي ونعتقد انه كان موقفا صحيحا وقرارا صائبا في حينه. ولا معنى للنهج الايديولوجي والخط العقائدي، اذا لم يستطع الحزب الحفاظ على استمراره في السلطة، عملا بالقول المأثور الذي افاده لينين «الثورة لا تساوي شيئا ان لم تحسن الدفاع عن نفسها».

(١٥) دويتشر، المصدر السابق، ص ٤٠٥ .



(١٦) بيبشيف، المصدر السابق، الصفحتان ٣٥ و٣٨ .

(١٧) الجيش السوفيتي، لفيف من الباحثين السوفيت، دار التقدم، موسكو، ترجمة عربية للطبعة الروسية الصادرة عام ١٩٦٩، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣٠٠٠)[١٨] . ومن تلك البواكير المتواضعة ، ظهر الجيش الاحمر الـذي بلغ تعداده بعد مرور سنتين ونصف اكثر من (٥) ملايين مقاتل .

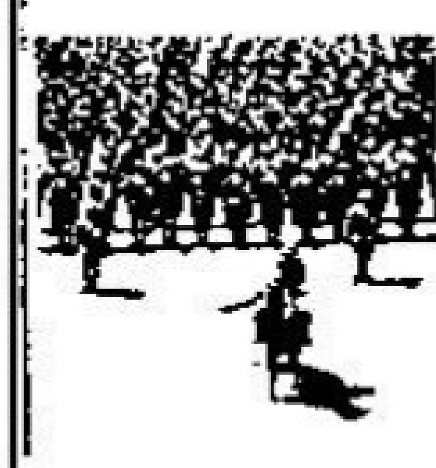
ولا تعطي تلك الأرقام إلا فكرة مبسطة للغاية عن حجم الصعوبات التي واجهها لينين في تأسيس الجيش الاحمر[١٩] . وعندما بدأ لينين في تنفيذ مشروعه العسكري العظيم ، ظهر كما لو انه كان قد احرق ما كان يعبده ، واخذ يعبد ما كان قد احرقه . وكان الحزب البلشفي في العهد القيصري قد ادان العسكرية ، وحرض الجنود على معاداة الضباط والتمرد على الضبط والربط[٢٠] .

وقد نجحت تلك التربية السياسية إلى الحد الـذي وجد فيه الحزب نفسه في مأزق حرج عندما اختلفت الظروف واستدعت تأليف جيش نظامي ملتزم بالضبط والربط[٢١] وان كان عقائدياً[٢٢] .

ومن هنا ، اضطر الحزب إلى اعادة تثقيف كوادره بمفاهيم ومواقف جديدة مختلفة جذريا عن مفاهيمه ومواقفه السابقة . وكما كان التثقيف السابق شرطا لاسقاط النظام القديم ، فكذلك اصبح التثقيف الجديد

(١٨) دويتشر، المصدر السابق، ص ٤٠٥ ، والجيش السوفيتي، ص ٣٣. علما بأن المصدر الثاني قد اورد ارقاما تختلف عن المصدر الأول. راجع ايضا: جون ايليس، الجيوش في الثورات، المصدر السابق، ص ١٧٥ .

(١٩) دويتشر، المصدر السابق، ص ٤٠٥ ، وريابوف، القوات المسلحة في الاتحاد السوفيتي، دار التقدم، وسكو، سنة ١٩٧٥، ص ١٣ ، ٢٥ ، ١١٨ . وقد اختلفت الارقام في المصدر الثاني عن الأول. وراجع ايضا: تروتسكي - مختارات من الكتابات العسكرية، تعريب اكرم ديري والهيثم الايوبي. دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٧١، ص ٢٢، وانظر كذلك ما افاده مارشال الاتحاد السوفيتي اندريه غريتشكو في كتابه باللغة العربية المعنون «القوات المسلحة في الدولة السوفيتية»، دار التقدم، موسكو، سنة ١٩٧٧ ، الفصل الأول، الصفحات: ١١ - ٤٨ .



(٢٠) الجيش السوفيتي، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٠.

(٢١) ريابوف، المصدر المذكور سابقا، ص ١٨ ، تروتسكي، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٢ و٣٦ - ٤٧ .

(٢٢) ييبشيف، المصدر المذكور سابقا، الصفحتان ٧ و٤٦ .

المناقض للأول شرطا لتأسيس الجيش القوي والمتماسك والمنضبط والقدير، والدفاع عن استمرار وبقاء الحزب في الوجود. وقد وصف (دويتشر) هذه التجربة بقوله: «ان الظروف قد اجبرت لينين على تحويل ما كان يعتبره حلالا ثوريا إلى حرام، وما كان يعتبره حراما ثوريا إلى حلال»(٢٣).

تلك هي الصعوبات والظروف التي رافقت تأسيس أول جيش عقائدي بالمعنى الدقيق في التاريخ الاوروبي الحديث. وبعد ان ترسخ الخط الجديد وتأسيس الجيش الاحمر، اصدر لينين امرا بايقاف مجالس الجنود عن انتخاب قادة الفرق(٢٤)، ولم يتردد عن الاستفادة من خدمات الضباط القدماء الذين كانوا ينتمون يوما ما إلى الجيش القيصري(٢٥)، بعد ان انتفى الخوف من نقلهم عدوى الفساد المقبور إلى الجيش الوليد. ويعود السبب في هذا الموقف إلى تقدير لينين بأن الشجاعة والحماسة الثورية والاستعداد للتضحية لا تكفي وحدها في القضايا الدفاعية والعسكرية. فكما أن الصناعة تحتاج إلى مهندسين، والزراعة تحتاج إلى خبراء فنيين(٢٦)، كذلك يحتاج الدفاع إلى العسكريين المحترفين(٢٧).

وقد لعبت الاعتبارات السياسية دورا حاسما(٢٨) في الخطط العسكرية

---

(٢٣) دويتشر، المصدر السابق، ص ٤٠٦.

(٢٤) تروتسكي، مختارات من الكتابات العسكرية، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٢٥) ريابوف، المصدر السابق، ص ٣٢. وراجع ايضا: جون اليس، الجيوش في الثورات، المصدر السابق، ص ١٨٧، وص ١٩٠. كذلك تروتسكي، المصدر المذكور سابقا، الصفحات ٢٤، ٨٠ ـ ٩٧.

(٢٦) الضباط والادارة، تأليف جماعة من الباحثين العسكريين السوفيت، ترجمها الى العربية ابراهيم قندور، دار التقدم، موسكو، سنة ١٩٧٦، ص ٨٣.



(٢٧) دويتشر، المصدر السابق، الصفحتان ٤٠٧ ـ ٤٠٨. وراجع ايضا: جون اليس، الجيوش في الثورات، المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٢٨) الضابط والادارة، المصدر المذكور سابقا، ص ٢٥.

التي انتهجهالينين والتي ادت إلى تأسيس وتطوير الجيش الاحمر وتحويله إلى قوة مقاتلة نظامية وعقائدية في وقت واحد(٢٩) . ومن هنا ، اعتمد اولا وقبل كل شيء على الكوادر الحزبية التي ناضلت في صفوف الحزب قبل الثورة وامتازت بالولاء الثوري الثابت للحزب والموقف العقائدي الصلب الذي امتحنته التجربة ، لانهم يتمتعون بمزية الضبط الذاتي والاحترام المطلق للأمر الحزبي(٣٠)، كما أنهم يستطيعون أن يفرضوا الضبط على الآخرين في الوحدات العسكرية التي يقودونها عسكريا أو سياسيا، بالقدوة أو الاقناع أو التصرف المناسب المستند الى التجربة النضالية . ومن الملاحظ، أن تلك الكوادر الحزبية العسكرية لم تتخرج في المعاهد والكليات المتخصصة في فنون الحرب وشؤون الدفاع ، وانما نمت تجربتها في خضم النضال السياسي والقتال الحقيقي . ولم تقم القيادة السوفيتية باستدعاء الفلاحين والشرائح الاجتماعية الأخرى إلى الخدمة العسكرية ، الا بعد ان رسخت قدم النواة الحزبية الصلبة في الجيش الاحمر .

وقد برزت من تلك الكوادر الحزبية العسكرية عناصر قيادية لامعة لعبت ادوارا مهمة في الحرب العالمية الثانية . وقد اقرت القيادة صيغة جديدة للعلاقة بين الحزب والجيش ، فوضعت المسؤول السياسي (القوميسار)(٣١) إلى جانب القائد العسكري على جميع المستويات(٣٢) . وتحددت واجبات ومسؤوليات المسؤول السياسي والقائد العسكري تحديدا واضحا بضوابط خاصة . فالقائد العسكري اصبح مسؤولا عن التدريب وادارة العمليات ، والمسؤول السياسي اصبح يقوم بمهمات تثقيفية ومعنوية

---

(٢٩) بيبشيف، المصدر المذكور سابقا، ص ١٤ ـ ٣٥ .

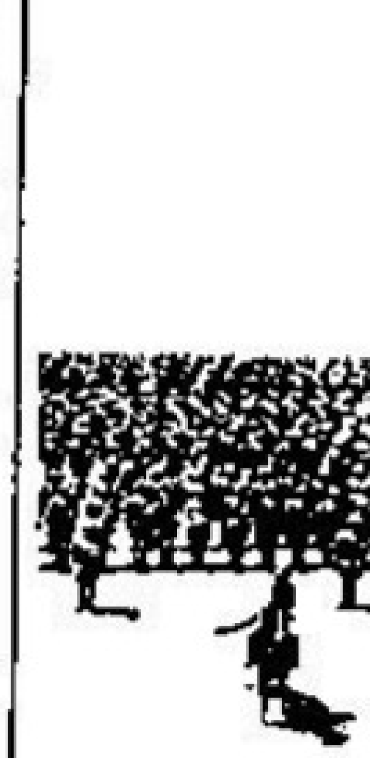
(٣٠) بيبشيف، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٧ .

(٣١) ريابوف، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٢ .

(٣٢) بيبشيف، المصدر السابق، ص ٤٨ . وراجع كذلك: تروتسكي، مختارات من الكتابات العسكرية، المصدر المذكور سابقا، ص ٢٥، ٨٠، ٨٣، ١١١ و١١٢ .

تتعلق بالضبط وتوعية الجنود في الجوانب العقائدية والسياسية[٣٣] . ولكن هذه التجربة الجديدة ، على الرغم من ضوابطها ، قد اكتنفتها بعض المشاكل والصعوبات . فالقائد العسكري قد شعر بالنفور من سيطرة المسؤول السياسي ، كما ان المسؤول السياسي لم يستطع أن يتقبل وضعا يكون فيه خاضعا للقائد العسكري عسكريا بينما يكون القائد العسكري خاضعا له سياسيا[٣٤] . ولكن مرور الزمن وتعاظم الوعي وازدياد الشعور بالحاجة إلى التعاون في ممارسة المسؤولية ومواجهة الخطر المشترك ، قد ساهمت كلها مساهمة فعالة في الوصول إلى الحل المقبول في الوقت المناسب .

وعلى الرغم من الصعوبات والمشاكل التي اكتنفت هذه التجربة الفريدة أو الصيغة الجديدة ، فانها قد فرضت نفسها بحكم الظروف التي كانت قائمة في تلك الفترة ، ولم يكن لها بديل اطلاقا . فمن جهة ، لو سيطر الضباط القيصريون القدماء سيطرة مطلقة على القيادات العسكرية في الجيش الاحمر ، لتعرض الجيش الى انهيار سياسي . ومن جهة أخرى ، لو اشغلت المراكز القيادية على جميع المستويات بالكوادر البلشفية الحزبية التي تنقصها الخبرة العسكرية ، لتعرض الجيش إلى هزة محققة في ميدان القتال . ويبدو من الأوامر والتعليمات التي اصدرتها القيادة السوفيتية ، ان مسؤولية الضابط السياسي (القوميسار) لم تقتصر على اوقات السلم ، بل انها كانت اخطر واكبر في اوقات الحرب . فاذا تراجعت وحدة من وحدات الجيش الاحمر أو قاتلت قتالا سيئا ، فان الضابط السياسي كان أول من يعدم رميا بالرصاص قبل القائد العسكري . ومن الواضح ، ان القيادة قد اعتبرت مسؤولية الضابط



---

(٣٣) جون اليس ، الجيوش في الثورات ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٣٤) دويتشر ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٤١٥ .

السياسي اكبر من مسؤولية القائد العسكري ، في السلم والحرب معا[٣٥] .

وبعد ان نجحت تجربة الضباط السياسيين وبرزت مساهماتهم الواضحة في تحقيق الانتصارات العسكرية[٣٦] . وبوجه خاص في المواقف الحرجة . ظهرت صيغة جديدة للتنظيم السياسي العسكري في الجيش الاحمر . وفي نيسان **١٩١٨** تألف المكتب العسكري الحزبي الثوري المركزي لعموم الجمهوريات السوفيتية الذي اصبح مسؤولا عن اتخاذ واصدار القرارات في المسائل المتعلقة بالسياسة العسكرية[٣٧] . واصبحت الجيوش الميدانية تتسلم اوامرها منه وترتبط به عن طريق لجان عسكرية حزبية فرعية شكلت في كل جيش ، وضمت القائد العسكري للجيش الميداني بالاضافة إلى اثنين أو ثلاثة من الضباط السياسيين (القوميساريين) . وقد اشرفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي اشرافا مباشرا على المكتب العسكري المركزي الذي كان يزودها باستمرار بتقارير عامة عن الموقف السياسي والعسكري في جميع الجبهات[٣٨] .

ومن الجدير بالذكر ، ان التنظيم السياسي للجيش الاحمر قد اقتصر على الحزب الشيوعي السوفيتي فقط[٣٩] ، وحرم تحريما باتا قيام اي تنظيم حزبي أو نشاط سياسي آخر في الوسط العسكري[٤٠] . وينبغي أن نعترف انصافا بأن القرار المذكور قد ادى إلى توحيد الجيش الاحمر وتوحيد

---

(٣٥) دويتشر، المصدر السابق، ص ٤٢٠ و٤٢١ .
(٣٦) جون اليس، الجيوش في الثورات، المصدر السابق، ص ١٩٧ .
(٣٧) يبيشيف، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٥ و٤٧ .
(٣٨) دويتشر، الصفحتان ٤٢٢ و٤٢٣ .
(٣٩) يبيشيف، المصدر المذكور سابقا، ص ٢٧ .
(٤٠) الضابط والادارة، المصدر المذكور سابقا، ص ٢٥ ـ ٢٩ .

القيادتين السياسية والعسكرية وانتصار الحزب الشيوعي وبناء النظام الجديد . وقد انسحب هذا القرار من الوسط العسكري إلى الوسط المدني ايضا في وقت لاحق . ولكن القيادة السياسية السوفيتية للحزب والجيش في تلك المرحلة لم تقف عند هذا الحد، بل ذهبت إلى ابعد من ذلك بكثير . فاصدرت امرها بأن يعتبر اي تذمر في الجيش بمثابة تمرد مسلح[٤١] . وقررت ان مجال الاختلاف المسموح به في الرأي حتى في التنظيم المدني لا يمكن إلا أن يكون ضيقا ، وينتهي بمجرد انتقال الحزب من مرحلة الحوار إلى مرحلة التنفيذ . واضافت أن المجال المذكور ينبغي أن يكون أضيق منه بكثير في الوسط العسكري[٤٢] .

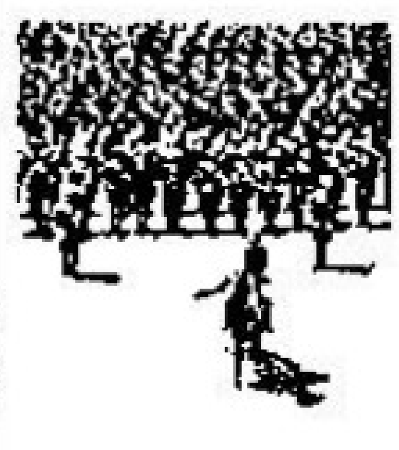
تلك هي الخطوط العريضة والخصائص البارزة للتجربة السوفيتية في تأسيس أول جيش عقائدي في التاريخ الأوروبي الحديث ، وبالاخص من ناحية العلاقة بين الحزب والجيش ، وبين السياسة والحرب ، وبين المسؤول السياسي (القوميسار) والقائد العسكري .

الملحق ب :

نبذة عن أهم وابرز المصادر الأخرى المطبوعة والمتوفرة في حوزتنا حاليا عن الجيش العقائدي السوفيتي :

أ ـ العربية :

١ ـ الماركسية اللينينية وقضايا الحرب والجيش ، باشراف الدكتور في الفلسفة تيوشكيفيتش ، دار التقدم ، موسكو ، سنة ١٩٧٤ ، راجع بالاخص ما يتعلق بالعلاقة المتبادلة بين الحرب والسياسة[١١] ، وخصائص



(٤١) جون اليس، الجيوش في الثورات، المصدر السابق، ص ١٩٥ .
(٤٢) دويتشر، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٣٢ .

الجيوش في الدول الـوطنية الفتيـة (٢٠٦) ، والوجـه السياسي ـ المعنـوي للقـوات المسلحة في الـدول الاشتراكيـة (٢٤٠) ، والمبادىء الاجتمـاعية ـ السياسية للقـوات المسلحة السـوفيتية (٢٥٢) ، والنـظرة السوفيتيـة إلى الأسس السياسية ـ المعنوية للقدرة العسكرية للدول (٣٣٦) ، والعناصـر المعنوية للقدرة الحربية للجيوش من زاوية المفهوم السوفيتي (٣٨٤) .

٢ ـ لينـين والعلم العسكـري ، بـاقـلام مجمـوعـة من البـاحثـين السـوفيت ، دار الفـارابي ، بيـروت ، سنـة ١٩٧٣ . راجـع بـالاخص الفصـل الرابـع المعنون (لينـين والتنظيم العسكـري للدولة السـوفيتية) ، (١٠٧ ـ ١٤٢) . والفصـل الثـامن المعنـون (لينـين والقـوة المعنـويـة) (٢٨١ ـ ٣١٤) .

ب ـ الانكليزية :

١ ـ ريموند ل . كارتهوف ، دور العسكـريين في السيـاسة السـوفيتية الراهنة ، دراسة صادرة عن مؤسسة راند في الـولايات المتحـدة الامريكيـة بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٥٦ .

٢ ـ ريمـونـد ل . كـارتهـوف ، في بحثـه المعنـون (المـاريشـالات والحـزب : العلاقـة بين العسكـريين والسيـاسيين السـوفيت في الفترة بعـد الحرب العالمية الثانية) المنشور في كتاب بعنوان (الحـرب الشاملة والحـرب الباردة) باشـراف هاري ل . كلوس ، اوهـايو ، الـولايات الامـريكية ، سنة ١٩٦٢ .

٣ ـ ريمـوند ل. كـارتهوف ، في بحثـه المعنون (دور العسكـريين في السياسة السوفيتية) المنشور في المجلة الامريكيـة (مشاكـل الشيوعيـة) ، العـدد ٦ الصـادر لشهـري تشـرين الثـاني وكـانـون الأول سنـة ١٩٥٧ ، ص (٤٥) وما بعدها .



ج ـ تجربة الجيش العقائدي الصيني

ما ان يتطرق باحث إلى هذا الموضوع الا ويتبادر إلى ذهنه فورا اسم معين لعب دورا قياديا بارزا في هذه التجربة المثيرة وترك بصمات اصابعه على وطنه وعصره حتى لم يعد من الممكن ان تمحي على الاطلاق ، ذلك هو اسم ماوتسي تونغ القائد الصيني البارز . ومن ابرز الخصائص والخصال التي لاحظها الباحث في شخصيته هي استقلاله الفكري والجهد الدائب الذي بذله في استيعاب التراث الثقافي والتاريخي القومي للصين ، وادراكه الواعي للواقع الوطني الذي عاصره وعاشه . وقد تأثر ماو تأثرا واضحا وقويا بالفكر العسكري الذي وجده عند « سون تزو » في كتابه المعنون « فن الحرب » الذي يعود إلى سنة ٥٠٠ قبل الميلاد(٤٣) . ويبدو ان هذا الاثر اوضح ما يكون في الكتابات العسكرية المتداولة التي انجزها ماو ، مثل : حرب المقاومة(٤٤) والحرب الطويلة الامد(٤٥) وقضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية(٤٦) . كما نجده في كتابات عسكرية اخرى لم تنل ما نالته تلك الكتابات التي ذكرناها في اعلاه من ذيوع واسع واهتمام كبير في العالم الخارجي(٤٧) .

وقد مال ماو في صباه المبكر إلى دراسة الأدبيات التراثية الصينية بنهم وشوق بخاصة ما يتعلق منها بأساطيرها القديمة وكتاباتها العسكرية وملاحمها

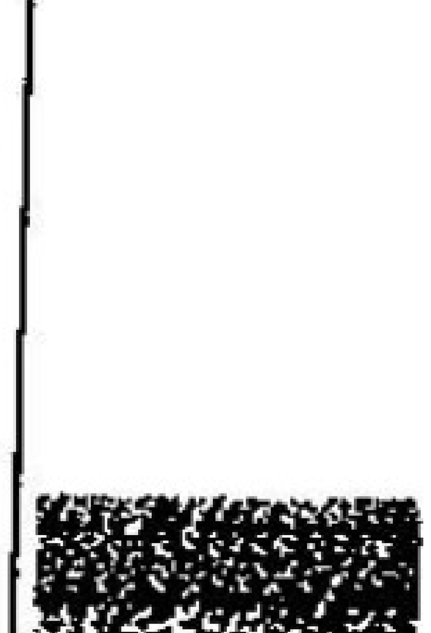
---

(٤٣) روبرت باين، ماوتسي تونغ، سلسلة قادة القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة ١٩٧٦، ص ١١٨ و١١٩ .

(٤٤) مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة، المجلد الثاني، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٩، الصفحات ١٥ ـ ٢٧٠ .

(٤٥) المصدر السابق، ص ١٥٧ ـ ٢٧٠ .

(٤٦) ماوتسي تونغ، قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية، باللغة العربية، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٨ .



(٤٧) سون تزو، فن الحرب، ترجمها الى الانكليزية عن الصينية، صاموئيل ب. غريفيث، مطبعة كلارندن، اكسفورد، بريطانيا، سنة ١٩٦٣، ص ٤٥، راجع الفصل المعنون «سون تزو وماوتسي تونغ»، ص ٤٥ ـ ٥٦ .

البطولية في ثوراتها الغابرة(٤٨) .

ويبدو ان ماو قد لاحظ أن تعاليم سوت تزو يمكن ان تطبق تطبيقا مباشرا في الحروب الباردة أو الساخنة التي شهدتها الصين في حينه أو يمكن أن تشهدها في المستقبل . وعلى الرغم من أن سنوات طويلة قد مرت على الثلاثينيات قبل ان تسنح له الفرصة لاستخدام تلك التعاليم ضد المحتلين اليابانيين في الحرب العالمية الثانية أولا ثم ضد الامبرياليين بعدها في اواخر الاربعينيات ، إلا أنه لم ينتظر طويلا حتى سنحت له فرصة مبكرة في استخدامها بفعالية مدهشة في حرب ساخنة ضد قوات الكومنتانغ التي كان يقودها المارشال شان كاي شيك .

وعندما تعرضت الجيوش الحمراء إلى بعض الهزائم الصارخة على يد قوات الكومنتانغ في المراحل اللاحقة من الصراع الدائر ، اكد ماو أهمية العودة الواعية والمراجعة المتطورة للتعاليم التي وردت في كتاب سون تزو عن فن الحرب . لانه ادرك أن القيادة العليا للقوات الحمراء قد وقعت في خطيئة مميتة هي المبالغة في تقدير القوة الذاتية والاستهانة بالقوة المعادية(٤٩) . فأفاد بالحرف الواحد ما يلي : « ينبغي أن لا نغفل ما أفاده سون تزو المفكر العسكري العظيم في التاريخ الصيني القديم في كتابه

---

(٤٨) ادغار سنو، النجم الاحمر فوق الصين، من مطبوعات نادي الكتاب اليساري باللغة الانكليزية في بريطانيا، لندن، سنة ١٩٣٧، طبعة فيكتور كولانز، ص ١٢٨، راجع الترجمة العربية بقلمي كمال ابو الحسن وكمال العزة، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٧٠، ص ١٣٤ .

وراجع ايضا: روجيه غارودي، ماركسية ماوتسي تونغ، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٧١، الصفحات ١٤ و١٥ و٤٠. وراجع امثلة ونصوص عن هذا الموضوع في: ماوتسي تونغ، قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٨، الصفحتان ٤٥ و٤٦ .



(٤٩) ادغارسنو، النجم الاحمر فوق الصين، نقلها الى العربية عن الانكليزية كمال ابو الحسن وكمال العزة، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٧٠، ص ١٨٤ و١٨٥ .

المعروف ـ فن الحرب ـ عن ضرورة اساسية من ضرورات الحرب هي ان تعرف نفسك وان تعرف عدوك معرفة واقعية موضوعية بعيدة عن المبالغة والاستهانة معا لكي تستطيع ان تنتصر »[٥٠] . وبعد انتهاء المسيرة الطويلة وبناء القاعدة الامينة في مقاطعة (ينان) اعتكف ماو في كهفه وبدأ يكتب . ولم ينفق إلا وقتا قليلا في تحليل اسباب النجاح الذي احرزه الشيوعيون في بعض معاركهم . لأنه ادرك أن تحليل اسباب الهزائم التي عاناها هؤلاء سيعود عليهم بخير أعم ونفع أعظم[٥١] .

وقد اختار ماو اسلوبا معينا ونمطا ملائما يتفق مع ظروف الصين زمانا ومكانا ويقوم على الكر والفر[٥٢] ، ويتلخص في الحرب المتحركة وطريقة الاقتراب غير المباشر التي اشتقها من تعاليم سون تزو بصيغ عصرية متطورة . وكان اثر سون تزو واضحا وقويا في القواعد التي وضعها ماو للقوات التي كان يقودها حينذاك ، وهي كما يلي :

١ ـ عندما يتقدم العدو ، نتراجع .
٢ ـ عندما يتوقف العدو عن الحركة ، نزعجه ونقلقه .
٣ ـ عندما يحاول العدو ان يتجنب المعركة ، نهاجمه .
٤ ـ عندما يتراجع العدو ، نطارده ونلاحقه[٥٣] .

وفي جميع التجارب التي عاناها ، والمعارك التي خاضها ، شعر ماو

---

(٥٠) ماوتسي تونغ، اعمال مختارة، باللغة الانكليزية، طبعة لورنس وشريكه ويشارت، لندن، سنة ١٩٥٥ ، المجلد الأول، ص ١٨٧ ، وراجع عبارة سون تزو في كتابه (فن الحرب)، المصدر المذكور سابقا، ص ٨٤، وانظر عبارة (ماو) ايضا في كتابه «قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية»، باللغة العربية، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٨ ، ص ١٦ .
(٥١) سون تزو، فن الحرب، المصدر المذكور سابقا، ص ٥٠ .
(٥٢) ماوتسي تونغ ، قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية ، باللغة العربية، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٧ .
(٥٣) سون تزو، فن الحرب، المصدر المذكور سابقا، ص ٥١ .

شعورا راسخا بأن الامية المتفشية لا يمكن أن تكون قاعدة صالحة أو صحيحة في بناء قوات مسلحة عقائدية(٥٤) . وادرك أن الحاجة الماسة في تربية الجيش بالروح العقائدية هي ان يكون كل فرد من افراده ، ضباطا وجنودا ، قادرا على ان يقرأ ويكتب . وقد ادى اهتمام (ماو) بالمعنويات وأساليب رفعها وتعزيزها إلى تحقيق نجاحات كبيرة بعد النكسات المريرة التي تعرضت لها ومنيت بها القوات الشيوعية في أواخر سنة ١٩٣٩ .

ويعود هذا الاهتمام في جذره التاريخي والفكري البعيد إلى تعاليم (سون تزو) عن هذا الموضوع(٥٥) . وقد ربط (ماو) بين الجانبين العسكري والسياسي ربطا عضويا وثيقا ، امتاز بالاولوية المطلقة التي اولاها للتثقيف العقائدي . ومن هنا ، افاد (لين بياو) ان نظرية (ماو) تقوم على « ابراز السياسة في بناء الجيش الشعبي » الذي ينبغي ان يبنى سياسيا قبل كل شيء « لان السياسة هي القاعدة ، هي الروح ، والعمل السياسي يعتبر بمثابة شريان حياة الجيش »(٥٦) . ولم يكتف (لين بياو) بذلك ، بل قرر ايضا ان الجيش لا يعتمد فقط على الاسلحة والتقنيات في المعارك التي يخوضها ، لأن اعتماده على السياسة اهم ، اي على الوعي الثوري العقائدي(٥٧) . وقد وافقه الباحث العسكري البريطاني المتخصص في قضايا الصين في فهمه المذكور للخط الماوي بقوله : ان عملية توجيه

---

(٥٤) راجع : نص كلمة الاب القائد أحمد حسن البكر لمناسبة الاحتفال ببدء تنفيذ قانون محو الامية الالزامي ، مجلة (المعرفة) البغدادية ، العدد ٤ ، كانون الثاني سنة ١٩٧٩ ، ص ٤ - ٦ . وبالاخص اشارته الى القوات المسلحة في هذه الحملة الوطنية الكبرى للقضاء على الجهل والتخلف .



(٥٥) سون تزو ، فن الحرب ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٤٧ .

(٥٦) لين بياو ، «عاش انتصار الحرب الشعبية» باللغة العربية ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٣٥ .

(٥٧) المصدر السابق والصفحة ذاتها .

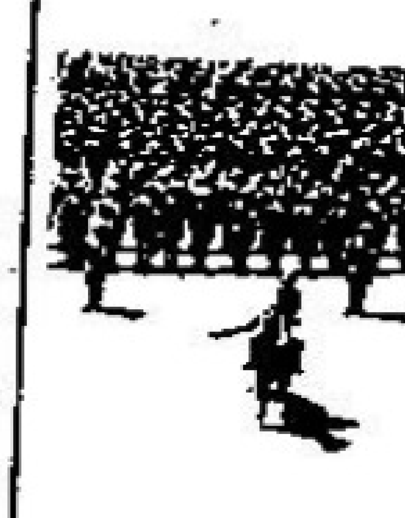
المقاتل توجيها عقائديا ، تبدأ حتى قبل تدريبه على اطلاق النار[٥٨] . وقد اعرب (ماو) في عبارة واضحة عن حرصه الشديد على ايقاظ الوعي القومي باعتباره عنصرا اساسيا من عناصر التثقيف العقائدي والتوجيه السياسي[٥٩] .

ويمتاز ماو في عقيدته العسكرية وشخصيته السياسية باستقلالية بارزة وشجاعة فكرية . ولم يساوره تردد قط في استنباط الدروس من الواقع ونبذ الحلول الجاهزة والنظريات المجردة . ويبدو انه قد استمد خططه السياسية والعسكرية على حد سواء من وطنه الصين واقعا معاصرا وتراثا قديما . ولم يكن ماو منطويا على النفس أو منغلقا على الذات ، بل كان منفتحاً على وطنه وعالمه . ولكنه رفض السير على الطريق السهل بالتقليد والاستنساخ عن القديم في الداخل أو الجديد في الخارج[٦٠] . وعندما كانت دروس الواقع تتعارض مع نظريات الخارج ، كان ماو على الدوام يختار الواقع وينبذ الخارج . ويبدو ان شخصيته وثقافته قد لعبتا دورا ، ربما كان حاسما ، في تحديد ملامح العقيدة التي اعتنقها ومعالم التجربة التي خاضها وقادها . وقد أفاد الأديب الايطالي (البرتو مورافيا) ، في كتابه المعنون « ثورة ماو الثقافية » في عبارات اتسمت بشيء من التحفظ والحذر ، ما يلي

(٥٨) حرب العصابات، بقلمي ماوتسي تونغ وارنست غيفارا ، تعريف خيري حماد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٧، الصفحتان ٣٢ و٣٣. وللمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، راجع ص ٥٣ و١١٣ من هذا المصدر.

(٥٩) المصدر السابق، ص ١١٤ .

(٦٠) راجع مقولة السيد الرئيس القائد صدام حسين ، في كتابه المعنون (نظرة إلى الدين والتراث) : « ان الناس العاجزين عن الابتكار هم الناس الذين يقلدون الآخرين ويستنسخون عنهم . وفي مجتمعنا نوعان من المقلدين : نوع مستنسخ عن القديم وهم ـ اليمينيون والرجعيون ـ ونوع مستنسخ عن (الجديد) ومنهم بعض الحركات السياسية التي تستعير معالجات وتجارب الشعوب الأخرى . . اما نحن فلدينا القدرة على الابداع والمعالجات الخلاقة والمتطورة . . » حديث الرفيق صدام حسين في اجتماع مكتب الاعلام في ١١ / ٨ / ١٩٧٧ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٤ .



بالحرف الواحد : « ان ماو قد قام بتلوين ماركس بتعاليم كونفوشيوس . . غير أن ما هو أكثر أهمية من صبغ افكار ماركس بتعاليم كونفوشيوس الذي بدأه ماو ، ذلك التلوين الكونفشيوسي الغريزي والتلقائي الذي اخضعت له جماهير الصين تلك الماركسية ذات التعبير الصيني التي هي الماوية . . لقد قام ماو بمطالعة ماركس ، هذا صحيح . بيد أن الجماهير الصينية سوف تقتصر على مطالعة ماو »[٦١] .

وقد تحدث المفكر الفرنسي (روجيه غارودي) في كتابه المعنون (ماركسية ماوتسي تونغ) عن تكوينه الفكري ونسيجه الثقافي ، بوضوح اعظم وتفصيل اكثر[٦٢] ورسم صورة دقيقة للواقع الثقافي والوضع الفكري الذي عاشه (ماو) وعاصره في شبابه المبكر[٦٣] . ويبدو ان فكره قد امتاز بسمتين بارزتين في هذه الفترة ، هما : النزعة القومية والروح العسكرية[٦٤] . وقد اعرب غارودي عن اعتقاده أن شخصية ماو تعود في جذورها الكامنة إلى تراثه الصيني ، وان اهتمامه بمجد الصين كان على الأغلب اكثر واشد من اهتمامه بالثورة العالمية[٦٥] . كما مال غارودي ايضا إلى التأكيد بأن نظرة ماو إلى الشعب الصيني باعتباره طبقة ثورية واحدة يضطهدها الامبرياليون دون تمييز ولا استثناء ، وقد امكنه ان يكون قوميا حريصا على الوطن والتراث من جهة ، وثوريا متمردا على الظلم الاجتماعي والواقع المتخلف ومطالبا بالتغيير الجذري من جهة أخرى ،

---

(٦١) البرتو مورافيا ، ثورة «ماو» الثقافية ، ترجمة وحيد النقاش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٣٨ ـ ٤٠ .

(٦٢) روجيه غارودي ، ماركسية ماوتسي تونغ ، دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٧١ ، راجع : الفصل المعنون (تكوين فكر ماوتسي تونغ) ، ص ١٠ ـ ١٦ ، ٢٤ .

(٦٣) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

(٦٥) المصدر السابق نفسه ، ص ١٦ .

في وقت واحد وعلى حد سواء[٦٦] . وقد وصف (غارودي) وصفا دقيقا ، كيف امتزجت العوامل الشخصية بالعوامل العقائدية في (ماو) ، وافاد : « ولقد كان لكل من هذين الهدفين : الثورة الاجتماعية للتغيير والثورة القومية للتحرير ، مكان محدد في نظام فكري متلاحم في رأس ماو . . ومن اعمق صفات شخصيته : رغبته في التشبه بمثال الفلاحين الذين تمردوا في قديم الزمان على سلطة ظالمة وفاسدة ، ورغبته في الوقت نفسه في تقمص عظمة الماضي »[٦٧] .

ويمكن تلخيص الوضع الذي واجهه ماو في تلك الفترة كما يلي :

كان (لي لي سان) سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعي في اواخر الثلاثينيات وكان ماو قائدا عاما للقوات المسلحة الشيوعية . وكان (لي لي سان) يلتزم بالنصوص الحرفية والتعاليم التقليدية للماركسية اللينينية الكلاسيكية . فقرر في ضوء ما تقدم ان المدن هي القواعد الحقيقية للثورة وان العمال هم جنودها وقادتها معا . واوشك عناده النظري المحدود المفتقر إلى التقدير الواقعي السليم ، ان يقصم ظهر الجيش الاحمر الصيني[٦٨] . ولم يتردد ماو في الخروج عن طاعة (لي لي سان) ولجنته المركزية التي استوحت نظرياتها وتعليماتها من التجارب الاوروبية والسوفيتية . وقرر ماو ان الأرياف هي القواعد الحقيقية للثورة في الصين وان الفلاحين هم جنودها وقادتها معا[٦٩] . وكان خروج ماو

---

(٦٦) المصدر السابق، ص ٢٤ .

(٦٧) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٠ و٤١ .

(٦٨) راجع نقد (ماو) للخط الخاطىء الذي اتبعه (لي لي سان) ف: مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة، باللغة العربية، المجلد الأول، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٨، ص ٢٨٦ .

(٦٩) روجيه غارودي، المصدر المذكور سابقا، ص ٣٣ . وراجع أيضا عن اعتماد الحزب الشيوعي على الطبقة الفلاحية وانبثاق الجيش الاحمر من الثورة الزراعية، مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة، باللغة العربية، المجلد الأول، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٨، ص ٢٩٠ .

على (لي لي سان) قد حدث في ١٣ أيلول سنة ١٩٣٠ . وقد اعتبر هذا اليوم تاريخا رسميا شهد ميلاد الخط الماوي المتميز في الفكر والعمل معا وعلى الصعيدين السياسي والعسكري في وقت واحد(٧٠) .

ومن الجدير بالذكر والاهتمام أن الباحث قد اخضع كتابات ماو العسكرية إلى دراسة دقيقة وموضوعية ومستفيضة. واقتنع في ضوء ما تقدم بالنتيجة التالية : - وجد ان كافة الأمثلة العسكرية على الصعيدين الفكري والعملي التي اشار لها ماو واستشهد بها واستنبط منها الدروس والعبر هي امثلة صينية خالصة تتعلق اما بتجربة واقعية معاصرة واما بدراسة تراثية قديمة(٧١) .

كما لاحظ أن ماو قد امتنع امتناعا يبدو عامدا ومقصودا عن ذكر - مجرد ذكر - حتى مثال واحد من التجارب والأمثلة والنظريات المتداولة في الأدبيات العسكرية الماركسية التقليدية السوفيتية والأوروبية معا ، بما في ذلك ثورة ١٨٤٨ وكومونة باريس في سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ وثورة ١٩٠٥ في روسيا القيصرية وثورة اكتوبر ١٩١٧ الاشتراكية وما رافقتها ولحقت بها وقائع واحداث . ولم يقتصر هذا الموقف على الجوانب الفكرية والثقافية فقط ، بل تعداه أيضاً إلى جوانب النظرية المتعلقة بالقضايا العملية . وقد اخذ (ماو) ، كما يبدو ، بسياسة استقلالية واضحة . وقرر ان الجماهير الشعبية لا يمكن أن تحرر نفسها إلا بجهودها الخاصة . ومع أنه لم يمتنع

---

(٧٠) سون تزو، فن الحرب، المصدر المذكور سابقا، الصفحتان ٤٧ و٤٨ . وراجع ايضا: ادغار سنو، الترجمة العربية للمصدر المذكور، ص ١٨٦ .

(٧١) ادغارسنو، النجم الاحمر فوق الصين، نقلها عن الانكليزية إلى العربية كمال ابو الحسن وكمال العزة، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٧٠، ص ١٤٦ و١٤٧ . وقد افاد المؤلف ان ماو قد طالع آدم سميث وداروين وجون ستيوارت ميل وجان جاك روسو وهربرت سبنسر ومونتسكيو وسواهم. ونحن لا نجادل في هذه الحقيقة، ولكننا لم نجد اطلاقا اشارة واحدة الى اي من هؤلاء في كتبه وابحاثه، وربما يعود السبب الى انشغاله بالواقع الوطني وتعلقه بالتراث الثقافي للصين.



عن السعي للحصول على المساعدات الاجنبية بقدر الامكان ، إلا أنه رفض أن تكون بديلا عن الجهد الذاتي والعمل الوطني والاعتماد على النفس[٧٢] .

لقد اوضحنا في الفقرات السابقة ما اعتبرناه مهما وحاسما في الجانب الفكري من الخط الماوي . ويبدو الآن من الضروري ان نعير قسطا من اهتمامنا للجانب العملي. وفي ضوء ما تقدم يستحسن أولا أن نعقد مقارنة عامة ودقيقة بين التجربتين السوفيتية والصينية ، ثم نبين ثانيا النتائج التي ترتبت على التزام (لي لي سان) بالخط التقليدي للماركسية وظهور الخط التجديدي للماوية ، ونتطرق ثالثا واخيرا إلى الأسباب التي ادت ، في اعتقادنا ، إلى نجاح الخط الماوي الجديد وفشل الخط التقليدي القديم .

من الواضح أن التجربة السوفيتية قد عمدت اضطرارا الى تجنيد المقاتلين من بين صفوف الطبقات الفلاحية بأعداد كبيرة . لان روسيا مثل الصين من هذه الناحية كانت لا تزال بلدا زراعيا إلى حد بعيد . فقد قام البلاشفة بتقديم تنازلات تكتيكية مرحلية عديدة إلى الفلاحين الروس بهدف كسب تأييدهم وتعاونهم . ومع ذلك ارغمتهم ظروف الوضع على اتباع سياسة القمع وطريقة الارغام التي فرضتها مستلزمات انتصار الثورة . وقد ساعدهم في انتهاج هذه السياسة أو الطريقة كون النظام القديم قد انهار انهيارا كاملا ، تماما كما حدث لليعاقبة في الثورة الفرنسية[٧٣] ، وتعود النجاحات التي حققها البلاشفة في هذا الميدان ـ مثل تلك التي حققها اليعاقبة من قبل ـ إلى عوامل القهر السلطوي والقسر الاداري ، اكثر مما تعود إلى الاعتماد المنظم على التنسيق الوثيق بين

---

(٧٢) لين بياو، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٤ ـ ٤٦ .

(٧٣) جون اليس، الجيوش في الثورات، طبعة (كروم هيلم) باللغة الانكليزية، لندن، سنة ١٩٧٣، ص ٢٠٥ و٢٠٦ . راجع الفصل المعنون «الحرب الاهلية الصينية في الفترة ١٩٢٦ ـ ١٩٤٩»، ص ٢٠٠ ـ ٢٣٧ .

مطالب الخدمة العسكرية والمطامـح السياسيـة للمواطنـين العاديـين والجنود البسطاء[٧٤] . ومن جانب آخر ، كانت الصين مثل روسيـا مجتمعا زراعيـا تمـاما . وكـان حدوث ثـورة جـذريـة في الصـين يشتـرط معـالجـة حقيقيـة استراتيجية وليست تكتيكية فقط للاسباب التي تدعو إلى التذمر المزمن عند طبقة الفلاحين التي تزداد فقرا باستمرار[٧٥] ذلك لأن الوضع في الصين، مع وجود التشابه ، كان مختلفا اختلافا جذريا من جانب واحد معين في الأقـل عن الوضع في روسيا . لأن النظام الذي تعرض إلى الهجوم في الصين على خلاف مثيله في روسيا ، كـان ابعد مـا يكون عن الانهيـار على الـرغم من فسـاده . لذلـك لم يأمـل الشيوعيـون الصينيون في الاستيـلاء عـلى السلطة بعمل ثوري مفاجيء مسلح سريع كما حدث في روسيا[٧٦] . وقـد انحصر أملهم الوحيد للاستيلاء على السلطة في امتلاكهم جهازا عسكريا وسياسيـاً كبيراً وقوياً قادراً على الدخول في معركة سافرة ومجابهة مباشـرة مع القـوات المعـادية . ومن هنـا ، كانت الحـاجة المـاسة إلى الـوقت الطويـل والعمـل المضني الدائب للتوصل إلى بنـاء مثل هذا الجهاز[٧٧] .

وهكذا وجد الشيوعيون الصينيون أنفسهم مرغمـين على البحث عن قواعد آمنة في مناطق نائية بعيدة عن متناول الاعدا ء ولا يمكن مهاجمتها أو اختـراقها بسهـولة ، يستغلونها في بنـاء ما يحتـاجونـه من قـوات عسكـريـة واجهزة سياسية في بطء شديد وجهد فائق[٧٨] .

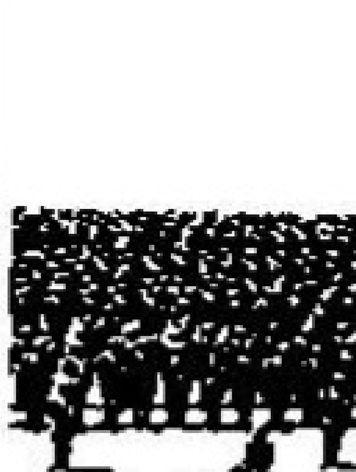
وهكذا كان لا بد أن تقام هـذه القواعـد في الأرياف بـين الفلاحـين



(٧٤) جون اليس، المصدر سابقا، ص ٢٠٦ .
(٧٥) ادغار سنو، المصدر المذكور سابقا في ترجمته العربية، ص ٧٨ .
(٧٦) المصدر السابق .
(٧٧) المصدر نفسه .
(٧٨) كذلك .

الذين كان ينبغي أن يمدوها طوعا واقتناعا بالأغذية والمقاتلين(٧٩) . واذا علمنا أن الشيوعيين الصينيين لم يكونوا ليمتلكوا حينذاك اجهزة قمعية منظمة وفعالة . ادركنا ما دفعهم إلى كسب تأييد الفلاحين استراتيجياً وليس تكتيكيا . واقناعا وليس قسراً ، وبصورة تدريجية لا دفعة واحدة(٨٠) . ومن هنا ، كان عليهم أن يطابقوا بين أساليب واهداف كفاحهم السياسي بالعمل العسكري ومطالب الفلاحين في كفاحهم الاقتصادي والاجتماعي للحصول على اوضاع أفضل ومكاسب اكبر . فكان لا بد ، إذن ، من تلبية مطالب الفلاحين وتحريرهم من أسباب تذمرهم على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي . وكانت هذه الاستجابة من جانب الشيوعيين الصينيين هي الشرط الضروري في نجاحهم بالاستيلاء على السلطة واسقاط دولة (الكومنتانغ)(٨١) . ومن الواضح أن التجربة السوفيتية قد استولت على المدن واستخدمتها في السيطرة على الأرياف اعتمادا على العمال . ولكن التجربة الصينية بالعكس استولت على الأرياف واستخدمتها في السيطرة على المدن اعتمادا على الفلاحين(٨٢) .

ويبدو أن ظاهرة الالتباس وبؤرة الخطأ في (لي لي سان) ولجنته المركزية ، قبل المسيرة الطويلة وقبل انتصار الخط الماوي في سنة ١٩٣٤ ،



---

(٧٩) كان الفلاحون يشكلون ما يزيد عن ثمانين في المائة من مجموع سكان الصين، راجع عن هذا الموضوع، وللمزيد من التفاصيل عن أهمية دور الفلاحين في الخطة الاستراتيجية الماوية، راجع ما افاده (لين بياو) في كتابه باللغة العربية المعنون (عاش انتصار الحرب الشعبية)، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٧، الفصل المعنون (الاعتماد على الفلاحين وتأسيس القواعد الريفية)، الصفحات ٢٣ ـ ٢٥ .

(٨٠) جون اليس، المصدر السابق، الصفحتان ٢٠٦ و٢٢٤ .

(٨١) المصدر نفسه .

(٨٢) راجع (لين بياو)، المصدر المذكور سابقا، للمزيد من التفاصيل عن الخصائص المستقلة للثورة الصينية والفوارق الجذرية التي ميزتها عن الثورة الروسية، ص ٤٩ .

تعود إلى فرضيتين عقائديتين اساسيتين هما : أولا ، ميله إلى تفصيل واقع الصين على مقاس القوالب الماركسية التقليدية الجاهزة واهمال الحقائق الوطنية المتميزة . وثانيا ، قراره بأن الثورة في الصين لا يمكن أن تتحقق إلاّ بوساطة البروليتاريا في مرحلة لاحقة بعد انجاز الثورة البرجوازية(٨٣) . ولم يستطع الحزب الشيوعي الصيني في مرحلة قيادة (لي لي سان) ان يتخلى عن علاقاته الصنمية وروابطه المدرسية مع الماركسية التقليدية(٨٤) .

وإذا لم يكن هناك في الواقع الموضوعي للصين ما يدل على امكان قيام ثورة برجوازية تقدمية حقيقية ، فإن استمرار الحزب الشيوعي على انتظار مثل هذه الثورة واعتماده البروليتاريا باعتبارها الطبقة الاجتماعية المؤهلة للقيادة في المستقبل ، يصبح حينذاك خرقا للواقعية واستسلاما إلى الطوباوية وخروجا على جميع أحكام العقل والمنطق والتاريخ(٨٥) .

وينبغي الآن أن نقرر ، منعا للخلط والالتباس ، أن الحرب الاهلية لم تبدأ بماو ، ولكنها انتهت نهاية ناجحة بقيادته وانتصار الخط الذي كان يمثله . وكان ظهوره على مسرح الأحداث وبروز الخط الذي انتهجه بمثابة رد فعل على الهزائم والاخفاقات التي عاناها الحزب في عهد قيادة (لي لي سان) ومحاولته الفاشلة للسيطرة على المدن(٨٦) . لان المدن لم تكن تشكل المراكز الحيوية في الوضع الاقتصادي العام للصين . ومن هنا لم يكن احتلالها يعني تحقيق السيطرة على البلاد(٨٧) . لأن الصناعة لم تحتل موقعا اساسيا أو حيزا واسعا في حياة المجتمع كما رأينا . وفضلا عن ذلك فان الحزب لم يكن يمتلك الامكانيات الكافية للسيطرة الا على عدد قليل للغاية

---

(٨٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .
(٨٤) كذلك ، ص ٢٠٩ .
(٨٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .
(٨٦) كذلك ، ص ٢١٣ .
(٨٧) المصدر السابق ، الصفحتان ٢١٣ و٢١٤ .



من المدن لا يتجاوز اصابع اليد في وقت واحد[٨٨] . وقد اكتشف (ماو) بنظره الثاقب وذكائه الحاد أن الجنود الفلاحين لا يمكن أن يقاتلوا بحماسة ولا أن ينضموا بأعداد كبيرة إلى الحزب إلا إذا انتهج سياسة ثابتة وجادة في تلبية مطالبهم الأساسية . وادرك أن السيطرة على المدن لا يمكن أن تتحقق إلا في إطار ارياف ثورية متعسكرة . ومن هنا اصبحت المهمة الأخرى والأساسية للحزب الشيوعي الصيني هي تثوير الجماهير الفلاحية في الأرياف وليس تثوير الطبقة العاملة في المدن[٨٩] .

وتلك هي سمة اساسية من سمات الخط الماوي في اختلافه الجذري عن التجربة السوفيتية والقيادة التقليدية القديمة للحزب الشيوعي الصيني في وقت واحد وعلى حد سواء . ويعود السبب في الفشل الذي حاق بالخط التقليدي القديم الذي انتهجه (لي لي سان) إلى محاولته تطبيق دروس التجربة السوفيتية تطبيقا حرفيا على واقع وطني مختلف جذريا . في حين أن سبب نجاح ماو يعود إلى استخلاصه الدروس واستنباطه الخطط من الواقع الخصوصي والمتميز للصين ، حتى لو دخل بذلك إلى تجربة جديدة تتناقض في معطياتها الأساسية مع الماركسية التقليدية بوجه عام والتجربة السوفيتية بوجه خاص[٩٠] . ولكن اتجاهات وخصائص الثورة الصينية لا يمكن أن

---

(٨٨) المصدر السابق، ص ٢١٤ .

(٨٩) المصدر المذكور في اعلاه، ص ٢١٤ ، راجع ايضا ما افاده (لين بياو) عن هذا الموضوع نقلا عن (ماوتسي تونغ)، المصدر المذكور سابقا ص ٢٣ و٢٤ .

(٩٠) ماوتسي تونغ، قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية، باللغة العربية، المصدر المذكور سابقا، الصفحات ٢ ـ ٤ ، اعرب (ماو) عن اعتقاده بأن النظريات الحربية المنقولة عن التجارب الاجنبية لا يمكن ان تحمل خيرا او تحقق نفعا. واذا وقعنا في فخ النقل الحرفي والتطبيق الالي. دون تغيير شكلها ومحتواها، فسوف نكون اشبه بمن يبري قدميه لتلائما الحذاء، سوف نتعرض الى هزيمة محققة. وضرب مثلا محددا وصريحا بهؤلاء الذين ينصحون بنقل خبرات وتجارب الحرب الثورية في روسيا وتطبيقها في الصين، لأن قوانين الحرب تختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان. فكما ان ما يفيد في مكان، لا يفيد في مكان آخر، وقد يضر، فكذلك ما يفيد في زمان، لا يفيد في زمان آخر، وقد يضر ايضا، =

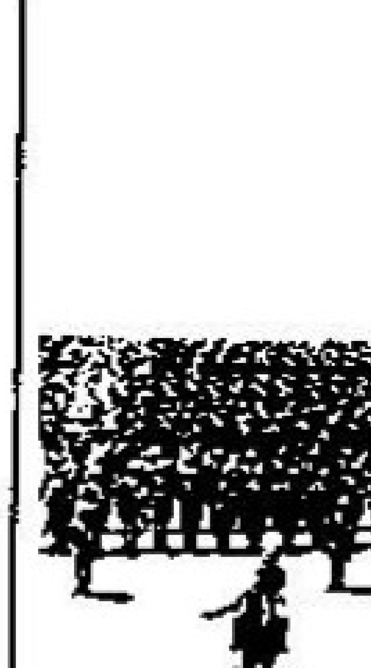
تفهم فهما واضحا ودقيقا وكاملا إلا بفهم معالم الازمة الزراعية التي شهدتها الصين في الفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ وما رافقها ولحقها من افقار تدريجي متزايد للجماهير الفلاحية في المناطق الريفية[٩١] . ففي سنة ١٩٢٧ انجز (ماو) دراسة عن الحركة الفلاحية اكد فيها ضرورة عسكرتها ضمانا للاحتمالات المتوقعة وتوفيرا للفرص المنشودة المؤدية مستقبلا إلى انتصار الثورة في الصين . وانتقد القيادة الرسمية التي كانت تتولى حينذاك توجه الحزب الشيوعي الصيني على موقفها التكتيكي والمائع من الفلاحين[٩٢] . واعرب عن اقتناعه بأن مستقبل ازدهار وانتشار وانتصار النشاط الثوري في الصين ، يقوم على دعامتين اساسيتين : الأولى ، ارتباطه بالفلاحين ارتباطا وثيقا ، والثانية ، صياغته في صورة عمل عسكرية دائب ومتواصل وطويل الأمد[٩٣] .

ومن الاسباب العامة ، كما يبدو في ضوء ما تقدم ، التي ادت إلى نجاح ما وفي خطه الجديد انه كان على استعداد دائم في جميع الاحوال

= لأن الأمم تختلف في خصائصها من أمة إلى أمة، كما تختلف المراحل في الأمة الواحدة من مرحلة الى اخرى. ويتأكد من أن ما تقدم، لا يمثل اجتهادا عابرا او موقفا طارئا، بل يمثل موقفا ثابتا وتيارا اساسيا دائما، إذا راجعنا فقرات اخر كتبت في اوقات مختلفة، مثلا: مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة، باللغة العربية، المجلد الأول، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٨، ص ٢٨٥ .

(٩١) المصدر السابق، ص ٢١٧ .

(٩٢) المصدر السابق، الصفحتان ٢١٨ و٢١٩ وراجع أيضا: ادغار سنو، الترجمة العربية للمصدر المذكور سابقا، الصفحتان ١٦٥ و١٦٧ . وانظر النص الحرفي الكامل للتقرير المذكور: مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة، باللغة العربية، المجلد الاول، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، سنة ١٩٦٨، الصفحات ٢٩ ـ ٨٢. راجع ايضا ما افاده (روبرت باين) عن هذا التقرير في كتابه باللغة العربية المعنون (ماوتسي تونغ) الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في سلسلة (قادة القرن العشرين)، بيروت، سنة ١٩٧٦، الصفحات ١٠٢ وما بعدها .



(٩٣) المصدر السابق، ص ٢١٩ .

والمراحل للمراجعة واعادة تقويم طبيعة الظروف الموضوعية وادخال التغييرات الضرورية على خطه المقرر حتى ولو دخل في تناقض صارخ مع الخط العقائدي والارث الايديولوجي التاريخي للماركسية[٤٩] . وقد التزم التزاما مطلقا بالمعادلة القائلة : أن المهمة المباشرة ذات طبيعة عسكرية ، وإن كل شيء ينبغي أن يخضع مرحليا في الاقل للتقدير المذكور ، وإن أي قرار كائنا ما كان ينبغي أن يعتبر صائبا وصحيحا إذا ضمن النجاح العسكري[٩٥] وهكذا نجد أن (ماو) في المرحلة اللاحقة ، وهي مرحلة الصراع العسكري طويل الامد ، يزيد من اهتمامه بالطبقة الفلاحية تدريجيا ، ويقلل من انغلاقه الايديولوجي اكثر فأكثر بهدف استيعاب اوسع شريحة ممكنة من الطبقة الفلاحية في صفوف الحركة الثورية[٩٦] .

ثمة ملاحظة اخيرة نشير إليها ونختم بها هذا الفصل عن الجيش العقائدي الصيني ، وتتعلق بالفرق في الدور السياسي للتثقيف العقائدي بين التجربتين السوفيتية والصينية . فقد اشرنا في التجربة إلى التمييز الواضح والدقيق بين دور الضابط السياسي (القوميسار) في التثقيف العقائدي من جهة ، ودور القائد العسكري في التدريب والقتال من جهة اخرى . ولكن هذا الوضع قد اختلف في التجربة الصينية . لأن كل مقاتل صيني من فصائل الانصار كان يقوم بالدورين العسكري والسياسي في وقت واحد معا[٩٧] . وربما يعود السبب إلى اعتماد التجربة السوفيتية على صيغة الجيوش النظامية ، واعتماد التجربة الصينية على صيغة الجيوش غير النظامية (فصائل الانصار) . وقد تحولت القوات الصينية الحمراء إلى جيوش نظامية في مرحلة لاحقة متأخرة .



---

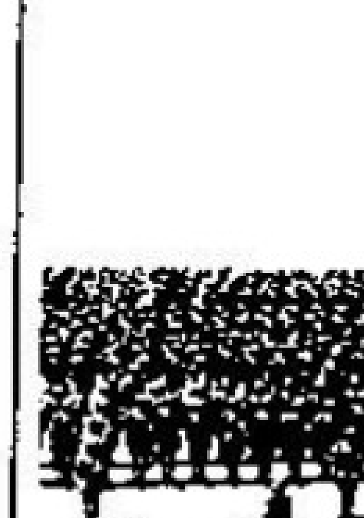
(٩٤) المصدر السابق، ص ٢٢٤ .
(٩٥) المصدر السابق، ص ٢٢٥ .
(٩٦) المصدر السابق، ص ٢٢٥ .
(٩٧) ادغار سنو، الترجمة العربية للمصدر المذكور سابقا، ص ٣١٣ و٣٣٠ .

تلك هي ، في تقديرنا ، الفروق الاساسية بين التجربتين السوفيتية والصينية ، وبين القيادتين التقليدية القديمة والمبدعة الجديدة في التجربة الصينية ، وما تسلطه من اضواء على اسباب فشل الفاشلين ونجاح الناجحين . وهي أيضاً تحديد واضح للخصائص المتميزة والخصال الذاتية المستقلة للجيش العقائدي الصيني والظروف التاريخية التي ادت إلى قيامه وتطوره وانتصاره . ونحن إذا كنا قد اسهبنا إلى حد ما في الحديث عن هذا الموضوع ، فليس لاننا اعطيناه اولوية قاطعة أو افضلية خاصة على التجارب الاخرى التي اشرنا إليها واستشهدنا بها . ولكن لاننا شعرنا بأن المكتبة العربية ، الغنية بالادبيات المتعلقة بالتجارب الاخرى ، لا تزال فقيرة في الدراسات المتعلقة بهذه التجربة على وجه التحديد .

د ـ الجيش العقائدي العربي البعثي في القطر العراقي

قد يستفهم القارىء : لماذا يتطرق الباحث إلى تجربة الجيش العقائدي العربي البعثي في القطر العراقي ، مع انها لم تظهر إلى الوجود إلا في ثورتي رمضان ١٩٦٣ وتموز ١٩٦٨ ؟ وهل هناك علاقة حقيقية مباشرة بين هذه التجربة وتجربة حكومة الدفاع الوطني وانتفاضة مايس في العراق سنة ١٩٤١ تبرر انجاز مثل هذا العمل على صعيد البحث التاريخي ؟ فنجيب باختصار قائلين :

إن هناك فعلا علاقة حقيقية ومباشرة بين التجربة الثورية الناجحة التي حققها حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق والتجربة البطولية المأساوية والجيدة معا التي تمثلها حكومة الدفاع الوطني وانتفاضة مايس ١٩٤١ في تأريخنا القومي الحديث ، وبالاخص من ناحيتين :



اولا ـ من الواضح أن التكتل العسكري الذي كان لولب الحركة ومركز ثقلها قد افتقر إلى التنظيم المتين في صفوف القوات المسلحة ، وارتبط بالتكتل السياسي المدني الذي قاد حكومة الدفاع الوطني . ولكن

هذا التكتل المدني افتقر بدوره إلى تنظيم جماهيري واسع وحقيقي ومنطلق ايديولوجي واضح ودقيق . ويبدو أن التكوين الفوقي والعامل الشخصي قد لعبا الدور الابرز والاهم في التكتلين المذكورين معا . ويبدو أيضاً أن الحزب الذي تأثر بتلك الانتفاضة في حينه عن طريق حركة (نصرة العراق)[٩٨] ، قد استوعب هذا الدرس التاريخي استيعابا كاملا ، فكرا وعملا .

ثانيا ـ وليس عبثا أن يبدأ الحزب منذ اللحظة الاولى من تسلمه السلطة في سنة ١٩٦٨ ، بتنظيم الجيش الشعبي وتدريب فصائل الفتوة وكتائب الشباب على حمل واستخدام الاسلحة بكافة انواعها الخفيفة والثقيلة . لأنه قد استوعب في الواقع فعلا ، استيعابا كاملا التجربة البطولية التي لم تمتلك اسباب النجاح في سنة ١٩٤١ ، تجربة منظمات الفتوة وكتائب الشباب التي قادها الشهيد البطل يونس السبعاوي في حينه والتي افتقرت إلى الوقت الكافي والدعم المادي والسياسي والتدريب الجاد الطويل[٩٩] .

ومن هنا ، وفي ضوء هذه العلاقة التاريخية والمقارنة الموضوعية ، تطرقنا في البحث باختصار وايجاز إلى تجربة الجيش العقائدي العربي البعثي في القطر العراقي ، تأكيدا على استمرارية التاريخ القومي ، وتسليطا للضوء على التطوير الثوري للصيغ والاشكال التي شهدها العراق في

---

(٩٨) راجع نصوص الوثائق التاريخية عن حركة (نصرة العراق) المنشورة في مجلة (دراسات عربية) التي تصدر عن دار الطليعة في بيروت، العدد ٧، السنة ١٩٧٥، ص ١٤٠ - ١٤٤.

(٩٩) خيري العمري، يونس السبعاوي: سيرة سياسي عصامي، دار الحرية، بغداد سنة ١٩٧٨، ص ٨٧ و٨٨. وراجع بالخصوص ما عاناه من متاعب وصعوبات في استحصال الأموال والاسلحة واقناع المسؤولين بأهمية كتائب الشباب في اسناد القوات المسلحة. وانظر بالاخص عبارته المأثورة في هذا الصدد: «انني احارب في جبهتين: الأولى في مجلس الوزراء والثانية في جبهة القتال».



تجارب مبكرة ومراحل سابقة .

ويرى المتتبع للنشاط السياسي في الجيش العراقي أن المرحلة الاولى من النشاط المذكور التي بدأت مقدماتها في سنة ١٩٣٢ وما تبعها قد انتهت في سنة ١٩٣٦ . وإن المرحلة الثانية التي بدأت مقدماتها في سنة ١٩٣٦ وما تبعها قد انتهت في سنة ١٩٤١ . ونحن هنا نتحدث عن المرحلة الثانية بالتحديد من النشاط السياسي للجيش العراقي . ولم نتحدث عن المرحلة الاولى إلا بالقدر الذي يساعدنا في تسليط الاضواء على المرحلة الثانية . ولكن توجد مرحلة تأسيسية ، من الناحية التاريخية وليس السياسية ، تمتد من ١٩٢١ (تاريخ تأسيس الجيش العراقي) إلى ١٩٣٢ (تاريخ دخول العراق إلى عصبة الامم وزوال الانتداب المباشر وتحقيق الاستقلال الزائف). إلا أن هذه المرحلة التاريخية قد امتازت بخلوها إلى حد كبير ، من أي نشاط سياسي منظم ، لأن الاحتلال العسكري والانتداب الاجنبي المباشر يمنعان أو يعرقلان في الاقل قيام الجيش بنشاط سياسي أو بانقلاب عسكري[١٠٠] ، فضلا عن افتقار الجيش الوليد في ايامه الاولى إلى كوادر واعية قادرة على العمل السياسي المنظم أو القيام بانقلاب عسكري .

وبذلك يمكن القول أن الفترة التاريخية من ١٩٣٦ - ١٩٤١ تمثل الحقبة الاولى من النشاط السياسي في الجيش العراقي . وبانتهائها تبدأ مرحلة جديدة وفترة ثانية اتسمت بتطور العلاقات النضالية في النشاط السياسي بين القوات المسلحة والاحزاب السياسية ، ولا سيما في فترة الاستعداد التي سبقت ثورة ١٩٥٨ .

وقد شهدت الفترة الثالثة من ١٩٤١ - ١٩٥٨[١٠١] للعمل السياسي

(١٠٠) Be'eri, Eliezer, **Army Officers in Arab Politics and Society,** Praeger- Pall Mall, (London, 1970), p.251.

(١٠١) راجع الملحق الختامي بالفصل الثالث عن المصادر العربية المتوفرة لدينا حاليا عن النشاط السياسي للضباط الاحرار في الجيش العراقي في الفترة الثالثة المذكورة بالتحديد.

في الجيش العراقي احداثا لم تشهدها في المرحلة الثانية . ومن ابرزها نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وقد خابت الآمال الكبيرة التي عقدتها الجماهير العربية والقوات المسلحة في ١٩٤٨ بوجه اخص في تحقيق نصر نهائي وخاطف على العدو الصهيوني . وظهر الوجه القبيح للخيانة عاريا . وتركت تلك الاحداث الدامية والاليمة جروحا غائرة لا تندمل في قلوب الضباط الذين اشتركوا في القتال ورفضوا القبول بالهزيمة .

أما على الصعيد الداخلي فإن هذه المرحلة قد شهدت بواكير العمل الحزبي المنظم في القوات المسلحة . ففي سنة ١٩٥٤ ، نشأت في الجيش العراقي اول خلية للضباط الاحرار بالرغم من الصعوبات الجمة التي عاناها هذا التنظيم في تلك الفترة(١٠٢) . واول الاحزاب السياسية التي بدأت العمل في صفوف القوات المسلحة حينذاك أو بالاحرى أقامت علاقات مع منظمة الضباط الاحرار كان حزب البعث العربي الاشتراكي . أما الحزب الشيوعي العراقي فقد عارض ، من حيث المبدأ ، سياسة استخدام الجيش للقيام بالتغيير الثوري في اوائل الفترة الثالثة . ولكنه انقلب في موقفه السياسي رأسا على عقب في أواخر تلك الفترة ، انتهازاً للفرص التي سنحت في ضوء الظروف الجديدة ، وبالاخص في اعقاب العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ والهزة العنيفة التي احدثها في

---

(١٠٢) راجع الدكتور فاضل حسين، سقوط النظام الملكي في العراق، دار الهنا للطباعة، القاهرة، سنة ١٩٧٤، ص ٦٣ و٦٤. وقد افاد ان عددا من تشكيلات الضباط الاحرار في القوات المسلحة قد ظهرت الى الوجود في الفترة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ . وفي ضوء ما تقدم يبدو أن تأكيدنا على السنة ١٩٥٤ ليس اعتباطا او شططا، بل يبدو جائزا ومحتملا في اقل تقدير، ونحن نميل الى ترجيح ما ذكرناه. ويستمد رأينا حجة اضافية من الحقيقة التاريخية المعروفة وهي ان الحزب القائد كان موجودا قبل انعقاد المؤتمر الاول «تشكلت اللجنة العليا في اول مؤتمر عام عقده الضباط الاحرار في كانون الاول ١٩٥٦»، والشيء بالشيء يذكر.

الرأي العام العربي على امتداد الوطن الكبير من المحيط إلى الخليج(١٠٣) .

ولو بحثنا في وثائق الحزب الشيوعي العراقي حتى سنة ١٩٤١ ، لما وجدنا ما يشير إلى قبوله بفكرة النشاط السياسي في القوات المسلحة ، بل على العكس من ذلك عثرنا على وثائق تثبت انه قد استنكر تلك الفكرة وقاومها وادانها . ففي تموز ١٩٤١ ، وفي فترة من احرج واصعب فترات التاريخ العراقي الحديث بعد الاحتلال البريطاني الثاني ، كتب الحزب الشيوعي العراقي في نشرته « الشرارة » مناشدا الوصي عبد الاله بوجوب ابعاد الجيش عن النشاط السياسي والعمل الحزبي ومعربا عن قلقه من تجريد الشعب من حقوقه الدستورية إذا لم تتخذ تلك الخطوة ، كما افاد الحزب المذكور في تلك النشرة(١٠٤) .

وعند انبثاق ثورة ١٩٥٨ ، ظهرت الدروس المستفادة من ثورة ١٩٤١ واضحة في تفكير الضباط القوميين ولا سيما في موقفهم من تصفية الاستعمار وركائزه ، واصرارهم على استبدال النظام الملكي بالنظام الجمهوري ، وتحقيق التغيير الاجتماعي بالاصلاح الزراعي . وبوجه عام كان الضباط العراقيون من ذوي الميول القومية التقدمية المعادية للاستعمار والامبريالية يرون أن طغمة البلاط الملكي تجسيد للتبعية المهينة للانكليز والاحتكارات النفطية وحلف بغداد . وكانوا يسعون للتخلص من هذه الطغمة .

وفي الفترة التي اعقبت ثورة ١٩٥٨ ، مارس حزب البعث العربي

(١٠٣) الحكم دروزه، الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية، سنة ١٩٦١، ص ١٥٥ و١٥٦ .

(١٠٤) «الشرارة» جريدة الحزب الشيوعي العراقي، السنة الأولى، العدد الثامن، تموز ١٩٤١، بقلم ابن خلدون. وللاطلاع على المزيد من الحقائق والمعلومات عن مواقف الحزب الشيوعي ولا سيما تحالفه مع العائلة المالكة. راجع: اضواء على الحركة الشيوعية في العراق تأليف: سمير عبدالكريم، تقديم د. صلاح محمد، دار المرصاد، سنة ١٩٧٩، ص ٣٢ ـ ٣٧.



الاشتـراكي نشاطـا واسعا في صفـوف الضباط وضبـاط الصف والجنـود ، اشتد بعد انحراف السلطة القاسميـة عن مبادىء ثـورة تموز ، ومعهـا تلك القوى والاحزاب التي تحمست للسياسة الشعوبية التي انتهجتها .

وهكذا توجه الحزب للعمل في القوات المسلحة . وهكذا أيضاً توجه العسكريون للانضمام إلى الحزب والانخراط في صفوفه بأعداد متزايدة . . وقد انضوت القـوات المسلحة في الجيش العـراقي تحت راية حـزب البعث العربي الاشتراكي في ثورات خططها وقادها في فترات حاسمة من التـاريخ الحديث للقطر العراقي . فقد اسهمت الفصائل الثورية العسكرية اسهـاما حـاسما إلى جـانب المنظمـات الحزبيـة والجماهيـرية في ثـورة شباط ١٩٦٣ « عـروس الثـورات » وفي ثـورة ١٧ ـ ٣٠ تمـوز ١٩٦٨ . وسنتحـدث في الأسطر التالية عن تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي في هاتين الثورتين من الناحيتين السياسية والعسكرية حديثا موجزا .

تعتبر تجربة حزب البعث العـربي الاشتراكي في القـطر العراقي سنـة ١٩٦٣ تجربة عربية فريدة ورائدة في مجال العمل الحزبي والنشـاط السياسي والنهوض الثوري في القوات المسلحة . وكانت نواة الجيش العقـائدي التي عمل الحزب على تكوينها قد بـرزت واضحة حينـذاك على الـرغم من قصر الفترة الزمنية المتاحة . ولكن الجيش لم يكن في تلك الفترة جيشـا عقائـديا بالمعنى الدقيق ، على الرغم من وجود تنظيم عسكـري حزبيّ ، لأن الجيش حينـذاك كان يتـدخل مـع ذلك في جـزئيات وتفـاصيل السيـاسـة اليـوميـة والعـامة . ومن هنـا يمكن أن يقـال إن الجيش كـان مسيّسـاً ، وإن لم يكن عقـائديـا . ولو كـان الجيش في تلك الفترة جيشـاً عقائـدياً بـالمعنى الثوري الصحيـح ، لما وقعت ردّة ١٨ تشـرين الثـاني ١٩٦٣ السـوداء عـلى اقـوى الـظن وأغلب الاحتمال . وقـد أشار التقـريـر السيـاسي إلى تلك الحقيقـة بقوله : « وعندما قامت ثورة الثامن من شباط بقيـادة حزب البعث العـربي الاشتراكي كانت الظروف العامة في البلاد تستدعي اجراء التحـالفات مـع



الاوساط المدنية والعسكرية التي تنتمي إلى الصف القومي الواسع . . ومع أن ثورة شباط قد بنيت في الاصل والاساس على مفهوم الثورة الشعبية التي تسهم فيها الطلائع العسكرية المسلحة جنبا إلى جنب مع طلائع الشعب المسلحة الاخرى وبقيادة الحزب في عملية التغيير الثوري فإن الظروف والملابسات التي احاطت بالثورة لم تتح المجال لتجسيد هذا المفهوم تجسيدا متكاملا وراسخا بل اتاحت الفرص للعناصر اليمينية والحاقدة على الحزب لتدبير ردة الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٦٣ »(١٠٥) .

متى وكيف تأسس المكتب العسكري للحزب في القطر العراقي ؟ كانت سنة ١٩٥٦ هي بداية تشكيل المكتب العسكري في حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي(١٠٦) . وقد ارتبط العسكريون قبل هذا التاريخ بالتنظيمات المدنية في الحزب .

ويعود ذلك إلى اسباب عديدة كانت قائمة في حينه ، ومنها حداثة تجربة العمل على هذا الصعيد والافتقار إلى كادر متفرغ ومتمرس في هذا المجال . وكان النشاط التنظيمي للحزب في الوحدات العسكرية يتوقف على وجود الكوادر في صفوفها . كما أن مستوى العمل الحزبي في الوحدات العسكرية كان يختلف باختلاف مستوى الكادر الموجود . وقد بدأ المكتب العسكري عمله ، في المرحلة الاولى ، مقتصرا على معرفة الراغبين في الانتماء ورفع اسمائهم إلى الحزب وايصال التبليغات الحزبية إلى المنتمين بالفعل .

وكان مجال العمل الحزبي على الصعيد العسكري في الوحدات

(١٠٥) التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ، بغداد ، مطابع دار الثورة ، سنة ١٩٧٤ ، ص ١٤٥ .



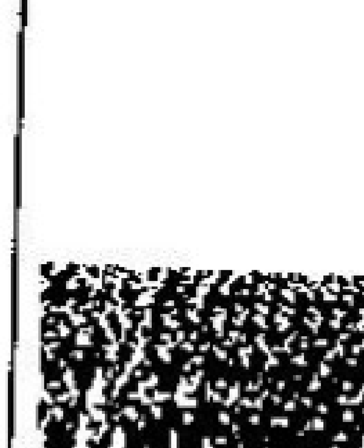
(١٠٦) محاضرة للرفيق طه الجزراوي في مدرسة الاعداد الحزبي في سنة ١٩٧١ ، ص ٦٥ ، بالاضافة الى مقابلة شخصية مع الرفيق الجزراوي في بغداد بتاريخ ١٩٧٨/٧/٢ ، فضلا عن ملاحظاته الخطية المحفوظة لدينا والمؤرخة ١٩٧٨/٧/٣ .

الثابتة ، أي الموجودة باستمرار نسبي في معسكرات معينة ، اوسع منه في الوحدات المتحركة ، أي المتنقلة في فترات زمنية قصيرة نسبيا بين معسكرات مختلفة بعيدة عن مراكز المدن ، ان وجدت عناصر حزبية في جميع تلك الوحدات .

ومن الملاحظ ، كما في تجارب ثورية بارزة عديدة على امتداد العالم والتاريخ ، إن النشاط الحزبي والعمل التنظيمي قد انتشرا انتشارا متزايدا في الصنوف الفنية من القوات المسلحة لاسباب تتعلق بارتفاع المستويات الثقافية للمنتسبين واختصاصاتهم العلمية الدقيقة وخبراتهم المكتسبة من استخدام احدث الاجهزة والمعدات المتطورة[١٠٧] .

وفضلا عن ذلك ، فإن الخبراء والمدربين الاجانب الذين يعملون في هذه الصنوف يتمتعون بامتيازات كبيرة وينفردون عن امثالهم في الصنوف الاخرى بالتماس المباشر والتعامل اليومي والاحتكاك الشخصي مما يؤدي في كثير من الاحيان إلى تنفير الضباط والجنود المحليين من هؤلاء الخبراء والمدربين ودولهم . ويعتبر ما حدث في الجيش الايراني مؤخرا « وبالاخص في قواته الجوية » من ابرز الامثلة على ما تقدم .

ولكن الفرصة لم تسنح لتطوير التجربة الوليدة المذكورة في الجيش العراقي بعد ثورة ١٩٥٨ . ويعود ذلك إلى الاحداث التي اعقبت الثورة وافرزت عناصر انتهازية قفزت إلى مراكز قيادية ، واثرت سلبيا على عموم المسيرة الثورية في القطر « انحرافات عبد الكريم قاسم وحماقات عبد السلام عارف وجرائمهما ووجود قوى يمينية رجعية وقوى شعوبية

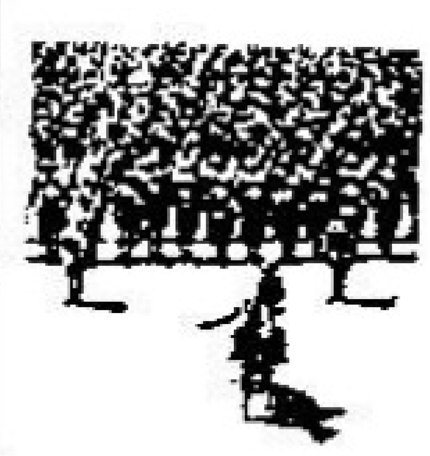


(١٠٧) كان النشاط السياسي الذي بذله لينين في مرحلة الاستعداد للثورة التي نشبت في بتروغراد (لينينغراد حاليا) سنة ١٩١٧ اوسع في القوات البحرية منه في الصنوف التقليدية الأخرى من القوات المسلحة حينذاك. علما بأن القوات الجوية السوفيتية لم تكن قد تأسست بعد في تلك الفترة.

حاقدة »[١٠٨] .

وبعد انبثاق ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ ، اصاب التنظيم العسكري ما اصاب التنظيمات الاخرى من تعثر وارتباك يعودان إلى تغليب العمل الرسمي على النشاط الحزبي « وترك جهاز الحزب بدون توجيه مركزي دقيق وشامل . . . »[١٠٩] .

وقد اعيد التنظيم العسكري بعد ردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ السوداء . وامتاز بنضج اكثر والتزام اشد بعد أن جرى تطعيمه بالكوادر المدنية المجربة التي لعبت دورا فعالا في رفع مستوياته وترسيخ اسسه . ولكن بعد أن عاد التنظيم إلى نشاطه في صفوف القوات المسلحة ، تعرض إلى ضربة شديدة اخرى في ١٩٦٤/٩/٥ فاقت في شدتها ضربة تشرين الثاني . إلّا أن قطع الأغصان لم يؤدّ إلى اقتلاع الجذور . وسرعان ما عاد التنظيم العسكري إلى العمل مجددا للمرة الثالثة في اوائل سنة ١٩٦٥ . وشهد النصف الثاني من سنة ١٩٦٦ عملا أوسع وأنشط . ويعود السبب إلى الزيادة التي حدثت في الكوادر الحزبية ، لأن بعضهما خرج من السجن ، والبعض الآخر اعيد إلى الجيش . ونستطيع القول أن الفترة الزمنية الواقعة بين اوائل سنة ١٩٦٥ والنصف الثاني من سنة ١٩٦٦ كانت قد كرست للقيام باعادة الاتصال فرديا بالحزبيين القدماء وتحديد مواقفهم من الحزب في ظل ظروف صعبة للغاية كانت امتحانا حقيقيا قاسيا للرجال



(١٠٨) موقف آب للحزب الشيوعي العراقي . والمقصود بموقف آب ما اعلنه الحزب الشيوعي العراقي على لسان لجنته المركزية من تأييد واضح واستعداد تام للتعاون مع نظام حكم عارف واتحاده الأشتراكي في شهر آب من سنة ١٩٦٤ . وكما تعاون الحزب الشيوعي العراقي مع عبدالكريم قاسم في فترة سابقة ، كذلك تعاون مع عارف في فترة لاحقة» . راجع الوثيقة الرسمية في هذا الصدد ، وهي : تقرير الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ـ آب ١٩٦٤ ـ وبالاخص ما ورد في ص ١٣ و١٤ .

(١٠٩) التقرير السياسي ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٤٩ .

وعقائدهم اخلاقياتهم ، بعد الادوار التخريبية التي لعبتها بعض العناصر الانتهازية واثر ردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ في العراق .

واتسمت هذه المرحلة بالاقتصار حصرا وتحديدا على اعادة الارتباط بالحزبيين السابقين فقط ، والامتناع المقصود عن محاولة كسب حزبيين جدد في صفوف القوات المسلحة ، إلا في حدود ضيقة وحالات معينة . وقد استمر العمل على هذا المنوال إلى سنة ١٩٦٧ . ثم انتقل العمل السياسي للمكتب العسكري في القوات المسلحة إلى مرحلة جديدة اتسمت بتنظيم امتن وتخطيط ادق وموقف اوضح . وقد تحقق في هذه الفترة تشكيل المكاتب العسكرية الحزبية في بغداد وكركوك والبصرة واربيل والموصل وفي المحافظات الاخرى . وشهدت هذه الفترة أيضاً اجتماعات ومؤتمرات حزبية عقدها المكتب العسكري ونوقشت فيها الاوضاع السياسية المحلية والعربية والاجنبية وبشكل خاص الوضع السياسي داخل القطر العراقي . وفي هذه المرحلة رفع الحزب شعار « في كل وحدة عسكرية تنظيم بعثي ، ولكل بعثي صديق داخل تلك الوحدة ». ثم انبثقت ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ . وكما ظهرت الدروس المستفادة من ثورة ١٩٤١ في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، كذلك ظهرت الدروس المستفادة من ثورة شباط ١٩٦٣ في ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ . وقد جابهت تجربة العمل السياسي في القوات المسلحة بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ معضلات عديدة تصدى الحزب لها وتغلب عليها . ومن اهمها اعادة تكوين الخلايا الحزبية وتسمية المسؤولين الحزبيين في الوحدات العسكرية كافة لأن تكوين الخلايا الحزبية في التنظيمات العسكرية الذي كان جاريا على مثال التنظيمات المدنية ، كان قد ابتدأ قبل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ في العراق .



وتعرضت تجربة المسؤول الحزبي في الجيش إلى العديد من المشاكل المرتبطة بتحديد طبيعة العلاقة بين المسؤول الحزبي والقائد العسكري . وقد عانت الكوادر المسؤولة عن العمل الحزبي على الصعيد العسكري

صعوبات جمة واجواء متوترة ولا سيما مع القادة التقليديين القدماء الذين لم يستوعبوا أو يستسيغوا تجربة العمل السياسي في القوات المسلحة . كما عانت معظم الكوادر الحزبية العسكرية العاملة في صفوف القوات المسلحة صعوبة التوصل إلى موقف مرن في التوفيق بين الالتزام الحزبي والواجب العسكري . ولعل الافتقار إلى تجارب سابقة وتقاليد راسخة في هذا المضمار كان من ابرز اسباب الوضع المذكور . وبالرغم من كل ذلك ، فقد لعب المسؤول الحزبي دورا فعالا في صفوف القوات المسلحة . وكانت اهم واجباته تتركز في بث الافكار الثورية والتوعية بأهداف الثورة والحزب ورصد تحركات العناصر المعادية وتقديم تقارير فورية إلى قيادة الحزب عن أي تحرك أو اتجاه مضاد . وقد رفع المكتب العسكري في هذه المرحلة شعارا مفاده « إن العسكري الجيد هو البعثي الجيد ». واتسم نشاطه في هذه الفترة بتوجيه جديد ارتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بالسياق الجذري للنشاط العام للحزب(١١٠) .

ونحن إن اقتصرنا الآن في حديثنا عن هذه التجربة ، اضطرارا ، على ملامحها البارزة وخطوطها العريضة واكتفينا بالحدود التي فرضتها طبيعة البحث ومنهجية العلم ، فسيأتي الوقت المناسب الذي ستؤرخ فيه بما تستحقه من تفصيل كمثيلاتها من التجارب الثورية التاريخية الرائدة في الوطن والعالم(١١١) .

---

(١١٠) راجع ما افاده الرفيق الدكتور الياس فرح في جوابه عن السؤال «كيف يفهم التوجيه السياسي بشكل عام وضمن القوات المسلحة بشكل خاص من وجهة النظر البعثية؟» بقوله: إن التوجيه السياسي في القوات المسلحة يهدف الى خلق الانسان البعثي الجديد والجيل البعثي الجديد والجيش البعثي الجديد. . . من مقابلة صحفية مع الدكتور الرفيق الياس فرح نشرت في مجلة حراس الوطن عدد تموز لسنة ١٩٧٩ .

(١١١) ملاحظة عن المصادر المتعلقة بالنشاط البعثي في الجيش العراقي:



يبدو ان احدا لم يكتب بعد تاريخا علميا ودقيقا وكاملا ومطبوعا ومتداولا للنشاط الحزبي الذي مارسه حزب البعث العربي الاشتراكي في الجيش العراقي. وقد اعتمدنا في قيامنا بهذه المحاولة المتواضعة على تجربتنا الشخصية البسيطة المباشرة في التنظيم الحزبي بالجيش =

= العراقي . وقد ساعدتنا الفرص السعيدة ان نحظى باهتمام السيد المرحوم الاب القائد احمد حسن البكر الذي اطلع مشكورا على مسودة هذا الجزء من الفصل، وزودنا متفضلا بتوجيهاته الخطية السديدة واحاديثه الشخصية القيمة.

وقد شجعنا السيد الرئيس الرفيق صدام حسين، في مقابلة شخصية، على مواصلة العمل في هذا البحث، وزودنا مشكورا ببعض ملاحظاته وتوجيهاته التي اسهمت اسهاما جادا في استكمال الصورة وايضاح الحقيقة عن التنظيم الحزبي في الجيش العراقي.

كما تفضل الرفيق طه ياسين رمضان فاستقبلنا مشكورا واتاح لنا الاستماع الى ملاحظاته المهمة عن تجربته الشخصية، والاطلاع على توجيهاته الخطية، فضلا عن اطلاعنا على محاضراته في مدرسة الاعداد الحزبي عن هذا الموضوع في سنة ١٩٧١ وهي المجموعة المكتوبة الوحيدة من نوعها.



ملحق ختامي بالفصل الثالث

المصادر العربية المتوفرة لدينا حاليا عن النشاط السياسي للضباط الاحرار في الجيش العراقي

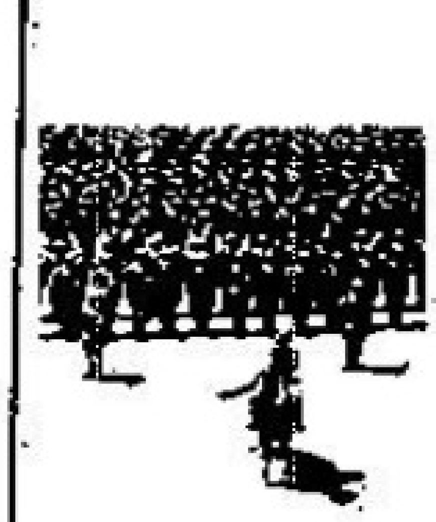
١ ـ الكتب المطبوعة :

(أ) العقيد الركن المتقاعد صبيح علي غالب ، قصة ثورة ١٤ تموز والضباط الاحرار ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٨ .

(ب) الدكتور فاضل حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق ، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤ .

(ج) مذكرات عبد السلام عارف ، شركة الطبع والنشر الاهلية ، بغداد ، سنة ١٩٦٧ ، الفصل الثاني ، الصفحات ٢٥ ـ ٤٣ .

(د) الدكتور مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧٤ . راجع بالاخص الفصل الاول المعنون « العهد السابق »، الصفحات ٨ ـ ٢٧ . والفصل الثاني ، المتعلق بالتركيب الاجتماعي للضباط وحركة الضباط الاحرار ونشاطهم السياسي والميثاق الوطني ، والمعنون « الاعداد للثورة »، الصفحات ٢٨ ـ ٥٩ .



٢ ـ الاطروحات والرسائل الجامعية المنجزة :

(أ) التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق للفترة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد في التاريخ

الحديث ، جعفر عباس حميدي ، تشرين الثاني ١٩٧٧ ، الصفحات ٢٤٩ - ٢٦٤ .

(ب) تجربة العمل الجبهوي في العراق للفترة ١٩٢١ - ١٩٥٨ ، رسالة ماجستير في العلوم السياسية بكلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، عبد الجبار عبد مصطفى ، آب ١٩٧٧ ، الصفحات ٢٨٩ - ٢٩٣ .

(ج) دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق بالحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٨٥ ، رسالة ماجستير في العلوم السياسية بكلية القانون والسياسية . جامعة بغداد ، هادي حسن عليوي ، نيسان ١٩٧٨ ، الصفحات ٢٨٩ - ٢٩٣ .

(د) الفكر الاشتراكي لحزب البعث العربي الاشتراكي ، رسالة ماجستير في العلوم السياسية بكلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، محسن احمد محمد ، نيسان ١٩٧٨ . راجع بالاخص ما أفاده عن المثقفين والعسكريين الثوريين ، الصفحات ١٨٦ - ١٩١ .

(ه) السياسة الخارجية العراقية للفترة ١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط ١٩٦٣ ، رسالة ماجستير في العلوم السياسية بكلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، قحطان احمد سليمان ، حزيران ١٩٧٨ . راجع بالاخص المطلب الثالث من الفصل الاول بالقسم الاول ، عن « اللجنة العليا للضباط الاحرار » ، الصفحات ١٣ - ١٨ .

(و) ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، رسالة ماجستير في العلوم السياسية بكلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، ليث عبد الحسن جواد الزبيدي ، كانون الاول ١٩٧٧ . راجع بالاخص الفصل الثالث من المبحث الثاني ، عن « نشوء وتطور تنظيم الضباط الاحرار ، والاهداف والمبادىء التي دعا لها والتزم بها » ، الصفحات ١٣٣ - ٢١٦

(ز) النظام السياسي في العراق بين عـام ١٩٤٨ ـ ١٩٥٨ ، رسالـة ماجستير في العلوم السيـاسية ، كليـة الاقتصاد والعلوم السيـاسية بجـامعة القـاهرة ، غـانم محمد صـالح عبـد الله شباط ١٩٧١ . راجـع بـالاخص المبحث الثالث المعنون « مرحلة الاستقلال الوطني » الذي يتعلق بتخلخـل الاستقرار السياسي ، ويتطرق أيضاً إلى انقلاب عام ١٩٣٦ وحركة مـايس ١٩٤١ ، الصفحات ٢٨ ـ ٣٨ .

(ح) ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق ، رسـالة مـاجستير في العلوم السيـاسيـة ، كليـة الاقتصـاد والعلوم السيـاسيـة ، قسم العلوم السياسية ، بجـامعة القـاهرة ، عبـد النافـع محمود ، سنـة ١٩٧٣ . راجع بـالاخص الفصل الثـاني المعنون (تبـاين طبيعة التـركيب الاجتمـاعي) في العراق ، وبوجه التحديـد ما يتعلق بتبـاين التكوين العنصـري والقومي ، والتكـوين الـديني والـطائفي ، والتكـوين الحضـاري للمجتمـع البـدوي والريفي والحضري ، الصفحات ٧٤ ـ ١٣٥ .



الفصل الرابع

إنقلاب بكر صدقي ١٩٣٦
وبداية ظهور
حركة الضبّاط الأحرار

انقلاب بكر صدقي ١٩٣٦
وبدايات ظهور
حركة الضباط الأحرار

بواكير نشوء حركة الضباط الأحرار

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانيـة في الأول من أيلول عام ١٩٣٩ ، كان الساسة القوميـون في العراق يـرون أن مصلحة العـراق تقتضي البقاء عـلى الحياد ، والامتنـاع عن مساعـدة بريـطانيا دون الحصـول على مقـابل منـاسب . وكانـوا يعتقدون بـأن هـذه الحـرب فـرصـة ذهبيـة سـانحـة لا تعوض ، يستطيع العراق ان يستغلها في خدمة القضية القومية . وقـد افاد عثمان كمال حـداد في كتابـه (حركـة رشيد عـالي) : « الكيلاني لا يـريد لنفسـه شيئا بـل يريـد استقلال البـلاد العربيـة على ان تنضم هـذه البـلاد المستقلة إلى حلف عربي يكون بمثابة مجموعة حكـومات مستقلة متحـدة فيما بينها وانه بهذا الحلف لم يعد أي تدخل في امور كل من البـلاد التي تدخـل فيه من الوجهة الداخلية وأنه سيكون اتفاقا على السياسة الخارجية والدفـاع وتوحيد الكمارك والثقافة »[١] .

ولقـد كـان الموقف في العراق يتطور لصـالح الاتجـاه القـومي الـذي يؤ يـده ويدعمـه العقداء الأربعـة (صلاح الـدين الصباغ ومحمـود سلمان وفهمي سعيـد وكامـل شبيب) . وطلب القـادة العسكـريـون ذوو الـرتب الكبيرة في الجيش من الملك غازي ، بعـد اغتيال بكـر صدقي ، ان يعهـد

(١) عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١ ، صيدا، سنة ١٩٥٠ ، ص ٢٦ .

بتشكيل الوزارة إلى جميل المدفعي ، الذي كان قد تقرب من بعض الضباط من ذوي الرتب العالية ، ووعدهم بتحقيق الاماني القومية فوافق الملك على ذلك . وكان جميل المدفعي معروفا باعتداله السياسي وعلاقاته الحسنة مع مختلف رجال السياسة في العراق[٢] .

وكانت حكومة المدفعي قد حاولت ان تستفيد من التناقضات بين تلك الجماعات من الضباط وتبعد الجيش عن السياسة[٣] ، فعيّنت حسين فوزي رئيسا للاركان .

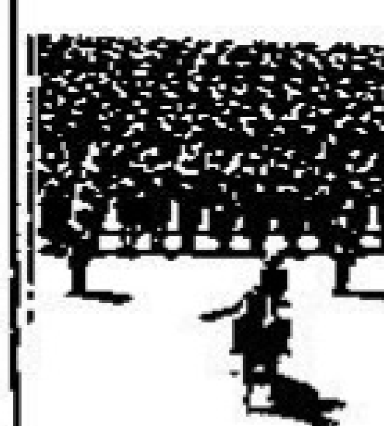
واجريت عدة تنقلات في وظائف الجيش العليا . فعين امين العمري قائدا للواء المشاة الاول وصلاح الدين الصباغ مديرا للعمليات العسكرية وفهمي سعيد قائدا للقوة الميكانيكية وكامل شبيب قائدا للمشاة وعزيز ياملكي آمراً للنقل الآلي ض. وكان الاعتقاد أن هذه التعيينات سترضي ضباط الجيش . وفي الوقت نفسه عين المدفعي صبيح نجيب وزيرا للدفاع ، على الرغم من كونه معروفا بعلاقاته السيئة مع الضباط المذكورين ، اعتقادا منه ان الوزير الجديد سيكون رهن اشارته بحكم هذا الوضع ، وان الجيش سيكون بذلك بعيدا عن متناول خصومه السياسيين . غير ان سياسة المدفعي ادت إلى انقسام التكتل العسكري المسيطر على الجيش إلى فريقين :

الفريق الأول ويتكون من الضباط والمسؤولين عن الحركة التي اطاحت ببكر صدقي ، والذين حققوا السيطرة على الجيش . وكان زعماء

---

(٢) عادل غنيم، تطور الحركة الوطنية في العراق، الدار القومية، القاهرة، سنة ١٩٦٠، ص ١٦ .

(٣) خيري امين العمري، الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد، مطبعة دار المعارف، بغداد، سنة ١٩٧٩، راجع بالاخص ما افاده عن التزام المدفعي بسياسة اسدال الستار، وما ناله من دعم من الملك غازي في هذا الموقف، وما اثاره من معارضة حادة في صفوف الاتجاه القومي على المستويين السياسي والعسكري، ص ٥٢ ـ ٥٣ .



هـذا الفريق : صـلاح الدين الصبـاغ ، محمود سلمـان ، فهمي سعيـد ، كامل شبيب وعزيز يـاملكي ثم انضـم اليهم حسين فـوزي وامين العمـري ليصبحوا سبعة ضباط .

اما الفريق الثاني فكان معاديا ايضا لبكر صدقي ، ولكنه لم يكن على وئام تام مـع الضباط السبعـة . ويتألف هـذا الفريق من عـدد من الضباط أبرزهم يوسف العزاوي وسعيد التكريتي ونظيف الشاوي(٤) .

وقـد استاء الضبـاط السبعة عنـدما تخلى المدفعي عن وزارة الـدفاع لوزير جـديد هـو صبيح نجيب ، الـذي كان معـروفا بغـطرسته تجـاه كبار الضباط ، وسوء علاقته بهم . ومن هنا فان تعيينه وزيرا للدفـاع قد عجـل بـالازمة التي اطـاحت في النهايـة بوزارة المـدفعي . واراد صبيح نجيب ان يقضي القضـاء المبرم عـلى نفـوذ الضبـاط السبعـة المـذكـورين في القـوات المسلحـة . وحاول في خـطة مدبـرة ان ينقل بعضهم ويحيـل البعض الآخر على التقاعد ، ولكنه لم يمتلك القدرة الكافية على تحقيق هـذه الغايـة . وقد ساعدت استفزازات صبيح نجيب الضباط المذكورين على دفعهم للتعاون مـع الخصوم السيـاسيين للمـدفعي . وبعـد ان فشـل هؤلاء في الاطـاحـة بوزارته وجدوا ان الكتلة القومية العسكرية هي القوة الـوحيدة التي يمكنها اسقاط الوزارة(٥) .

وقـد عمـد نـوري السعيـد إلى الاتصـال بقـادة الجيش فعقـد الاجتماعات السـرية معهم واقتصرت تلك الاجتماعـات في باديء الأمـر على نوري السعيد وفهمي سعيد وصلاح الدين الصبـاغ ، ثم انضم اليهم

---

(٤) عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، مطبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٨، المجلد الخامس، ص ٤٤، كـذلـك مـذكرات طـه الهاشمي ١٩١٩ - ١٩٤٣ بإشـراف د. خلدون ساطع الحصري، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٧، ص ٢٩٤.

(٥) محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١، ص ٩٤ - ٩٧، وصلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة، ص ٦٧ - ٧٠.

طه الهاشمي وكامل شبيب .

وفي هـذه الاجتماعـات طلب نوري من القـادة ان يكونـوا اخـوانـا مـرتبطين بميثـاق حزب الاستقـلال العربي ، وأن يكـون طه الهـاشمي هـو المسؤول عن هذه المجموعة . ووعد نوري أيضاً أن يكـون قيام الـوزارات وتسلمها للحكم برأي الجيش(٦) . وهكذا لجأ نـوري السعيد إلى تحـريض قـادة الجيش على اسقـاط وزارة المدفعي . ويبـدو أن نـوري السعيـد كـان يحاول التأثير في قادة الجيش حتى يتخذ منهم قنطرة يعبـر عليها ويصـل منها إلى تسلّم الحكم . واذا حـاولنـا أن نقيم دور الجيش في هــذه الحـوادث ، فنستطيع القول بأن العناصر الـوطنية التي كـانت في قيادتـه ، لم تكن قادرة عـلى ان تلعب دورا سياسيـا مستقلا بنفسـه وقائـما بذاتـه ، بل اضـطرتهم الظروف إلى التعاون مع العناصر الموالية للانكليـز . ومن هنا ، كـان قادة التكتـل القومي عـلى الصعيد العسكـري يتعـاونـون في عملهم ضـد وزارة المدفعي مع الضباط الكبار المعروفين بمـوالاتهم للانكليـز من امثال حسـين فوزي وامين العمري وعزيز ياملكي . وكـان الأجدر بـالقادة القـوميين أن يبتعـدوا عن نـوري السعيـد وجميـل المـدفعي لانهما من انصـار المـدرسـة الانكليزية . فكيف يمكن للقادة القوميين للجيش ان يحققوا الاماني الوطنية القومية من خلال تحالفهم مـع انصار المـدرسة الانكليـزية الـذين يرون أن مصلحـة العراق هي في ارتبـاطـه المـطلق والـدائم مـع بـريـطانيـا ؟ ولكن الاحكام مرهونة بالظروف . ويبدو ان صلاح الدين الصباغ قد شعر بهـذا التنـاقض ، ولكن بعد فـوات الأوان(٧) . وهذا يـدل على ان ايـديولـوجية الجيش كانت مرتبطة ، إلى حد بعيد وفي كثير من الاحيان ، بالشخصيـات وليس بالمبادىء ، وانها كانت تفتقر إلى الخـطط المدروسـة الدقيقـة والآفاق الفكرية الشاملة . وقام قادة الجيش القوميون باجبار المدفعي على الاستقالة



---

(٦) صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة ، ص ٧٠ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٧٠ ـ ٧١ .

عندما علموا بأن هناك مؤامرة ضدهم تقضي باحالة بعضهم على التقاعد ، واعلنوا حالة الطوارىء في معسكر الرشيد ، واستقال المدفعي على أثرها في ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٨ . وطلب قادة الجيش حينذاك من الملك أن يكلف نوري السعيد بتشكيل الوزارة . وأصبح طه الهاشمي الذي أيده العقداء الأربعة وزيرا للدفاع . وبذلك تم الانقلاب العسكري الثالث الذي يعزوه الصباغ إلى تدخل الجيش لاسقاط وزارة المدفعي بسبب محاولته شق الجيش إلى معسكرين اضافة إلى ما أصاب الوزارة من ضعف في هيبتها بتنازلها تعاقديا عن جزء من شط العرب إلى ايران ، واحجامها عن مد الثورة في فلسطين بالمساعدات العسكرية ، وتنكر صبيح نجيب للوعود التي قطعها للضباط السبعة بتوحيد صفوف الجيش ، وامتناع المدفعي عن تحقيق طلبات الجيش في الحصول على الأسلحة التي يحتاجها(٨) .

ولكن آمال الضباط القوميين المعقودة على نوري السعيد خابت هي أيضا ، لأنه استفاد من تعيينه رئيسا للوزراء للتنكيل بمنافسيه السياسيين ، وتبديد المخاوف التي ساورت الانكليز على مواقعهم في عهد بكر صدقي . وفي كل الاحوال ، اراد نوري السعيد ان يحقق بعض مطالب الضباط القوميين بما لا يتعارض مع الخطط السياسية التي وضعها . واخذت وزارته الرابعة في الضعف المستمر بعد مصرع وزير ماليته رستم حيدر ، لانها فقدت التضامن بين اعضائها . وفي الحقيقة ، منذ ان شرع نوري السعيد في محاكمة حكمة سليمان بدأ الخلاف ينمو بين صفوف زملائه .

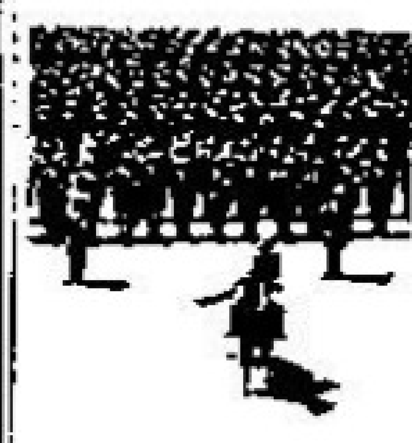
وما حدث بين المدنيين ، انعكس على العسكريين . وبعدها اضطر نوري إلى تقديم استقالته . وقد ذكر فيها أن هناك مشاكل عديدة اضطرته إلى الاستقالة . إلا أنه لم يشر إلى حالة الجيش التي كانت ترتبط ارتباطا

---

(٨) صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة ، ص ٦٨ - ٧٠ .

وثيقـا بمجريـات الأحداث السيـاسيـة ، ولا سيـما روابط الجيش بـالحـركـة القومية والقـوميين . وعنـدما انقسم الضبـاط السبعة المسؤولـون عن عودة نـوري السعيد إلى الحكم إلى مجمـوعتين : المجمـوعة الأولى وتضم ثـلاثـة ضباط : حسين فـوزي رئيس الاركان وامـين العمري قـائد الفـرقة الأولى وعزيز يا ملكي قائد النقل الآلي ، والمجموعة الثانية التي كانت تـضم العقداء الأربعة : صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب وهي تمثل تكتلا عسكريا مستقلا قائما بنفسه ، لأول مرة ؛ نزل الجيش فعليا إلى الميدان السياسي على الطريق الذي أدى انتهاجه مباشرة في وقت لاحق إلى قيام حكومة الدفاع الوطني . وكان الضباط الثلاثة في المجموعة الأولى اكثر اعتدالا واقل نشاطا من المجموعة الثانية في المسائل السيـاسية . وقـد اتسم موقفهم بالرغبة في الحفاظ على مناصبهم الجديـدة والميل إلى الحيـاة المستقرة والابتعاد عن المطالب الحدية والقضايا الايديولوجية والاستمرار على التمتع بالصداقات الشخصية التي ربطتهم مع بعض السياسيين والعلاقات الـودية التي جمعتهم مع الانكليز .

امـا الضباط الأربعـة في المجموعـة الثانيـة فقد اظهـروا توثبـا عاليـا وطموحا قوميا اشتد ساعده وتوسع مجاله بتأثير اجواء نادي المثنى بن حارثـة الشيباني وأوساط القوميين العرب من أبناء القطرين السوري والفلسطيني . وينبغي أن نسجل انصافا للتاريخ أن الضباط الأربعة قد ربـطتهم صداقـة عقـائديـة قوميـة على الصعيـد الشخصي تعـود إلى أيـام خـدمتهم معـا في صفوف الجيش العثماني في الحـرب العالميـة الأولى ، ثم في صفوف الجيش العربي في العهد الفيصلي بسورية بعد ذلـك . وقد تعـززت تلك الصداقـة باشتراكهم في تأسيس الجيش العراقي .



ومن الواضح ، على عكس ما اشيع عنهم والصق بهم بعد الاحتلال البـريطاني الثـاني للعراق ؛ انهم لم يتكتلوا سعيـا للحصـول عـلى مكـاسب شخصية أو فوائد مادية ، وانما اقتناعا منهم بـأن الطريقـة الوحيـدة للنهضة

القومية هي السيطرة على القوة العسكرية للسيطرة على السلطة السياسية .

وعندما قدم نوري السعيد استقالته إلى الوصي ، اجتمع الضباط السبعة في منزل طه الهاشمي للتباحث في الوضع السياسي ، وعرض العقداء الأربعة أن نوري السعيد استقال دون علمهم ، وان رأيهم يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار في تشكيل الوزارة الجديدة . اما المجموعة الأولى من الضباط الثلاثة فقد تركوا القول الفصل للوصي وما يقرره . وانتهى الاجتماع دون اتفاق واضح أو قرار معين . وقد دبت الشكوك لدى العقداء الأربعة حول المجموعة الأولى من الضباط الثلاثة وادركوا انهم لا يستطيعون تحقيق اهدافهم السياسية الوطنية والقومية اذا لم يحققوا السيطرة الكاملة على الجيش العراقي وتزويده بالاسلحة التي يحتاجها . واتخذ الضباط الأربعة ، اعضاء المجموعة الثانية ، قرارا بطرد الضباط الثلاثة ، اعضاء المجموعة الأولى ، من صفوف الجيش . واستعانوا ، على طريقتهم المعتادة ، بالقوات المسلحة للضغط على الوصي تحقيقا للهدف المذكور .

كما توصلوا إلى اتفاق آخر مع نوري السعيد يقضي بأن يتمردوا ويدعوه للوزارة مرة اخرى على ان يحيل الضباط الثلاثة المذكورين على التقاعد ، وقد وافق نوري السعيد على ذلك ، لان هؤلاء الضباط الثلاثة كانوا من خصومه العسكريين . وفي ٢١ شباط ١٩٤٠ استطاع العقداء الأربعة حشد قوات عسكرية في معسكر الرشيد ووضعها في اقصى حالات الاستعداد .

وبالمقابل وضع الضباط الثلاثة قواتهم بالانذار في معسكر الوشاش . ولما لاحظ الوصي أن قوات معسكر الرشيد اقوى من قوات معسكر الوشاش ، دعا نوري السعيد إلى تشكيل الوزارة وامر بانهاء الخلاف . وهكذا نال نوري السعيد ما أراده وظهر امام الوصيّ بانه الرجل القوي وصاحب السطوة[٩] . وسارع نوري السعيد إلى احالة الضباط الثلاثة



(٩) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة، ص ١٣١.

(حسين فوزي وامين العمري وعزيز ياملكي) على التقاعد وتمكن من أن يحصل على قرار من المجلس العرفي يقضي بحبس صبيح نجيب لمدة سنة .

ويبدو من ذلك أن نوري السعيد قد استطاع ، وهو رجل انكلترا في العراق ، أن يقضي على الأزمة السياسية ويثبت الاستقرار في البلاد ويكسب إلى جانبه أقوى العناصر الوطنية في الجيش ، ويوفر الظروف الملائمة لانتهاج السياسة التي تعزز روابط التعاون مع بريطانيا في الميادين السياسية والاقتصادية والحربية . وفي تقديرنا أن ما تقدم كان اعظم نصر احرزه نوري السعيد شخصيا في التأريخ الحديث للعراق . لان دخول الانكليز إلى بغداد في سنة **١٩٤١** بعد سقوط « حكومة الدفاع الوطني » والوزارة الكيلانية التي أعقبتها كان نصرا شخصيا أحرزه الوصي وليس نوري السعيد . ولكن منذ وقوع حركة معسكر الوشاش برز القادة الأربع في الميدان السياسي وتدعم مركزهم في الجيش من غير منافس ، وكانت هذه هي من أبرز نقاط الضعف في ذلك النصر الكبير الذي احرزه نوري السعيد . فشعر فجأة انه محاط بفئة من المستشارين النشطين الذين لا يؤيدون سياسته القائمة على الارتباط الدائم والمطلق ببريطانيا ، وهذه الفئة تتألف من مجموعتين تمثلان جناحي الحركة القومية حينذاك : احداهما تضم العسكريين[١٠] . ومن جهة أخرى ، تعززت في هذه الفترة مواقع المعارضة المدنية لنوري السعيد وأنصار بريطانية الآخرين . وأصبح لمفتي فلسطين بعد قدومه إلى العراق مركز الصدارة في الوسط السياسي البغدادي ، والتفّ حوله القوميون والعقداء الأربعة ، وأصبح مستشارهم المفضل ومرجعهم الأعلى ، ولعب دورا خطيرا في توجيه السياسة العراقية

---

(١٠) محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٩، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

إلى الوجهة التي انتهت اليها فيها بين آذار ١٩٤٠ ونيسان ١٩٤١[١١] .

وفي هذه الفترة أيضا . برز احد السياسيين العراقيين القدماء وهو رشيد عالي الكيلاني ، الذي لعب دورا كبيرا ومهما ولا سيما في خطط جماعات القوميين العرب من المدنيين والعسكريين معا . وكما افدنا سابقا ، استقال نوري السعيد من رئاسة الوزارة في شهر آذار ١٩٤٠ ، وخلفه رشيد عالي الكيلاني الذي كان من انشط خصومه السياسيين . وفي هذه الفترة بالذات ، توطدت علاقة الكيلاني بالضباط الأربعة وارتفعت اهمية دور الجيش بقيادتهم إلى الدرجة القصوى ، وشجع موقفهم على تشكيل الوزارة الائتلافية برئاسة الكيلاني . وكان تسليح الجيش العراقي من أهم وابرز المطالب التي سعت تلك الوزارة إلى تحقيقها . ويقول طه الهاشمي في مذكراته بهذا الصدد « كانت قضية تسليح الجيش العراقي احدى قضيتين اثنتين (وكانت الأخرى القضية الفلسطينية) ادتا إلى توتر العلاقات العراقية ـ البريطانية خلال هذه الفترة باكملها ، وفي النهاية إلى الاصطدام المسلح بين بريطانيا والعراق في ١٩٤١ . . . كان هناك أيضا عدم رغبة الانكليز اصلا في تقوية الجيش العراقي بصورة واسعة ، وخشيتهم كذلك من تقوية الثوار الفلسطينيين الذين كان الجيش العراقي يمدهم بالرجال والسلاح »[١٢] .

(١١) في مقابلة للباحث مع الاستاذ اكرم الحوراني في ١٩٧٤/١/٢٥ بداره في بغداد، وهو من المساهمين في حركة رشيد عالي الكيلاني، وكان من ابرز الوجوه السياسية في المنطقة الشمالية من سورية (حلب وحمص وحماه) حيث التف من حوله عدد من المثقفين الشباب وصغار الضباط الذين اسموا انفسهم بالشباب القومي العربي، افاد بما يلي:

«كان موقف امين الحسيني عامل ضغط للقائمين بالحركة وليس دعم حيث كان مندفعا لمحاربة الانكليز بأي شكل من الاشكال وأهم هذه الدوافع هو فقدان موقعه كقائد ديني في فلسطين، ويريد الحفاظ على موقعه دون دراسة الامكانيات الموضوعية والسياسية والقوة العسكرية ومراعاة الموقف الدولي. وكان مندفعا بدون تحفظ مع الالمان ليس حبا بالنازية، وإنما كرها للانكليز واليهود. والحسيني هذا كان وطيد العلاقة مع الكتلة العسكرية التي حاربت الانكليز في ١٩٤١ وقام بدور تعريفهم برشيد عالي الكيلاني».

(١٢) مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ ـ ١٩٤٣، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٧، ص ٣١.

ومن بين مطالب الرفد العراقي ، خلال مباحثات موضوع اعلان الحرب على ايطاليا الفاشية في حزيران ١٩٤٠ مع بريطانيا، كان مطلب تقديم السلاح الحديث للجيش العراقي ، وفي حالة تعذر ذلك ، الطلب إلى بريطانيا بالموافقة على تحويل حصص العراق من العملات الصعبة إلى الولايات المتحدة الامريكية لشراء الأسلحة . وقد استمر العراق على امتناعه عن اعلان الحرب على ايطاليا ، لأن بريطانيا رفضت تزويده بالاسلحة الحديثة أو العملات الصعبة . وفي نطاق الوضع المذكور الذي كان قائما حينذاك ، حاول الوصي أن يساعد الانكليز بالتعاون مع انصاره من السياسيين العراقيين ، فنجح في اجبار رشيد عالي الكيلاني على الاستقالة في ٣١ كانون الثاني ١٩٤١ ، ولكنه فشل في اضعاف مركز العقداء الأربعة الذين كانوا القوة الأساسية التي جاءت بالحكومة الكيلانية الائتلافية إلى السلطة . أو بعبارة اخرى ، إذا كان الوصي قد تخلص من السلطة المعادية البيّنة وهي الحكومة الائتلافية ، فانه لم يستطع أن يتخلص من السلطة المعادية الحقيقية وهي القوة العسكرية ، وكان لا بد ان يقع الصدام الجبهوي المباشر بينهما عاجلا أم آجلاً . وقد ظهرت قوة الكتلة القومية العسكرية واضحة عندما نجح العقداء الأربعة في حمل الوصي على الاتيان برئيس جديد للوزارة هو الفريق طه الهاشمي الذي اعتبر من أنصار سياسة اخيه ياسين الهاشمي ومن مؤيدي الاتجاه القومي في الجيش العراقي .

متى وكيف برزت الكتلة القومية في الجيش العراقي ؟



تعود ظاهرة تكتلات الضباط في الجيش العراقي ، ولا سيما التكتل القومي ، إلى أواخر العشرينيات . وقد ارتبطت تلك الظاهرة بالاحداث السياسية التي وقعت في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية في آب من عام ١٩٢١ وحتى نشوب الحرب البريطانية ـ العراقية في أيار من عام ١٩٤١

وساهمت تلك الأحداث والتعييرات في ابراز قوّة الجيش وأدت إلى ازدياد اهتمامه بالسياسة وتبلورت اتجاهات عامة في الجيش سميت (الكتل العسكرية) . ومن أبرز هذه الكتل الكتلة القومية التي ضمت بين صفوفها الضباط العرب من ذوي الرتب الصغيرة الذين كانوا ينادون بوحدة الأمة العربية ، وكان العقيدان صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد من أبرز وجوه هذه الكتلة التي ضمت عددا من الضباط من بينهم (المقدم عبد الرزاق حسين والرائد محمود الدرّة والنقيب ابراهيم محمود والنقيب يوسف علي والنقيب عبد المجيد مصطاف والمقدم أكرم مشتد،و، والملازم الأول عبد المجيد الهاشمي) . وكان معظم هؤلاء الضباط من خريجي الكلية العسكرية . وكان الضباط ذوو الرتب العالية ولا سيما الذين تعاونوا مع الأخوين ياسين الهاشمي وطه الهاشمي يشاركونهما في الآراء القومية العربية ، ولم تكن كتلة الضباط القوميين بعيدة عن مجرى الأحداث السياسية الخطيرة . وكان صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد على اتصال وثيق بالمحامين الشباب من المعارضين مثل يونس السبعاوي . وبوساطته تردد صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود الدرة إلى مكتب الحاج محمد جعفر أبو التمن التجاري واجتمعوا به عدة مرات هناك ، فشجعهم أبو التمن وبارك موقف كتلة الضباط ، كما أجرت الكتلة اتصالات وثيقة مع عبد الواحد سكر ، رئيس قبيلة آل فتلة في المشخاب ، وأفهمته أن كتلة الضباط القوميين تتمثل سياسيا في ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني وجعفر أبو التمن وحكمة سليمان . ولكن الكتلة القومية من الضباط كانت ترى في ياسين الهاشمي وصحبه مناطا ومعقدا للرجاء في ادارة دفّة البلاد وتحقيق الأهداف القومية ، بالأخص أن ياسين الهاشمي كان يوصف خلال هذه الفترة بأنه (بسمارك العرب) كما كان العراق يوصف بأنه (بروسيا العرب) . تلك هي الصورة العامة للوضع في الفترة ١٩٣٠ـ١٩٣٣ .

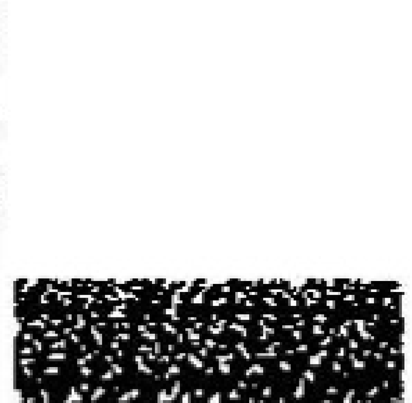


وكان لمشاركة الجيش في نضال المعارضة ضد الوزارة الأيوبية الأولى

الأثر الملموس في نجاحها . وعندما تطورت المعارضة إلى العصيان المسلح في الفرات الأوسط في وجه هذه الوزارة ، كان القسم الأكبر من الضباط في المنطقة الجنوبية لا يستسيغون تنفيذ أوامر الحكومة في استعمال القوة ضد القبائل الثائرة ، بل أن بعضهم قد جاهر برفضه الذهاب مع وحدته إلى منطقة الحركات مثل الرائد حسين علوان معاون آمر احدى بطريات المدفعية . وفي الوقت نفسه كان الضباط التابعون وعلى رأسهم الملازمون محمود الدرة وطارق سعيد فهمي وماجد سليم ومحمد نجيب الربيعي يشتركون مع عدد من الساسة مثل المحامي ياسين العربي وحمدي جلميران ويونس عباوي في توزيع المنشورات السرية المؤيدة لحركة الفرات الاوسط .

أما الفريق طه الهاشمي رئيس اركان الجيش فانه رفض تنفيذ الأوامر بقصف العشائر بالطائرات . وهنا في هذه الفترة برز ضابط جديد ايد موقف الكتلة وهو اللواء عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الأولى المكلفة بضرب العشائر والذي تعاون في الأخير مع صلاح الدين الصباغ في الامتناع عن استخدام القوة ضد العشائر ، وكان الصباغ آنذاك رئيس ركن الرتل المكلف بالحركات(١٤) .

ولكن هذا النجاح الذي حققه القوميون بالتعاون الوثيق بين جناحهم السياسي (جماعة ياسين الهاشمي) وجناحهم العسكري (كتلة العقداء الأربعة) لم يدم طويلا . وقد شهدت فترة صيف عام ١٩٣٦ نشاطا سريا وعلنيا واسعا مارسته كتلة الضباط برئاسة بكر صدقي امثال العقيد الطيار محمد علي جواد آمر القوة الجوية والمقدم الطيار اكرم مشتاق وزمرة اخرى عرفت بولائها للانكليز مثل المحامي سلمان الشيخ داود والعقيد شاكر الوادي ، قامت بحملة مركزة ضد حكومة ياسين الهاشمي .



---

(١٤) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ٦٦ .

وفي هذه الفترة انفصل عن جماعة الهاشمي عدد من مناصريه السابقين ، ورأى المعارضون وعلى رأسهم حكمة سليمان وجعفر أبو التمن وكامل الجادرجي ـ وكانوا قد الفوا جمعية سياسية سرية فيما بينهم ـ ان الفرصة قد سنحت للتفاهم مع كتلة بكر صدقي في الجيش واستغلاله في اسقاط وزارة ياسين الهاشمي . وقد وجدوا ان بكر صدقي ، الذي كان طموحه لا يقف عند حد والذي كان أقوى شخصية عسكرية في البلاد ، على استعداد تام للتعاون معهم بتنفيذ انقلاب عسكري .

وبعد ان نجح بكر صدقي بانقلابه في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ ازداد غضب الكتلة القومية ولا سيما بعد القضاء على حكومة ياسين الهاشمي القومية التي تغاضت عن نشاط الضباط القوميين الذين كانوا يبعثون بالمتطوعين والأسلحة والذخيرة الحربية إلى الثائرين في فلسطين وفي مقدمة اولئك رئيس اركان الجيش المشير طه الهاشمي والعقداء الأربعة ، بالاضافة إلى اصدقائهم من الضباط القوميين الذين شاركوهم في الرأي ولا سيما في موقفهم من قضية فلسطين ، ومنهم الملازم خيري خورشيد والملازم صالح فوزي والملازم عبد الوهاب الشيخ علي والملازم رشيد فليح والملازم مدلول عباس والملازم حمود السعدون والملازم محمود الدرة وغيرهم من الضباط . ومن الجهة الأخرى قوبل الانقلاب بحماسة ظاهرة من الضباط الأكراد فألقى ضابط كردي ، كان برتبة آمر لواء ، كلمة في ضباطه وجنوده جاء فيها « لقد انتهى الآن الحكم العربي »(١٥) . فكادت خطبته هذه تؤدي إلى حدوث انقسام خطير في الجيش لو لم يتدارك ذلك الفريق بكر صدقي معتمدا على صديقه الفريق عبد اللطيف نوري الذي أغراه بمنصب وزارة الدفاع كغطاء له ، لأن الفريق عبد اللطيف نوري كان معروفا بانه من الضباط القوميين العرب وتربطه صلات متينة بالكتلة القومية وخاصة



(١٥) محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١، ص ٧٢.

صلاح الدين الصباغ . هكذا ظهرت الكتلة القومية من الضباط إلى الوجود ، وتلك هي الأدوار الأولى التي لعبتها في الميدان السياسي في المراحل المبكرة من نشوئها وتكوينها .

مقدمات انقلاب بكر صدقي

كان انقلاب بكر صدقي ، في سنة ١٩٣٦ ، نتيجة مقدمات سياسية واجتماعية خارجية وداخلية . ومن ابرز واهم تلك المقدمات علاقة الجيش بحركة النهضة القومية آنذاك ، وتعاطف العراق جيشا وشعبا مع مطامح العرب في كل مكان للتحرر من ربقة الاستعمار ومواقفه من الدول الاستعمارية الغربية (بريطانيا وفرنسا) .

وقد حاولت بريطانيا محاولات جادة ، عدة مرات ، ان تعزل العراق عن امته العربية بوسائل مختلفة واقدمت على تلك المحاولات في ضوء ادراكها العميق ان انتشار الوعي القومي وارتفاع الحس العربي في العراق سيؤدي ، عاجلاً أم آجلاً ، إلى تعريض مصالحها الحيوية في القطر والوطن إلى الخطر المحقق والضرر الأكيد . وكانت أول محاولة من هذا النوع قد جرت في سنة ١٩٣٦ بانقلاب بكر صدقي الذي عمل في الباطن بتوجيه من بريطانيا ولبس في الظاهر ثوبا وطنيا خادعا وضرب الاتجاه القومي العربي الذي كان الطابع الابرز للوزارة التي رأسها ياسين الهاشمي(١٦) . اما المحاولة الثانية فقد جرت في سنة ١٩٣٧ بربط العراق

---

(١٦) راجع الوثيقتين التاليتين من وثائق وزارة الخارجية البريطانية المرقمتين على التعاقب:
- ٣٧١/ ٢٠٠١٥/ ٢٠٦٧/ ٢٣٦ .
- ٣٧١/ ٢٠٠١٥/ ٢٠٦٧/ ٢٣٧ .

ويبدو، في ضوء هاتين الوثيقتين، ان بكر صدقي كان عميلا قديما من عملاء الاستخبارات البريطانية في العراق، ونود ان نعرب عن امتناننا الفائق للاستاذ الباحث نجدة فتحي صفوة الذي زودنا مشكورا بهاتين الوثيقتين. انظر نص كل من هاتين الوثيقتين وترجمتها العربية في آخر هذا الفصل (الملحق الأول). وينبغي ان يتعامل الباحث =



بحلف اقليمي غير عربي سمي بميثاق (سعد اباد) الذي كـان يضم تركيـا وايـران وافغانستـان أيضا ، والـذي لفظ انفاسـه الاخيرة بـوقوع العـدوان البـريطاني عـلى العراق في سنـة ١٩٤١ وامتناع تلك الـدول عن مسـاعـدة العراق عسكريا كما نص الميثاق المذكور(١٧) .

ومن الواضح أن هذا الحلف كان يهـدف إلى المحافـظة على مصـالح بريطانيا دون مصالح الدول المتحالفة الأخرى .

وقد لاحظنا وجود تماثل أو شبه بين عهد بكر صدقي في سنة ١٩٣٦ وعهـد عبد الكـريم قاسم في سنـة ١٩٥٩ من جوانب معينـة عديـدة أهمها يعـود إلى الدور المقنّـع المعادي للقومية العـربية الـذي لعبه معـظم أدعياء التقـدمية في العهـدين المذكـورين . ولا يمكن أن نفهم هـذا الـواقـع فهـما كاملا ، إلا إذا ميزنا بين نوعين من التقدميـة تمييزا دقيقـا واضحا . فهنـاك حركة تقدمية غير قوميـة ، راهنت وتراهن عـلى اوضاع العـراق وعلى لعبـة القوى الدولية في المنطقة . وهناك حركة تقـدمية من نـوع آخر هي تقـدمية الحـركة الثـورية القـومية التي راهنت وتـراهن على المستقبـل ، وعـلى روح النهضـة العربيـة ، وعلى التـأريخ الـذي يتحـدى الـواقـع بـارادة الانسـان

= في التأريخ مع الوثائق الرسمية تعاملا مرنا وحذرا، وليس تعاملا جـامداً وقاطعا، لأن تلك الوثائق قد تكون صحيحة أو مدسـوسة أو مزورة. ثم انها لا يجوز ان تفسـر في معزل عن ظروف زمانها وملابسات واقعهـا، لأن بكر صدقي الملازم الشـاب ربما يكـون قد لجأ الى استخدام الوساطة في ظـروف الاحتلال البـريطاني المبـاشر للعـراق، ولكنه ربمـا يكون قـد اختلف مع بريطانيا وتبدل موقفه منها في اواخـر حياتـه بعد ان نجح في انقلابـه، علما ان نوري السعيد عميل الانكليز قد بذل جهدا دائبا للتخلص منه والقضاء عليه، كما ان بكـر صدقي قد اغتيل بينما كان في طريقـه الى المانيـا مرورا بتـركيا، ثم انـه كان قبـل ذلك قـد اتصل بالمانيا وايطاليا طلبا للسلاح الحديث ونال بعضه بالفعل وخصوصا الطائرات .

(١٧) كـان التفكير بميثـاق (سعد ابـاد) قد بـدأ في جنيف منذ سنـة ١٩٣٥ ، وان كان التـوقيع الرسمي عليه قـد جرى في سنـة ١٩٣٧ . راجع : عبـدالرزاق الحسني، تـأريخ الـوزارات العراقية، المجلد الثـاني. الطبعـة الخامسـة، منشورات مـطبعة دار الكتب، بيـروت، سنة ١٩٧٨، ص ٢٢٢ و٢٢٣ و٣٥٦ ـ ٣٥٩ .

ويتحدى القوى التي ارادت وتريد ان تستغله .

وقد عاش العراق في وسط الثلاثينيات من القرن الحالي ازمة سياسية واجتماعية حادة تتعلق بجملة من العوامل الداخلية والخارجية ادت إلى ازدياد واشتداد التناقضات السياسية والاجتماعية . فمن الناحية الخارجية ، نذكر قضية فلسطين وطبيعة العلاقة السلبية القائمة بين العراق وبريطانيا وقضية تسليح الجيش العراقي والتعاطف العام مع ثورتي ليبيا والريف في المغرب والمطالبة باستقلال سورية ولبنان ومصر والسعي إلى تحقيق الوحدة العربية التي كانت تلاقي معارضة قاسية من جانب المستعمرين الغربيين ، وتأزم الوضع الدولي نتيجة للصراع بين الدول المحورية والديمقراطية البرجوازية . ومن الناحية الداخلية ، نذكر نتائج الازمة الاقتصادية العالمية والتسلط الامبريالي وتفاقم الفقر المدقع للجماهير الشعبية ونزع ملكية الأرضي من الفلاحين وتسليمها إلى كبار الاقطاعيين وافلاس الحرفيين وصغار اصحاب المشاريع وانتشار البطالة . تلك هي الخلفيات الموضوعية التي رافقت وزامنت الانقلاب الذي وقع سنة ١٩٣٦ .

ولعل من اهم الاسباب الموضوعية التي ادت في النهاية إلى فشله وسقوطه انه لم يستطع ان يقدم الاجابات الجادة والحلول المقبولة للمشاكل المذكورة في اعلاه . كما ان التذمر من تسلط الحكام الاقطاعيين والتجار (الكومبرادوريين) الخاضعين للاستعمار والمعتمدين على مساندته قد عزز نمو المعارضة بآرائها ومواقفها ودفع القبائل إلى التمرد وساهم في ظهور التكتلات والتنظيمات النقابية التي حاولت ان تقدم برامج للتحولات الاجتماعية والسياسية . ويبدو أن تلك البرامج كانت ادق واوضح في مطالبها القومية منها في مطالبها الاجتماعية . وقد افتقرت الساحة السياسية في العراق في تلك الفترة إلى احزاب ايديولوجية ومنظمات جماهيرية قادرة على تحقيق المهمات القومية والاجتماعية التي احتاجتها تلك المرحلة



التأريخية .

وفي ضوء ما تقدم اكتسب الجيش اهمية كبيرة ومتميزة في الحياة السياسية للعراق باعتباره قوة مركزية متماسكة وحيدة استقطبت الفئات والقوى الاجتماعية والسياسية الطامحة إلى الخروج من الوضع الراهن وتغييره واضعفت من دور العشائر في التأثير في الوضع السياسي الداخلي[١٨] .

المنحدرات الطبقية للضباط الأحرار

شارك الجيش العراقي في الحركة القومية العربية بشكل عام وفي الحركة الوطنية في العراق بشكل خاص . ومن هنا لزم التعرف على تطور الجيش وطبيعة مشاركته والادوار التي لعبها ضباطه في تطوير تلك الحركة بكافة مراحلها . ومن الضروري ، استكمالا للحقيقة وايضاحا للصورة ، ان نقوم بتسليط بعض الأضواء على المنحدرات الطبقية للضباط وتحديد التجمعات السياسية المختلفة التي وجدت حينذاك وتشخيص الأفكار القومية التي انتشرت في الأوساط العسكرية وكيفية انتشارها .

وقد مر الجيش العراقي في تطوره بمراحل متعددة ، وكانت الفرق العسكرية البريطانية ، خاصة قوات الطيران ، قد قامت بمهمات حراسة المواقع والنقاط العسكرية والمطارات قبل تأسيس الجيش العراقي في سنة ١٩٢١ ، وتكونت مجموعات مسلحة بالأسلحة الخفيفة تتألف من اقليات غير عربية كانت تعمل بأمرة الضباط البريطانيين وتضم بعض الاشوريين وعدداً قليلاً للغاية من الأكراد (قوات الليفي) .

وفي عام ١٩٢٠ عين جعفر العسكري وزيرا للدفاع وكان في وقت



(١٨) خيري أمين العمري، الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد، مطبعة المعارف، بغداد، سنة ١٩٧٩، ص ٤٠ ـ ٤٢ .

سابق رئيسا للاركان في جيش الامير فيصل ابان الثورة العربية الكبرى في ١٩١٦ . وفي تشرين الثاني ١٩٢١ تألفت ثلاثة افواج للمشاة وبطاريتان للمدفعية الجبلية . اعتبرت بمثابة نواة للجيش العراقي ، وفي ١٩٢٤ اصبح الجيش مكونا من الحرس الملكي وستة افواج من المشاة وثلاث بطاريات للمدفعية الجبلية وبطارية مدفعية ميدان وثلاث سرايا آلية وسرية حرس حدود .

وفي عام ١٩٢٧ تكونت قوة الطيران ، وارسل ستة من الطيارين العراقيين إلى انكلترا للتدريب . وفي ١٩٣١ قدمت إلى العراق خمس طائرات . وقامت في تشرين الثاني أول مناورة عسكرية كبيرة في منطقة خانقين ببعقوبة ، وقد ادت هذه المظاهرة إلى ارتفاع هيبة الجيش ومكانته وتعزيز ثقة الشعب به وتقوية معنويات وآمال المواطنين بوجه عام . وكان كافة ضباط الجيش العراقي من خريجي المدرسة العثمانية حتى سنة ١٩٢٤ .

وكان في الجيش العراقي عدد من الضباط السوريين الذين ساهموا في الثورة العربية بالحجاز سنة ١٩١٦ وفي ميسلون بسورية سنة ١٩٢٠[١٩] ، وبالمقابل نجد أن مشاركة العسكريين العراقيين في الحركة القومية العربية كانت قد بدأت قبل تأسيس الجيش العراقي . فقد ساهم هؤلاء الضباط في نشاطات واسعة في الجمعية العربية السرية (العهد) إلى جانب اخوتهم من الضباط العرب الاخرين في الجيش العثماني[٢٠] .

بدأ تنامي الوعي القومي العربي ، الذي وجد انعكاسه في اوساط الجيش ، في المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى وفي نطاق الوضع



(١٩) صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد، راجع: صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ٥٧.

(٢٠) ناجي شوكة، سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ - ١٩٧٤، مطبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٥، ص ٢٦.

المذكور في اعلاه .

ونستطيع أن نلمس ذلك واضحا في مشاركة الضباط العراقيين في الثورة ضد الاتراك عام ١٩١٦ وفي الثورة ضد الانكليز سنة ١٩٢٠ ، اما المرحلة الثانية من تنامي هذا الشعور فقد ظهرت إلى الوجود بعد الحصول على الحكم الوطني في العراق وظهور الدولة العراقية في ١٩٢١ وتأسيس الجيش . هذا من الناحية الفكرية ، اما من الناحية العملية ، فتبدأ المرحلة الأولى من مشاركة الجيش في الحركة القومية بدخول العراق ألى عصبة الأمم في سنة ١٩٣٢ ، وتنتهي بانقلاب بكر صدقي في سنة ١٩٣٦ . وتبدأ المرحلة الثانية من هذه المشاركة بقيام وزارة حكمة سليمان في سنة ١٩٣٦ ، وتنتهي بسقوط حكومة الدفاع الوطني والاحتلال البريطاني الثاني للعراق في سنة ١٩٤١ . وهذه المرحلة الثانية هي في الواقع بمثابة مركز الثقل وحجر الأساس في بحثنا الحالي ، ويبدو أن المرحلة الأولى تعكس صراع افكار سياسية متباينة في الجيش تميزت بالغموض والاختلاط . ومن هنا ، اصبح الجيش اداة استغلتها المجموعات الحاكمة للتضييق على معارضيها في الداخل ، ولكن بالوقت نفسه فان هذه المرحلة هي مرحلة تكوين تكتلات الضباط الوطنيين والقوميين في صفوف الجيش العراقي ومرحلة وضع أسس البرامج السياسية التي تستسيغها وتعتنقها تلك الأطراف . وكانت هناك اسباب ودوافع وظروف موضوعية ادت إلى ظهور تلك الاتجاهات . وكانت هذه المرحلة كذلك بداية ظهور شرائح اجتماعية جديدة ضمت الاقطاعيين والبرجوازية التجارية الصغيرة والموظفين الحكوميين ، ولم يمتلك الجنود المنحدرون من الشرائح الفلاحية والبدوية اية قدرة على التأثير في الوسط الذي كانوا يعيشون فيه . ومن هنا ، وفي ضوء ما تقدم ، امتازت هذه المرحلة بتحكم الاقطاعيين والبرجوازيين الصغار في الساحة السياسية . وبوجه عام ، يبدو أن الأغلبية الساحقة من فئة الضباط في الجيش العراقي حينذاك كانت من ابناء الاقطاعيين وابناء

الارستقـراطية الجـديدة والبـرجوازيـة الصغيرة في المـدن الـذين وجـدوا في الجيش طريقا معبدا وسهلا للوصول الى النفوذ والنجاح في المجتمع . ومن الملاحظ ، وفي هذه المرحلة ايضا ، ان ابناء التجار والشـرائح الاجتمـاعية المتـوسطة في بغـداد وفي مراكـز المدن قـد ساورتهم رغبـة حقيقيـة جـادة في الانتسـاب إلى الجيش ضباطـا . وقد جـاء هذا المـوقف الجديـد في العهـد الوطني على العكس تمـاما من المـوقف القديم الـذي اتخذتـه هذه الشـرائح نفسها في العهد العثمـاني ، لأنها استنكفت حينذاك أن يـدرس ابناؤ هـا في المعاهد العسكرية على نفقة الحكومـة كما لو كانوا من الفقراء المحتاجـين إلى المسـاعدة ، امـا الآن فقـد اختلف الـوضـع وتبـدل المـوقف ، لأن الكليـة العسكرية اصبحت مؤسسة عراقية وطنية ، ولم يعـد ثمة حـرج في انتساب ابنائهم اليها والتحـاقهم بها . وفضـلا عن ذلك ، فـان التحاقهم بـالجيش ضبـاطا قـد امكنهم من المحافـظة على مصـالح الشـرائح الاجتمـاعية التي ينتسبـون اليهـا والتي ينحـدرون منهـا . وهكـذا ، ومـع تـوسـع الجيش العـراقي ، توسـع أيضا كـادره من الضباط . وقـد اثر هـذا التغيير تـأثيـرا تـدريجيـا في التـركيب الـطبقي للجيش ، وادى بـدوره إلى تغييـرات في ايديولـوجيات الضبـاط وإلى ازدياد الـوعي السياسي للجيش كله وتعـاظم شعـوره المعادي لـلامبـريـاليـة وسيـطرة الـرجعيـة والاقـطاعيـة المـواليتـين للاستعمار .

وقد اخذت دوافع مواجهة السياسة التي اتبعها الحكام على اختلافهم تنمو بين صفوف الجيش ، وازدادت قناعة الجيش وبشكل خـاص الضباط بـأن السيـاسيين المسيـطرين عـلى مقـاليـد الأمـور لا يستـطيعـون أو لا يـرغبون في تحقيق الآمـال الوطنيـة والقـوميـة للبـلاد . وتلك هي الخلفيـة التاريخية الموضوعيـة التي ادت بالجيش لان يكـون مركـزا رئيساً من مـراكز استقـطاب القوى المعـارضة المعـادية لـلامبريـالية والـرجعية والاقـطاعية ، والطامحة إلى الحرية الوطنية والقومية والوحدة العربية والنهضة الاجتماعية .



ومن هنا بدأ دور الجيش يتعاظم باستمرار في الحياة السياسية العراقية في تلك الفترة ، اضافة إلى العوامل الأخرى مثل اللجوء إلى الجيش في استخدام أساليب العنف غير المحسوب والقمع غير المنظم التي كانت تمارسها الحكومات المختلفة المتعاقبة والتي وسعت الفجوة بين السلطة والشعب واثارت حفيظة الجيش على تلك الحكومات . وهكذا ضعفت السلطة واضطرت إلى اللجوء إلى الجيش الذي ازداد ميله إلى التدخل السياسي والتغيير الداخلي[٢١] .

كما ان استياء الجيش بضباطه وجنوده من مواقف وتصرفات السياسيين التقليديين قد ازداد ايضا بسبب زجه في قمع انتفاضات القبائل . وكان هذا الاستياء ينمو نموا سريعا . وفي بداية الثلاثينيات ظهر هذا الاستياء في الامتناع عن تنفيذ اوامر القيادة العسكرية العليا والحكومة القائمة حرصا على ابعاد الجيش عن المصادمات المسلحة مع القبائل .

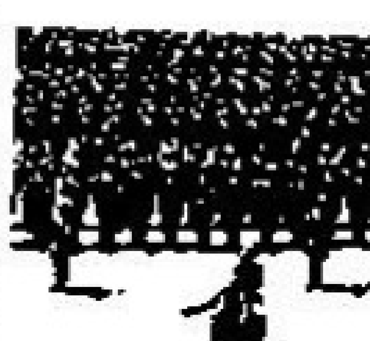
وفي اواخر هذه المرحلة انتشرت الافكار القومية في صفوف الجيش انتشارا واسعا ، ولا سيما بعد ان ادى توسع الجيش إلى احتضانه اعدادا كبيرة من الطبقات المتوسطة في المجتمع[٢٢] ، وبالاخص بعد انقلاب بكر صدقي في سنة ١٩٣٦ وبروز ميوله المعادية للقومية العربية[٢٣] .

وكان موقف الملك غازي من العوامل البارزة في تعزيز الدور السياسي للجيش ، فقد اتخذ الملك غازي ، دون ادنى شك ، موقفا معاديا للانكليز وناصر الافكار القومية الداعية الى الحرية والوحدة العربية

---

(٢١) مجيد خدروي، العراق المستقل، الطبعة العربية، ص ٢٣٨ .

(٢٢) محمد أنيس، الجيش العراقي في الحركة القومية، صحيفة المساء، العدد ٦٣٩، ٢٠ تموز ١٩٥٨.



(٢٣) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ١٧ ، ومحمود الدرة، الحرب العراقية ـ البريطانية، ص ٧٧. والدكتور توفيق سلطان اليوزبكي وآخرون، دراسات في الوطن العربي، (الحركات الثورية والسياسية)، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، سنة ١٩٧٣ ، ص ٨٤.

واستخدم اذاعة قصر الزهور في بث ما يؤمن به ويدعو إليه . وكان انتصار اتاتورك في تركيا وانتزاعه الاستقلال التام وقيام نظامه الجديد الذي حقق بعض المكاسب الايجابية ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية الداخلية ، قد اثار اعجاب عدد كبير من الضباط في الجيش العراقي . وإذا استعدنا للذاكرة ما كان قد حققه رضا شاه بهلوي في ايران حينذاك من أعمال مشابهة لادركنا أن روح العصر التي كانت سائدة حينذاك قد اعطت للعسكري ثقة قوية بالنفس وهيبة عالية ، كما اعطت للجيش مكانة بارزة في الحياة السياسية العامة . ومن الجدير بالذكر ، في هذا الصدد ، ان الفريق الركن بكر صدقي نفسه كان من أبرز المتحمسين للتجربة التركية . وفي تشرين الأول ١٩٣٦ حدث أول انقلاب عسكري في العراق والوطن العربي بقيادة بكر صدقي كما ذكرنا سابقا . وقد تعاونت معه في الانقلاب كتلة من الضباط الوطنيين الذين لا يستسيغون الاتجاهات القومية ومجموعة من السياسيين المدنيين البرجوازيين والليبراليين والديمقراطيين من جماعة الأهالي[٢٤] وفي مقدمتهم حكمة سليمان الذي استهوته أيضاً تجربة اتاتورك ومثيلاتها في الدول الأخرى[٢٥] .

ولكن بعض اعضاء جماعة الأهالي اتخذوا من ديكتاتورية بكر صدقي موقفا يتسم بالحذر والتحفظ . ومهما يكن الأمر ، لم تدم حكومة سليمان طويلا . في ١١ آب ١٩٣٧ اغتيل بكر صدقي في الموصل بتدبير عدد من الضباط القوميين الذين ناصبوه العداء . ومن استقراء الوقائع يبدو واضحا ، كما تقدم ، ان قوى سياسية معينة ومختلفة قد تبلورت في الجيش

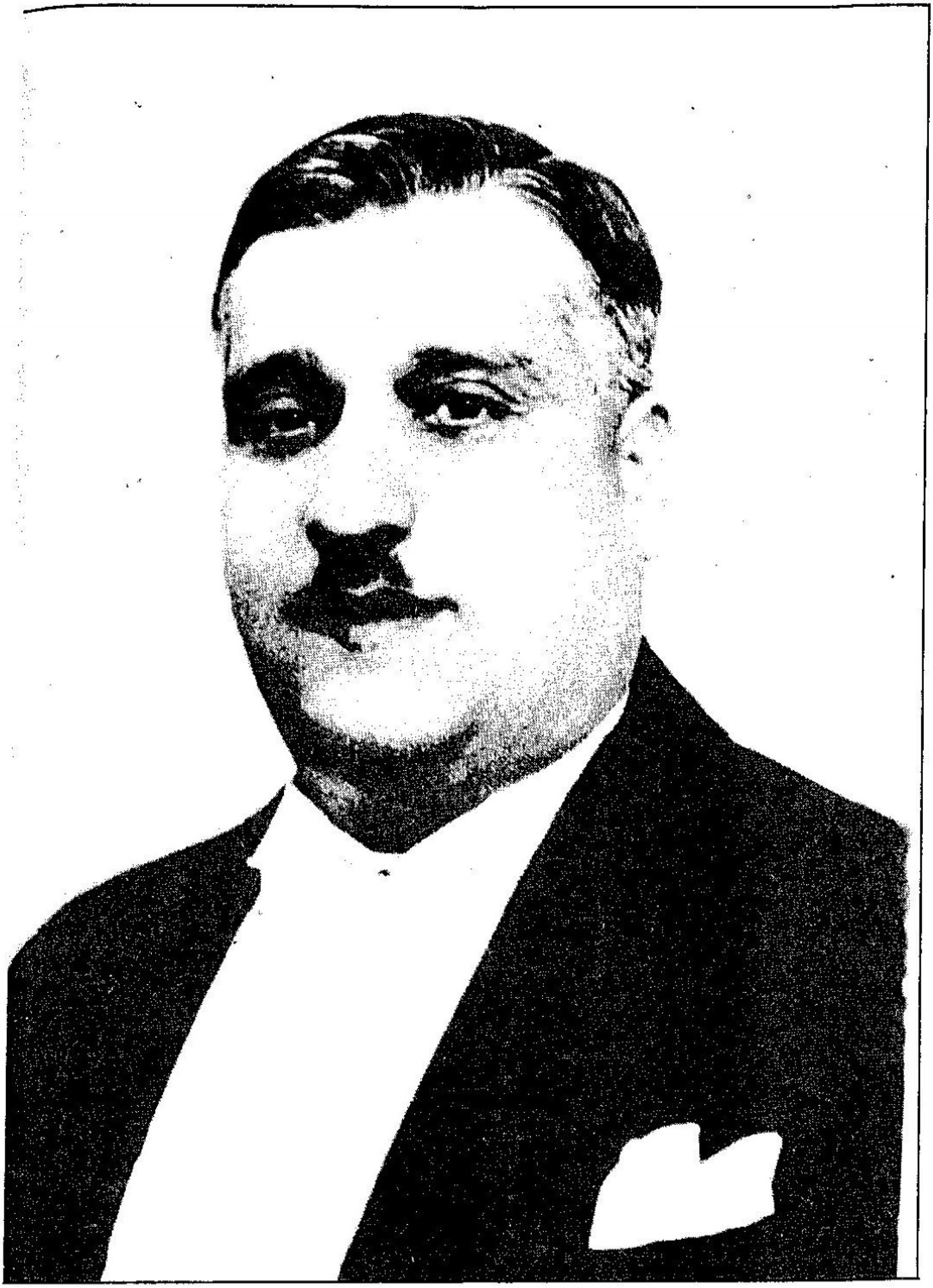
(٢٤) عادل غنيم، تطور الحركة الوطنية في العراق، الدار القومية، القاهرة، سنة ١٩٦٠، ص ١٤ - ١٥.
وراجع ايضا: عبدالغني الملاح، تأريخ الحركة الديمقراطية في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، سنة ١٩٧٥، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٢٥) كامل الجادرجي، اوراق كامل الجادرجي، ص ٨٣.





السيد صالح صائب الجبوري



علي محمود الشيخ علي وزير العدلية في حكومة الدفاع الوطني.



السيد طه الهاشمي



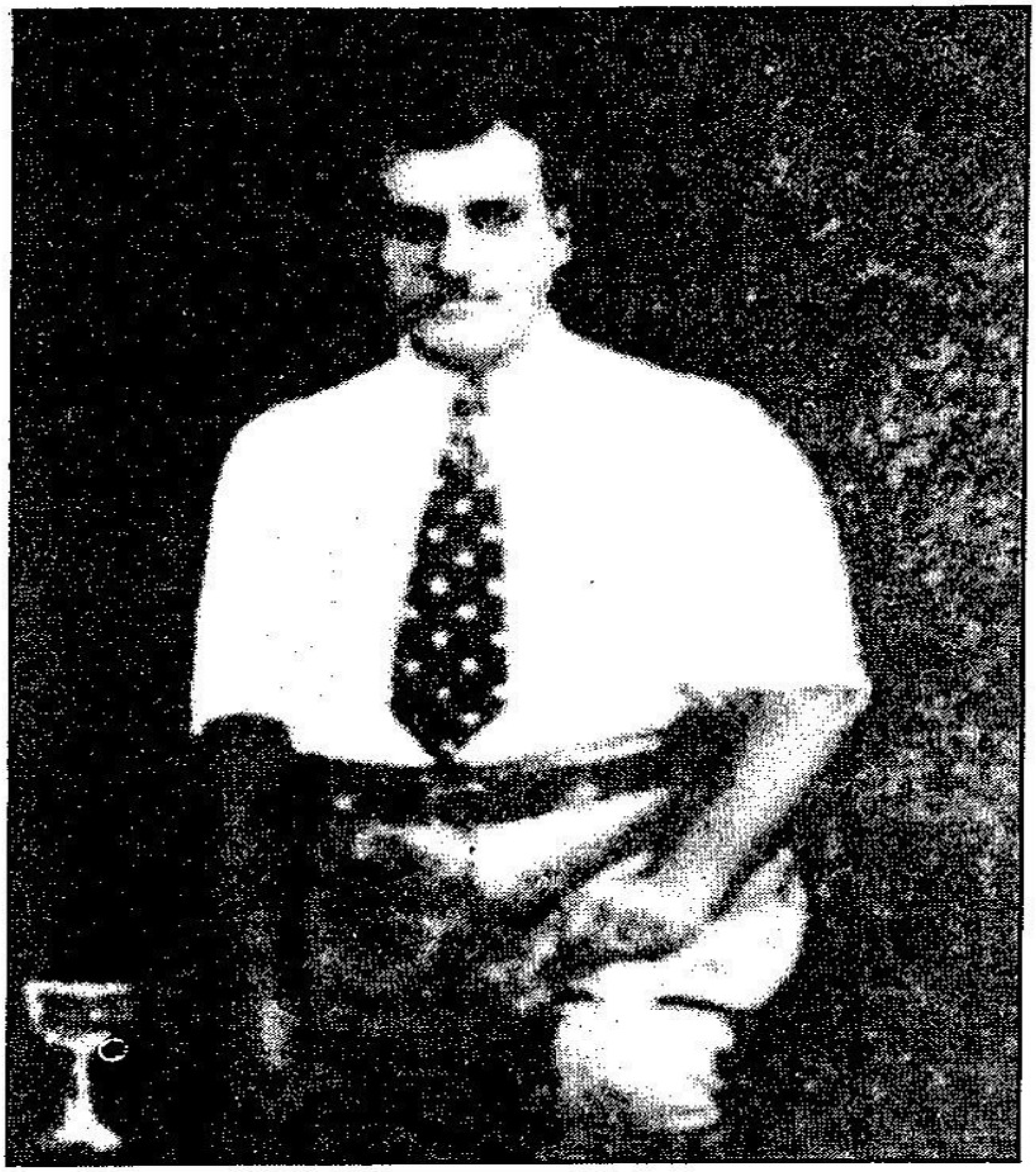
السيد محمد يونس السبعاوي



السيد صلاح الدين الصباغ



موسى الشابندر وزير الخارجية في حكومة الدفاع الوطني



السيد محمود سلمان



السيد محمود فهمي سعيد



السيد كامل شبيب.

بعد انقلاب بكـر صدقي الـذي انتهى بقتله . ويمكن للباحث ان يشخص تلك القوى في كتلتين عسكريتين رئيسيتين :

الكتلة الأولى ضمت الضبـاط الـوطنيـين الـذين لا يستسيغـون الاتجاهات القومية العربية وحصرت همها في النطاق العراقي فقط .

والكتلة الثانية ضمت الضبـاط القوميـين الذين طمحـوا في عـراق مستقـل متحرر من الاستعمـار يكون قـاعدة حصينـة وقلعة منيعـة لـلأمـة العربية جمعاء في معاركها المريرة مع اعدائها .

وكان بكر صـدقي على رأس الكتلة الأولى ، ولكنـه على الـرغم من ذلـك ، حاول في منتصف الثـلاثينيـات وبعـد أن اشتهـر بـاعتبـاره قـائـداً عسكرياً طموحاً[٢٦] ان يقيم صلة بـالكتلة الثانيـة ، ولم يجد تجاوبا نسبيـا ومرحليا . وبعد فشله في الالتقاء مع هذه الكتلة لجأ إلى استغلال عـلاقاتـه مـع ضبـاط الكتلة الأولى واخـذ يستميلهم بتحـقيـق بعض مـطالـبهـم الشخصية[٢٧] .

وفي هذه الفترة بـالذات ، ظهـرت الكتلة الثانيـة في صيغة واضحـة ومحددة فكرا وتنظيما . وبعد نجاح انقلاب بكر صـدقي حدث شـرخ افقي في الشريحة العسكـرية المؤيـدة للكتلة القوميـة التي كانت تضم خليـطا من الضبـاط متنافـرا في المصالـح والميول والمـواقف والآراء . وظهـر أن معـظم الضبـاط من ذوي الرتب الكبيـرة قد اعـربـوا عن ارتيـاحهم للفـريق بكـر صدقي ، او انهم في احسن الأحوال ، قد اتخذوا منه موقفا مائعـا متذبـذبا بـوجه عـام ، ومن هؤلاء الفـريق محمـد امين العمـري والعميـد نـظيف الشاوي والعميد ابـراهيم الراوي والعميـد اسماعيـل نامق . وكـان اللواء



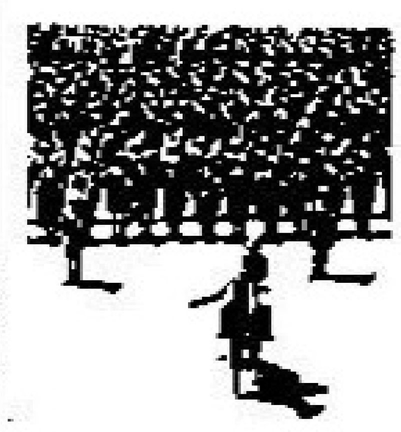
---

(٢٦) عبدالغني الملاح، تأريخ الحركة الـديمقراطيـة في العراق، المصـدر المذكـور سابقـا، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٢٧) محمود الدرة : الحرب العراقية - البريطانية، ص ٦٤ .

اسماعيل صفوة من ابرز القوميين من الضباط ذوي الرتب الكبيرة الذين تعاونوا مع بكر صدقي ولكنه ، في الوقت نفسه لم يتقاعس عن تقديم ما امكنه من عون إلى الكتلة القومية من الضباط . وفي هذه الفترة تلاشت الآمال العريضة التي عقدها الضباط الصغار من القوميين العرب على قادتهم من اصحاب الرتب الكبيرة . وادى الشرخ الأفقي إلى وقوع ما يمكن وصفه بالفرز التأريخي . وكما كان الشرخ محتوما في هذا الخليط المتنافر من الضباط ، بعد نجاح الانقلاب ، كذلك كان الفرز عفويا وتلقائيا في الوضع الجديد الذي نشأ بوصول بكر صدقي إلى السلطة وانكشف كل فرد على حقيقته في التجربة . ومن هنا اتجه الضباط الصغار إلى قيادات جديدة وشابة فكرا وعمرا نسبيا بالقياس إلى الضباط المتذبذبين من ذوي الرتب الكبيرة . ويمكن أن يقال أن العقيدين صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد كانا من أبرز وانشط تلك القيادات الشابة الجديدة بالاضافة إلى العقيد المرحوم محمود سلمان الذي لعب دورا بارزا في استمالة ضباط القوة الجوية الذين تأثروا بقوة شخصيته وصلابة شجاعته وحرارة وطنيته المتأججة . وقد كان العقيد الصباغ بمثابة العقل المفكر الذي تولى مهمة التخطيط والتوجيه كما كان العقيد فهمي سعيد بمثابة الساعد الضارب الذي تولى مهمة الاتصال والتنظيم وكان العقيد محمود سلمان بمثابة القلب النابض بالحب العارم للوطن والاخلاص الفائق للعمل القومي .

ومن الواضح ، في هذه الفترة ، أن الكتلة القومية فقدت عددا كبيرا من الضباط من ذوي الرتب العالية الذين تساقطوا على الطريق أو انسحبوا من الميدان . ولكن على الرغم من كل ما حدث كما تقدم حققت الكتلة القومية كسبا عظيما بانضمام عناصر جديدة وشابة من الضباط الصغار ادى إلى توسيع قاعدتها وازدياد قوتها . ويعود السبب في انضمام تلك العناصر الشابة للكتلة القومية إلى شعورهم بالعداء المكشوف الذي



اظهره بكر صدقي واعوانه للقضية العربية وعزمهم الواضح على التخلص من الضباط القوميين في الجيش .

كما ان عددا قليلا من الضباط الكبار قد احتفظوا بصلة قريبة من اجواء الكتلة القومية مدفوعين بعوامل عديدة ، منها : شعورهم بالقلق من بكر صدقي الذي احاطته من كل جانب فئات من الانتهازيين والحاقدين على العرب ، وتعاظم قوة الكتلة القومية والتبدل الذي طرأ على المواقف من جراء استياء بعض الضباط من ذوي الرتب المختلفة ، وبينهم عدد من الموالين للانقلاب سابقا ، من اغتيال المرحوم جعفر العسكري(٢٨) .

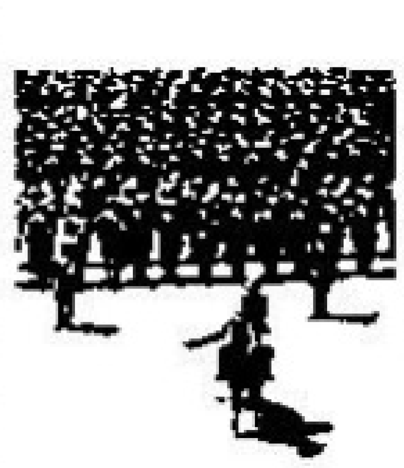
كما ان رسائل التهديد للضباط الكبار التي كانت موقعة باسم (الجمعية الكردية الاصلاحية) وتوزيع المنشورات المطبوعة التي تطالب بحقوق الشعب الكردي لاول مرة في تأريخ العراق الحديث ادت هي الأخرى إلى ازدياد الفتيل اشتعالا وتقريب نهاية رجالات الانقلاب وتصليب عود الكتلة القومية . وشرعت كتلة الضباط القوميين في التفاوض مع قبائل الفرات الاوسط للقيام بحركة عسكرية مشتركة تهدف إلى اسقاط بكر صدقي ونظام حكمه وتسليم قيادة البلاد إلى طه الهاشمي (وكان في المنفى) فلم يوافق على هذا العرض خوفا من حدوث انقسام بين وحدات الجيش يؤدي إلى اقتتالها ، ولكن اعتذاره لم يثنها عن عزمها على اسقاط حكومة حكمة سليمان والقضاء المبرم على بكر صدقي ، فاتخذت قرارا باغتيال بكر صدقي اثناء سفره إلى الموصل في طريقه إلى تركيا التي دعته رسميا لحضور مناوراتها العسكرية . وقام فرع الكتلة القومية في الموصل بزعامة العقيد فهمي سعيد بتنفيذ هذا القرار . وقد كشف النقاب عن الظروف والملابسات التي احاطت بهذا الموضوع في مقال نشره المحامي حازم المفتي في جريدة (فتى العرب) الموصلية وافاد : « في اواخر سنة

(٢٨) طالب مشتاق، ايام النكبة، دار الكشاف، سنة ١٩٣٧، ص ٣٠ ـ ٤٩ .

١٩٣٧ استدعاني العقيد صلاح الدين الصباغ وقال لي : خذ هذه الرسالة وسلمها إلى العقيد فهمي واخبره يجب ان يبذل هو واخوانه كل جهودهم للقضاء على بكر صدقي واذا ضاعت هذه الفرصة كنا جميعا في حكم الأموات »[٢٩] .

وعلى أثر مقتل بكر صدقي في ١١ آب ١٩٣٧ صدرت الأوامر من مقر وزارة الدفاع في بغداد إلى قيادة القوات العسكرية في الموصل باعتقال عدد كبير من الضباط الذين لم يكونوا سابقا من المتحمسين للعمل مع جماعة صلاح الدين الصباغ . وقد اضطرت قيادة الموصل في الأخير إلى اعلان عصيانها وانفصالها ورفضها تسليم المتهمين إلى حكومة بغداد .

وقد جرت اتصالات سريعة على اعلى المستويات في الدولة ادت إلى سقوط وزارة حكمة سليمان وانهيار حكم الانقلاب وانتصار الكتلة القومية من الضباط . وفي هذه اللحظة الحاسمة من تلك الفترة انضم عدد قليل من الضباط الكبار إلى جماعة صلاح الدين الصباغ ومن ابرزهم اللواء محمد امين العمري والعقيد قاسم مقصود . اما في بغداد فقد سارع الضباط القوميون إلى مساندة جماعتهم في الموصل وانضم اليهم وتعاون معهم العميد سعيد التكريتي الذي وضع لواء من المشاة بالانذار في معسكر الوشاش وجرت عدة لقاءات بينه وبين العقداء الأربعة والعمداء محمود الشهواني ويوسف العزاوي واسماعيل حقي خماس وغيرهم نوقشت فيها جوانب الوضع وتطورات الموقف . وقد اتصلت هذه الكتلة بمعظم وحدات الجيش واعلمتها بسيطرتها على الموقف ونالت تأييدها التام . وبعد تأليف وزارة المدفعي قامت علاقات جديدة بين العقداء الأربعة وكل من عزيز ياملكي وسعيد الخياط والمقدم محمود هندي وصبحي العمري وعدد آخر من الضباط الصغار .



(٢٩) جريدة فتى العرب الموصلية، العدد ٦٤ في ١٩٥٢ .

ويبدو للباحث ، في الاستنتاج النهائي والتحليل الأخير ، ان تأييد بعض الضباط الكبار ، على الأقل ، للكتلة القومية كان يعود إلى أسباب مختلفة ودوافع عديدة منها : المصالح والمطامع وحتى الصداقات الشخصية والمخاوف التي نشأت من المواقف والاتجاهات اللاقومية التي لم يتورع بكر صدقي عن اعلانها والنفور من هذه الظاهرة الجديدة المتمثلة في تدخل الجيش بالسياسة والقلق من نتائجها المحتملة فضلا عن التذمر والاستياء للطريقة التي اغتيل بها جعفر العسكري الذي كانت تربطه علاقات ودية مع عدد كبير من ضباط الجيش كما ذكرنا سابقا . وتلك هي الكتلة التي قادها الشهداء العقداء صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب الذين وصفهم الانكليز بالمربع الذهبي[٣٠] .

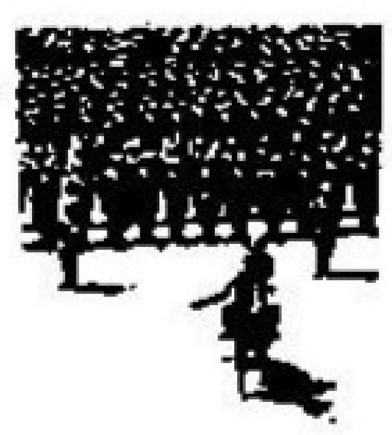
وقد اصبحت هذه الكتلة لولب النشاط ومركز الثقل في الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١ ، كما سنرى فيما بعد . ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذه الكتلة ـ وهي محور بحثنا ومدار اهتمامنا ـ قد ظهرت إلى الوجود دفعة واحدة ظهورا فجائيا ، بل انها قد مرت بمراحل متعددة في تكوينها وتطورت مع انقضاء السنين وازدياد التجارب في العهود السياسية المختلفة والمتعاقبة التي عاصرتها ، كما اوضحنا فيما سبق . وكان طه الهاشمي الذي انفصل عن هذه الكتلة ، في وقت لاحق متأخر ، يعتبر تاجا للمربع

---

(٣٠) راجع : **Paiforce: The Official Story of the Persia and Iraq Command, 1941-1946** (His Majesty's Stationary Office) London, 1948, p.18.

وراجع ايضا :

Somerset De Chair, **The Golden Carpet,** (Faber and Faber), London, 1945, p.21.



وراجع بالاخص :

Winston Churchill, **The Second World War, Vol. III, The Grand Alliance,** (Cassels), ondon, 1950, p.225.

الذهبي في اوج نشاط الكتلة[٣١] وقد سبقه في الانفصال عنها عزيز ياملكي الذي ارتبط بها حتى سنة ١٩٣٨ .

ايديولوجية الضباط الأحرار

تتلخص الطموحات التي حركت هذه الكتلة في مطالب معينة ابرزها واهمها تحرير فلسطين ومنح الاستقلال للبنان وسورية وتوحيد البلاد العربية في دولة قومية عصرية قوية كبرى[٣٢] ، مضافا إلى تسليح الجيش العراقي تسليحا كاملا ومدّه بالعتاد اللازم من أي مصدر كان .

وفي ضوء ما تقدم أعطيت الاولوية القصوى في هذه الكتلة السياسية إلى الاتجاهات القومية التي قررت وحددت ملامح واتجاهات السياسيتين الداخلية والخارجية اللتين انتهجتها معا . وكانت هذه الواقعة هي الحجة أو الذريعة التي استغلتها الكتلة الأولى في نقد الكتلة الثانية مع المطالبة بتقديم السياسة الداخلية على السياستين القومية والخارجية . ولكن الحقيقة هي ان كتلة الضباط القوميين « التي وصفناها بالكتلة الثانية كما تقدم » لم تهمل القضايا الداخلية الملحة على الرغم من الاهتمام الخاص الذي اولته للقضايا الخارجية بوجه عام والقضايا العربية بوجه خاص . وكانت الصفة المتميزة للموقف الذي اتخذه الضباط القوميون هي ربطهم ربطا عضويا وثيقا للحلول المطروحة للمشاكل الداخلية بالحلول المطروحة للقضايا القومية على امتداد المنطقة العربية . تلك هي اذن الاستراتيجية السياسية التي انتهجها الضباط القوميون المنتمون إلى الكتلة الثانية عرضناها بايجاز واختصار . فماذا كانت اذن الاستراتيجية السياسية التي انتهجها الضباط الوطنيون المنتمون إلى الكتلة الأولى ؟ لم يبق للكتلة الأولى من الضباط ما

---

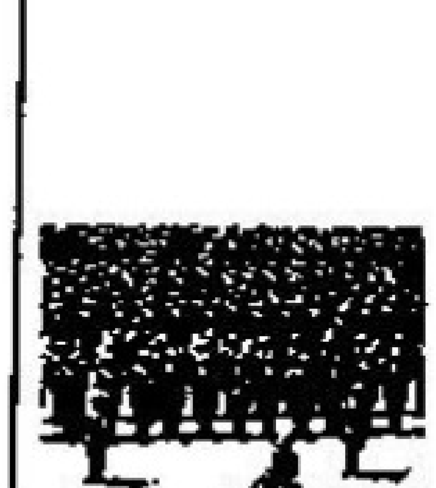
(٣١) يونس بحري، اسرار ٢ مايس ١٩٤١، مطبعة الحرية، بغداد ١٩٦٨، ص ٥٨.
(٣٢) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ٣٣ - ٣٤.

لمسته من تركيز شديد على المطالب القومية واهتمام فـائق بالقضـايا العـربية في الكتلة الثـانية من الضبـاط هذا من النـاحية السلبيـة ، اما من النـاحية الايجابية (في منظورهم) فان هذه الكتلة قد مالت إلى اشتقاق سياساتهـا العربية والخـارجية من مـطالب ومعطيـات السياسـة القطريـة الانعزاليـة ، ولكن الكتلة الأولى هذه لم تستطع الاستمرار في الوجود طويلا وسرعـان ما تلاشت لأن الكتلة الثانية قد استطاعت ان تخلق موقفـا تقدميـا وان تؤجج شعورا قوميا عارما حظي بتـأييد واسـع وتعاطف كبـير في صفوف القـوات المسلحة واوسع الجماهير الشعبية والكتل السياسية معا ، واقامت عـلاقات وطيدة مع المعارضين السياسيين البـارزين في الساحـة العراقيـة حينذاك من أمثال عبد الواحد سكـر ورشيد عـالي الكيلاني ويـاسين الهـاشمي ويونس السبعاوي .

ومن نتائج هذا الموقف القومي الذي اتخذته الكتلة الثانية ، ما ابدته من اهتمـام فائق بـالتعريب في الجيش[٣٣] ، وتشجيـع التحاق العـرب من غير العراقيين بالكلية العسكرية العراقيـة واستقبال عـدد من الاسـاتـذة من الأقطار العربيـة الأخرى للتـدريس في الكلية المـذكورة والمعـاهد التعليميـة الأخرى[٣٤] .

هكذا اصبح العراق في تلك الفترة ، لأسبـاب عديـدة مختلفة ذكـرنا بعضها من قبل وسنـذكر بعضهـا الآخر فيـا بعد ، معقـداً للرجاء ومنـاطا للامل في الامة العربية جمعاء . ومن هنا سـاعـد هذا الـوضع الـذي قام في العراق عملياً عـلى نمو وتـزايد وانتشـار الشعور القـومي والوعي التحـرري العربي على امتداد الوطن الواحد الكبير .

ومن العوامل التي ساهمت في نشوء هذا الوضع في العراق مـا يتعلق



---

(٣٣) راجع : صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة ، ص ٣٨ .
(٣٤) يونس بحري ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

بـالاستقـلال المبكـر ـ الـذي عجلت في نيله ثـورة ١٩٢٠ ـ بـالقيـاس إلى الأقـطار العربيـة الأخرى التي كـانت حينذاك خـاضعة للسيـطرة الاجنبيـة المباشرة .

ومنها ما يعود إلى المواقف النشيطة المعاديـة للانكليـز التي انتشرت في الجيش والمجتمع معا وادت إلى تعزيز نفوذ ضباط الكتلة الثانية في الاوساط كافة[٣٥] . وقد لعب ضباط هذه الكتلة دورا فعالا في تـدريب المجاهـدين الفلسطينيين وتجهيزهم بالسلاح والعتاد سـرا وتشجيع المتـطوعين العـراقيين على الالتحاق بصفوفهم[٣٦] . وقد استقبلت بغداد في ظل نفوذ هذه الكتلة عـددا كبيـرا من أحـرار العـرب الفلسـطينيـين والسـوريـين والمصـريـين والتونسيين .

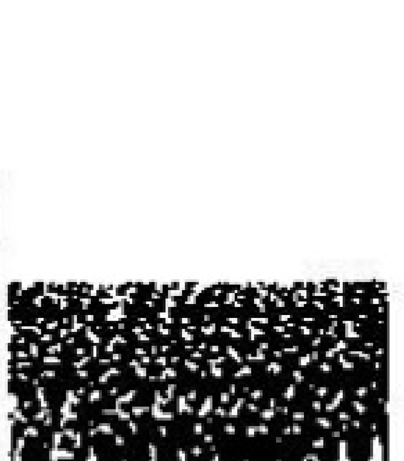
وقد اثرت هـذه العلاقـات بين الكتلة الثـانية وقـادتها وبـين الحركـة القومية وشخصياتها تأثيرا مباشرا وحاسما في البنيات الايديـولوجيـة للضباط القوميين . ومن هنا اتسم نشاطهم في صفوف الجيش بطابع قومي تحـرري وحدوي واضح[٣٧] .

---

(٣٥) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة، ص ٢٦٨ .

(٣٦) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة، ص ١٩٩ .

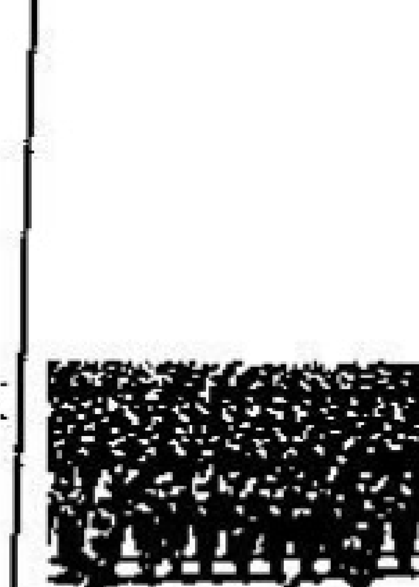
(٣٧) يبدو ان تبادلا في الادوار قد حدث بـين ساطـع الحصري وصـلاح الدين الصبـاغ، فقام الأول بتشجيـع الروح العسكـرية بـين صفوف المدنيين وغـرس فضائـل النظام والـطاعـة والاستعداد للتضحية واحترام الجيش في نفوسهم، سواء عن طريق الـوظائف التي شغلهـا في وزارة المعـارف أو المحاضـرات التي القاهـا في نادي المثنى، وقـام الثاني بتشجيـع الروح القومية بين صفوف العسكريين وتربيتهم على عقيدة الامة العربية الواحدة وضـرورة تحقيق الوحدة العربية وتأسيس دولتها الكبرى. ونحن لا نملك حاليا من القرائن ما يقطع الشـك باليقين في هذا الصدد. فهـل كان هـذا التبادل في الأدوار قـد نشأ من مجـرد توارد خـواطر واتفاق عفوي من غير اتصال شخصي مباشر او انه كان نتيجة للتخطيط الـواعي والتنسيق المقصود او التأثير المتبادل بين الاثنين؟ راجـع : ساطع الحصري، آراء وأحاديث في التربيـة والتعليم، مطبعة الرسالة، القاهرة، سنة ١٩٤٤ . انـظر الفصل المتعلق بـالثكنة والمـدرسة والمعنون (الخدمة العسكريـة والتربيـة العامة) ص ٦٨ ـ ٧٥. وراجـع ايضا : صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ٣٣».



وينبغي علينا الآن ، التزاما بالواجب العلمي ، واستكمالا للتصور التاريخي ، أن نعرض الأفكار الاساسية التي اعتنقها الضباط القوميون ، ومن ابرزهم وألمعهم الشهيد صلاح الدين الصباغ الذي سجّل تلك الأفكار وعرضها في كتابه « فرسان العروبة في العراق » . وقد انطوى كتابه المذكور على ملاحظة جغرا ـ سياسية (جيوبوليتيكية) خطيرة للغاية تتعلق بالاهمية الستراتيجية للمنطقة العربية من العالم ، فوصفها بانها مفترق للطرق بين ثلاث قارات . واعرب عن اعتقاده بأن السيطرة عليها تعني السيطرة على العالم .

وذهب إلى التأكد بان هذا المبدأ الجغرافي العالمي لا يمكن أن تقل خطورته أو أن تضعف اهميته على كرّ الدهور ومرور العصور[٣٨] وقد اقتنع الصباغ بأن الواجب القومي يدعوه إلى توحيد الأمة العربية وبناء دولتها الكبرى . وكان يعتقد أن الوحدة العربية تقوم على أسس موضوعية هي اللغة والتاريخ والدين والمصير المشترك ، كما اتخذ موقفا عدائيا واضحا من النزعات الانفصالية والاقليمية التي وصفها بالشعوبية[٣٩] .

وقد اعرب الصباغ في عبارة واضحة عن رفضه القاطع



---

(٣٨) فرسان العروبة في العراق، ص ٣٣. وقد ثبتت صحة هذا التقدير المبكر للموقف الجغرا ـ سياسي في ضوء الاحداث اللاحقة. فما من احد يستطيع الوصول الى القارات الثلاث الا ويضطر الى المرور في الاجواء والمياه والاراضي العربية. فكان الوطن العربي بهذا المعنى، يحتل موقع القلب في العالم، ولكن قلب هذا القلب، سياسيا وجغرافيا واستراتيجيا وثقافيا وبشريا وتأريخيا، يتمثل في مصر وسورية والعراق، وفلسطين هي القلب الحقيقي والمفصل الحساس في هذه الاقطار الثلاثة. ومن هنا، فإن السيطرة على فلسطين تعني التحكم في مصر وسورية والعراق. والسيطرة على مصر وسورية والعراق تؤثر في الوطن العربي. والسيطرة على الوطن العربي تؤثر في العالم. وهذا هو السبب الذي زرع الخوف من الوحدة العربية في قلوب اعدائها، وهو ايضا السبب في دفع الامبريالية الغربية والصهيونية العالمية الى تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ودعم خططه التوسعية.

(٣٩) المصدر نفسه ص ٣٣.

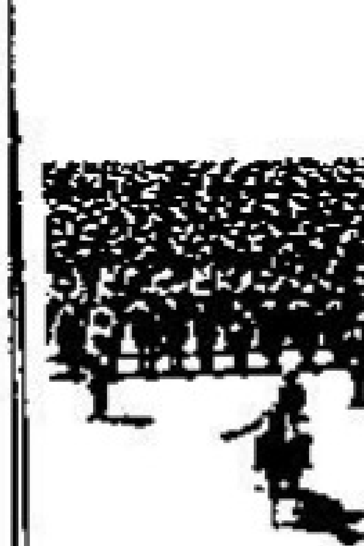
للايديولوجيات الاجنبية على اختلافها ، وافاد : « انـا لا اؤمن بديمقـراطية الانكليز ولا بنازية الالمان ولا ببلشفيـة الروس ، انـا عربي مسلم لا أرضى دون ذلك بديلاً من مزاعم وفلسفات » وافاد أيضاً مؤكداً ما سبق بقوله :

« مبادؤ نا من تراث الانبياء ومن وحي الاله لاسعاد كل حي على وجه الأرض ، وهي تكفينا شر البلشفية والنازية والديمقراطية الانكليزية ، فـان هذه أسماء براقة تخفي وراءها تيارات من الاخلاق المادية الغربية تعمل على القضاء على المثل العليا التي كان اسلافنا مبدعيها وحاملي مشعلها »(٤٠) .

تلك هي في الواقع الخطوط العريضة والملامح البارزة للاستراتيجيـة الايـديولـوجية التي اعتنقهـا الصباغ وجـاهـد في سبيـل تحقيقهـا ثم ضحى بحياته من أجلها .

وفي ضـوء ما تقـدم حدد واجبـات الضباط العـراقيـين عـلى الـوجـه التالي : « كنا نهدف إلى تسليح الجيش وتدريبه وتسليح أحرار العرب ليقيم الانكليـز لنا شـأنا فيـدركوا خـطورتنا ويحـرروا سـوريـة وفلسـطين من نـير الاستعمـار ويرفعـوا عن مصر والعـراق قيودهم ومعـاهـداتهم ثم يـوحـدوا الأقطار العربية كلها في دائرة الاستقلالية ترتبط معهم على أساس المصـالح المتبادلة مثل ارتباطهـم مع تركيا عام ١٩٣٩ »(٤١) .

وقد وجد الصباغ المثال النموذجي للدولة التي كان ينشدها في تركيـا وايـران . وكان معجبـا بتركيـا الكماليـة ، وخاصـة بعد ان زارهـا في سنة ١٩٣٩ عضـوا في الـوفـد العـراقي الـرسمي الـذي شـارك بمـراسيم دفن مصطفى كمال أتا تورك ، وقد قارن بين وتيرة التقـدم في تركيـا وايران من جهة ، وبينها في العراق من جهة اخـرى ، بقولـه : « العراق يـزحف وهما



(٤٠) المصدر نفسه ص ١٢ ، ١٣ ، ١٨ .
(٤١) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

يـركضان »[٤٢] . وقـد امتلك تصورا معينـا للدولة المنشـودة ، وارادها ان تكـون جمهوريـة برلمـانية تسـودها الـديمقراطيـة والعدالـة[٤٣] . ولكنه أولى اهتماما كبيرا للقوة بكل أنواعها واشكالها بوجه عام والقوة العسكرية بوجه خاص باعتبارها اليد الحامية والمدافعة والضاربة للجمهورية المذكورة[٤٤] . وقد ترك مهمة وضع السياستين الداخلية والخارجية للحكـومة الشـرعية في تلك الجمهـوريـة ، ولكنـه اشتـرط ان تنسجم هـاتـان السيـاستـان مـع الاستراتيجية العسكرية التي تقررها قيادة الجيش . ومن الواضح انه اعتبـر السياستين الداخلية والخارجية من صلاحيات الحكومة بعيدا عن مداخلات العسكريين ، ولكنه اعتبر الاستراتيجية العسكرية وتقدير المـواقف الحربيـة وتـطوراتها ونتـائجها السـوقية العـالمية كلهـا من اختصاصـات قيادة الجيش وهيئة الاركان بعيدا عن مداخلات السياسيين المدنيـين[٤٥] . ويغلب على الظن أن هذا التصور الذي عرضه الصباغ كما تقدم يعود إلى طبيعة العلاقة وخصوصية التجربة التي ربطت العسكريين القوميين بالسياسيين المدنيين في عهد حكومة الدفاع الوطني والتي كـان توتـرها وتـدهورهـا من أهم أسباب انهيار النظام واحتلال العراق .

وإذا أردنا استكمال تصورنا عن الايديولـوجية التي اعتنقهـا الضباط الأحرار ، فينبغي أن نضيـف ما يلي إلى ما تقدم :

نسخة طبق الأصل لمسودة أول ميثاق قومي
وضعه الضباط العرب عام ١٩٢٧ في الجيش العراقي
ليكون منهاج عملهم مكتوباً بخط الشهيد العقيد الركن فهمي سعيد[٤٦]



(٤٢) المصدر نفسه، ص ٦١.
(٤٣) المصدر نفسه، ص ١١ ـ ١٢.
(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٠.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٨٥ ـ ١٨٨.
(٤٦) نشرت صورته في مجلة (آفاق عربية)، بغداد، العدد (٤)، كانون الاول، سنة ١٩٧٨، ص ١٦٠).

الميثاق القومي العربي :

١ ـ تتكون الهيئة الرئيسيذ التي تؤمن بهـذا الميثاق من اعضـاء ثابـروا على كفاحهم ومبادئهم تجاه شتى المؤثرات والذين اتصفوا بـ :

أ ـ الأخلاق الحميدة . ومنها الابتعاد عن كل ما ينافي العادة العـربية والرذيلة كبيرة كانت أو صغيرة أو ما يؤدي إلى سوء سمعة الهيئة .

ب ـ انكـار النفس والنفيس . ومنها انـه لا يطالب اجـر عمله ، بل التضحية لروح الجماعة الموحدة في هذا الميثاق . .

جـ ـ. الكتمان .

د ـ الكفاية : انه كفوء على القيام بالاعمال التي تنـاط اليه . وبعمله وقوله وثقافته وانه لا يطالب باكثر ما تقررعليه الجماعة .

هـ التعاون .

و ـ الطاعة .

ز ـ تطهير العناصر المضرة في العرب وتوحيد الممـالك العـربية ضمن وحدة عربية تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والجندية .

الأهداف للوصول إلى الغرض :

أ ـ السيطرة على الجيش .

ب ـ السيطرة على سياسة الدولة ومرافقها .

جـ ـ التعاون مع الهيئات في الأقطار العربية الأخرى .



د ـ التعاون والتآخي مع الاكراد اذ تعتقد الهيئة ان القضيـة الكرديـة لا تتعارض مع القومية العربية طالما تستهـدف في طموحهـا إلى التوسـع في داخل الممالك المجاورة للعراق من الشرق والشمـال . ويكون التعـاون مع

الاكراد على هذا الأساس .

المبادىء :

أ ـ ان تعلم الهيئة ان الفئة الصالحة في البلاد العربيـة قليلة جدا وان مصير البلاد العربية والمبادىء الاسلامية متوقفـة على مثـل هذه الفئـة وهي المعـول الحقيقي في احقاق الأهـداف الآنفة الـذكر . وان الـويل للعـروبـة والاسلام إذا لم تقم هذه الفئة بما عهد اليها (وكم من فئة . . .) .

ب ـ على الهيئة ان تـراعي الانصاف عنـد توجيـه طلباتهـا على احـد اعضائها مراعاة لما قاله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

جـ ـ ليس لعضو من اعضاء الهيئة ان يأتي بعمل فردي مـا لم يستشر الهيئـة ويحصل عـلى موافقتهـا وان تكون اعمـاله ومقـرراته مـربـوطـة عـلى استشاراتها .

الوضع الدولي للعراق

لا يمكن فهم انتفـاضات الجيش العـراقي في تلك الفترة فهـما دقيقـا وكاملا باسبابها ودوافعها إلا في ضوء تصور عام ومبسط عن الوضع الدولي الذي عاصرها واحاطها وعن التأثير المتبادل بينهما .

في منتصف الثـلاثينيات تقـريبـا بـدأت مـرحلة جـديـدة من النـزاع للسيطرة على العالم بين الـدول المحوريـة والديمقـراطية الغـربية[٤٧] . وقـد تدشنت هذه المرحلة بظهور المانيا الهتلرية واستيـلاء ايطاليـا على الحبشـة . وفي هذه الظروف الحرجة حاولت الدول الاستعمارية الغربية ، وبالاخص بريطانيا وفرنسا ، إحكام وتشديد سيطرتها على مستعمراتها في آسيا وافريقيا



(٤٧) الحسني : الاسرار الخفية ، ص ٢٧ .

استكمالا للاستعدادات العسكرية(٤٨) . وقد عمدت بريطانيا وفرنسا إلى تنفيذ تلك الاغراض بأساليب واشكال مختلفة ، منها المعاهدات الثنائية التي عقدتاها مع مصر وسورية ولبنان والتي أعطتهما إمكانات واسعة للتدخل السياسي والعسكري في شؤون هذه الدول . ويهمنا الآن بوجه خاص ان نبين العلاقة التي قامت بين بريطانيا والعراق في هذه الفترة .
ومن المعلوم أن بريطانيا كانت قد عقدت معاهدة جائرة مع العراق في سنة ١٩٣٠(٤٩) . وقد حصلت بريطانيا بموجب نصوص تلك المعاهدة ، التي أدانتها واستنكرتها وقابلتها الجماهير العراقية بالسخط والغضب والاحتجاج ، على امتيازات سياسية واقتصادية وعسكرية واسعة . وكانت وفاة الملك غازي في نيسان ١٩٣٩ قد ادت إلى مجيء عبد الاله ، المعروف بولائه للانكليز ، إلى الحكم(٥٠) . وكانت خطة بريطانيا تقضي أولا بتحويل العراق إلى قاعدة استراتيجية خاضعة لها ومرتبطة بها وارادت كذلك ان تجر الشرق العربي كله إلى الحرب في جانبها . وقررت بريطانيا ان تحقق هذا الهدف بدفع العراق إلى اعلان الحرب على دول المحور وتوريط الدول العربية الأخرى وخاصة مصر بان تحذو حذو العراق(٥١) .
فماذا فعلت المانيا وايطاليا في مواجهة وضع من هذا النوع ؟ وكيف تصرفتا تجاه بريطانيا في المشرق العربي ؟

من الواضح للباحثين الآن أن المانيا وايطاليا قد بذلتا جهدا فائقا دعائيا وسياسيا نشيطا وحاولتا بشتى الوسائل والاساليب أن تضعفا النفوذ البريطاني ومواقعه في العراق وقد طمحتا في الواقع إلى اخراج العراق من دائرة النفوذ الحليف وادخاله في دائرة النفوذ المحوري وتحويله إلى قاعدة

---

(٤٨) امين سعيد، الوطن العربي، ص ٥٥ .
(٤٩) الدكتور فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية ـ البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨، دار الحرية للطباعة، بغداد، سنة ١٩٧٧، ص ٢٤٣ ـ ٣٠٧ .
(٥٠) محمود عوده، ثورة العراق، ص ٥٨ .
(٥١) عبدالرزاق الحسني، الاسرار الخفية، ص ١٩٧ .

للعمليات العسكرية التي قد تشن ضد الدول الاستعمارية الغربية . ولكن بريطانيا لم تقف موقف المتفرج ازاء هذه النشاطات المحورية في العراق بل سارعت هي الاخرى إلى تثبيت سيطرتها على العراق مستغلة تفسيرها الخاص للبنود التي وردت في معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ . وكانت تلك المعاهدة والاختلاف في تفسير بنودها من اهم الاسباب المباشرة للحرب العراقية ـ البريطانية في سنة ١٩٤١ وسنبحثها بالتفصيل في الفصل القادم . ونكتفي الآن بهذه الاشارة الوجيزة التي تنسجم مع السياق العام للبحث في هذا الفصل .

وقد اعطت تلك المعاهدة بريطانيا من الحقوق القانونية ما اسبغ شرعية شكلية زائفة على تدخلها في شؤون العراق الداخلية والخارجية . إذ حددت هذه المعاهدة في فقرة من اهم فقراتها التزامات العراق ازاء بريطانيا بمنحها قاعدتين جويتين احداهما في جوار البصرة « الشعيبة » والاخرى في الحبانية « سن الذبان ». وتعهد الجانب العراقي بأن يأذن للجانب البريطاني وضع قوات عسكرية في القاعدتين المذكورتين يحدد عددها بالمشاورة الجانب العراقي حسب احكام الملحق العسكري للمعاهدة المعقودة بين الجانبين .

ويتضح من ذلك كله أنه ليس في المعاهدة نص يخول اقامة قوات بريطانيا في العراق إلا إذا كانت قوات جوية تنزل في القاعدتين المذكورتين فقط على أن يكون ذلك مقيدا بموافقة الحكومة العراقية بعد التشاور معها في الامر(٥٢) .

ويتعهد العراق في حالة نشوب حرب أن يقوم بتقديم تسهيلات

---

(٥٢) الكتاب الابيض: التطورات التي سبقت الاعتداء البريطاني الغاشم على العراق سنة ١٩٤١، اعداد وتقديم د. نجم الدين السهروردي، مطابع دار الزمان، بغداد سنة ١٩٦٦، ص ١٢.

ومساعدات للقوات البريطانية داخل الاراضي العراقية ، بما في ذلك استخدام طرق المواصلات ضمن الحدود التي حددت في المعاهدة . ويفهم من نص الاتفاقية أن المقصود بالتسهيلات والمساعدات التي يقدمها العراق لبريطانيا في حالة اشتباكها في حرب ليس اقامة قوات عسكرية في العراق أو تأسيس قواعد لهذه القوات وإنما السماح بمرور القوات البريطانية عبر الاراضي العراقية فقط(٥٣) . أما حراسة القاعدتين الجويتين في الشعيبة والحبانية فتكون بقوات عراقية وإذا ارادت بريطانيا تعزيز حراسة هذه القواعد فإن زيادة الحراسة تكون بالمشاورة بين الجانبين العراقي والبريطاني . كذلك يتعهد الجانب العراقي بتقديم التسهيلات بالسماح بمرور قوات عسكرية عبر اراضيه وفق شروط معينة تضمن عدم استمرار وجودها في معسكراتها استمرارا دائميا . ولا يسمح بنزول قوات اضافية إلا بعد التأكد من أن الدفعة الاولى قد غادرت الاراضي العراقية . كما نصت المعاهدة على السماح للسفن البريطانية باستخدام المياه والموانىء العراقية ولكن بعلم مسبق من العراق .

أما التزامات بريطانيا ازاء العراق فإن ابرزها استخدام قوات عراقية لحراسة قواعدها في الشعيبة والحبانية على أن تتكفل بريطانيا بنفقات هذه القوات وتتعهد كذلك بتقديم التسهيلات فيما يتعلق بتزويد القوات العراقية بالاسلحة والاعتدة والتجهيزات والطائرات ومن احدث الانواع على أن لا تختلف كثيرا في نوعها عن اسلحة القوات البريطانية .

ومن الجدير بالذكر أن العراق قد قام فعلا بتنفيذ التزاماته وتعهداته تجاه بريطانيا كما أقرّتها المعاهدة ولكن بريطانيا على العكس من ذلك تجاهلت التزاماتها وتعهداتها تجاه العراق بموجب المعاهدة نفسها ، بل انها قد خالفت نصوص تلك المعاهدة حتى قبل قيام حكومة الدفاع الوطني في

---

(٥٣) المصدر نفسه ص ١٣ .

سنة ١٩٤١ ، ومن ابرز المخالفات الصارخة التي ارتكبتها بريطانيا تجاه العراق :

امتناعها عن استخدام القوات العراقية في القيام بحراسة القاعدتين الجويتين (الحبانية والشعيبة) وتجنيدها حرسا من قوات الليفي اختارتهم من أعوانها ثم حرمانها العراق بوسائل مختلفة من شراء ما يحتاجه من الاسلحة من الدول الاخرى كما أن بريطانيا فرضت على العراق موظفين بريطانيين كانوا رغم قلة خبرتهم يتقاضون رواتب باهظة ويتعمدون تبذير اموال الدولة ويحدثون الفرقة بين ابناء الشعب(٥٤) .

أما على صعيد نظام الحكم فإن المعاهدة نصت على تأليف حكومة وطنية عراقية وقد يبدو هذا النص بريئا لا يهدف إلى اكثر من مراعاة الوضع الداخلي للعراق والحفاظ على حقوق اقلياته ، لكن ظاهره كان مختلفاً تماماً عن باطنه . فقد كان الهدف الحقيقي من النص المذكور القضاء على الفكرة القومية والوحدة العربية ومنع ذكرهما حتى في الكتب ومناهج المدارس التي تقوم بتربية الاجيال الجديدة ، كما أن المعاهدة قد فرضت النظام الملكي الوراثي على العراق واعطت فيه سلطة واسعة للملك حتى ولو لم يكن قادرا على ادارة دفة الدولة أو كان جاهلاً أو صبياً أو غبياً . وقد رمت المعاهدة إلى غاية بعيدة قد لا تخطر على البال من الوهلة الأولى وهي : أن يكون الملك انكليزيا قلباً وقالباً في تربيته ونزعته وحاشيته أيضاً حتى لا يكون أكثر من مجرد العوبة في أيدي سادته الانكليز . كما نصت على تعيين مستشارين بريطانيين في الوزارات والدوائر الحكومية تأمينا للسيطرة البريطانية على الدولة وسلطاتها ومرافقها والتزمت المعاهدة بتشكيل جيش وطني في الظاهر ولكنها ارادته أن يكون جيشا غير قومي مسلحا باسلحة انكليزية ، جيشاً عراقياً لا عربياً ، تهيمن عليه البعثات العسكرية

---

(٥٤) المصدر نفسه، ١٩ ـ ٢٠ .

البريطانية فتدربه على الفساد وتستخدمه في تقتيل الوطنيين من ابنـاء جلدته بـدلا من أن يكـون سيفـا يستخـدمـه الشعب في مقـاومــة المستعمـرين ، واوجبت المعـاهدة بـأن يتم تعيـين ضبـاط لـلاستخبـارات من الانكليـز في مناطق العشائر والاقليات وكـانت المهمة الحقيقيـة للضباط المـذكورين هي خلق المشاكل واثارة النعرات اشغالا للجيش وصرفـه عن واجباتـه الوطنيـة الاساسية واستنزاف جهوده(٥٥) .

وعلى كل حال اتفق معظم البـاحثين عـلى أن تلك المعاهـدة لم تحفظ إلا مصالح بريطانيا وحدها ومصالح حفنة صغيرة من السياسيين العراقيـين الخاضعين لها والمرتبطين بها ارتباطا مصيريا . وكان ابرام تلك المعاهدة قـد وقع في حينه وقع الصاعقة على القوى الوطنية التي حاربت مع الحلفاء ضد العثمانيين ، مـدفوعـة بطمـوحاتهـا وآمالهـا القوميـة ، واكدت مجـددا غدر الحلفـاء بالعـرب بعد غـدرهم في معاهـدة سـايكس ـ بيكـو سيئـة الصيت والاصرار على اذلالهم واستعبادهـم واغتصاب حقوقهم . وقد ادت المعاهدة إلى تكريس الوضع القطري وابعدت فرص قيـام الوضـع الوحـدوي الذي كانت الحركة الوطنية القومية تحلم به وتتـطلع إليه لأنها قـد ادت إلى تكبيل العراق بقيود ثقيلة وافقدته السيطرة على شؤونه الداخلية والخارجية . ولعل افضل وصف للدور التخريبي الذي لعبته تلك المعـاهدة المشؤومـة قد ورد على لسان الشهيد صلاح الدين الصباغ الذي افاد في مـذكراتـه التي نشرت بعد استشهاده ما يلي بـالحرف الـواحد : « ليتنـا لم نتقيد بهـذه المعاهـدة ولم نخضع لها ، إذن لبقينا على وحدتنا القومية وعقيدتنا الاسلامية كما كنا ايـام الثورة العراقية ، ولما قتل الوطنيون منا بتهمة الخيانة الوطنية »(٥٦) فكأنـه ، رحمه الله ، كان يعبر عن آمال وطموحات اجيال عربية كاملة من الـوطنيين القوميين التي خيبتها مطامع ودسائس وجرائم الانكليز .

---

(٥٥) صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة ، ص ٣٨ .

(٥٦) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

بعد هزيمة دول اوروبا الوسطى في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)، اجبرت المانيا بموجب معاهدة فرساي (١٩١٩) على التنازل عن ممتلكاتها فيما وراء البحار وكذلك امتيازاتها في الخارج ومن بينها حصتها من الامتيازات النفطية في العراق وسكة حديد برلين ـ بغداد وفرضت شروطاً مذلة وقيودا ثقيلة على الشعب الالماني نفسه في وطنه فحددت جيشه كما وكيفا ، عددا وتسليحا ، واستوفت تعويضات فادحة من كده وعرقه ونزعت السلاح عن مناطق معينة من وطنه وضمت اخرى إلى دول اجنبية مجاورةومنعت تحقيق الوحدة بين النمسا والمانيا[٥٧] . ومنذ اللحظة التي عقدت فيها معاهدة فرساي جوبهت بمعارضة واسعة وعنيفة من كافة شرائح واوساط الشعب الالماني واصبح شغل المانيا الشاغل في تلك الفترة أن تتحرر من القيود الثقيلة والاعباء الباهظة التي فرضها الحلفاء الغربيون المنتصرون على المهزومين وأن تستعيد اراضيها المغتصبة وحقوقها المسلوبة . على ان تلك المشاغل والهموم لم تمنع المانيا من البحث عن اسواق تستهلك بضائعها في المناطق الخاضعة للسيطرة البريطانية والفرنسية ولا سيما في المشرق العربي ، وقد بلغت الواردات الالمانية من العراق ما مقداره ١,٩ مليون مارك في سنة ١٩٣٧ و ٢ و ٤ مليون مارك في عام ١٩٣٨[٥٨] . وقد اختلف التوجه الايطالي عن التوجه الالماني اختلافا

---

(٥٧) راجع نص المعاهدة في المصادر التالية:
اولا ـ الدكتور محمد كمال الدسوقي، تأريخ المانيا، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩، ص ١٢٠ ـ ١٢٢.
ثانيا ـ تأريخ مؤتمر السلام في باريس، بإشراف تمبرلي، مطبعة جامعة اكسفورد باللغة الانكليزية، برعاية المعهد البريطاني الملكي للشؤون الدولية، لندن، ، سنة ١٩٦٩، ص ١٠٠ ـ ٣٣٦.



(٥٨) الدكتور متي عقراوي، العراق الحديث، تحليل لأوضاع العراق ومشاكله السياسية، بغداد، سنة ١٩٢٦، ص ٥٥.

جذريا في الوطن العربي لأن وجود ايطاليا في بعض الاقطار العربية ، كما سنرى ، كان وجودا استعماريا طويلا ، كما انها لم تخف نواياها ومطامعها الاستعمارية التي استهدفت اقطارا عربية اخرى . وقد لعبت ايطاليا أدواراً مهمة في اقطار عربية عديدة من خلال استيطان جاليات ايطالية كبيرة في مدن عربية كثيرة ، امتلكت المدارس والمستشفيات والكنائس والاديرة الدينية فضلا عن المصانع والشركات والمصالح الاقتصادية .

وفي اعقاب الحرب الايطالية ـ العثمانية (١٩١١ ـ ١٩١٢) اصبحت ليبيا من المستعمرات الايطالية . وهكذا اصبحت ايطاليا على تماس جغرافي مباشر مع مصر[٥٩] .

وقد أثارت جرائم ايطاليا في ليبيا ، وعلى وجه التحديد بعد استيلاء الفاشيين على السلطة في عام ١٩٢٢ وكذلك وقوع العدوان الايطالي الصارخ المفضوح على الحبشة في عام ١٩٣٥ ، إلى موجة عارمة من النفور العام اجتاحت ارجاء الوطن العربي كافة واثارت مخاوف مواطنيه قاطبة من نوايا ومطامع ايطاليا . وعلى الرغم من ذلك استطاعت ايطاليا أن تنال نفوذا معينا في البلدان العربية وخاصة بين الحربين العالميتين الاولى والثانية . ويعود النفوذ المذكور إلى اسباب عديدة منها : شراء الاسلحة ، والاستعانة بالمدربين الايطاليين ، وظروف الوضع الدولي التي كانت قائمة حينذاك والتي ادت إلى حدوث تقارب بين بلدان المشرق العربي ومحور برلين ـ روما[٦٠] .

وقد مال المواطن العربي في الفترة بين الحربين إلى الاقتناع بأن الجبهة المعادية المشتركة هي بريطانيا وفرنسا والصهيونية العالمية[٦١] . ولكن

---

(٥٩) لوكاز هيرزويز، الرايخ الثالث والمشرق العربي، دار المعارف، مصر ١٩٦٨، ص ٢٩ ـ ٣١ .

(٦٠) عادل غنيمة، تطور الحركة الوطنية في العراق، الدار القومية، بيروت، ١٩٦٠، ص ٨ ـ ٩ .

(٦١) لوكاز هيرزويز، المصدر السابق، ص ١٤٩ .

المواطن العربي في تلك الفترة كان اميل إلى المانيا النازية منه إلى ايطاليا الفاشية ، للاسباب المذكورة في اعلاه . فقد نظر العرب إلى المانيا النازية نظرتهم إلى الحليف الطبيعي ، على اساس المبدأ القائل « إن عدو عدوي صديقي » لأنها كانت عدوة سافرة للامبراطوريتين البريطانية والفرنسية وللصهيونية العالمية أيضاً ، من جهة ، ولم يكن لها وجود استعماري مباشر في ارض عربية من جهة اخرى .

وهناك عوامل اخرى دفعت بعض التشكيلات الوطنية في المشرق العربي إلى التقرب من دول المحور قبل نشوب الحرب العالمية الثانية وتأييدها المعلن للمحور في السنوات الاولى من تلك الحرب بعد أن تكررت انتصاراته على الحلفاء . ولعل من ابرز تلك العوامل واهمها على الاطلاق ما يتعلق باعتقادهم أن صداقة دول المحور اضمن للوصول إلى الاهداف والمصالح والحقوق العربية من صداقة الحلفاء الذين لم ينس العرب ما عانوه من غدرهم في الحرب العالمية الاولى (سايكس - بيكو ١٩١٦) وحنثهم بالوعود التي قطعوها على انفسهم ، وقد تصرف العرب على اساس المبدأ القائل (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه التشكيلات الوطنية العربية لم تتجه إلى المحور إلا بعد أن فشلت في الحصول على أي اتفاق مع بريطانيا يحقق المطالب القومية العربية ، التي كان من أبرزها تحرير فلسطين واستقلال سورية وتسليح الجيش العراقي(٦٢) . ومن الواضح أن تقرب هذه التشكيلات من المانيا لا يعود إلى ايمانها بالمبادىء النازية ، بل إلى محاولتها الاستفادة ، إلى أقصى حد ممكن ، من الصراع الدولي الدائر حينذاك في انتزاع التحرر القومي والاستقلال

---

(٦٢) اسماعيل ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، ص ١٩ ، وصلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة في العراق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

الحقيقي والقضاء المبرم على المشروع الصهيوني . وعلى العموم لم يتعد التأييد العربي للمحور نطاق الشعور العاطفي ولم يخرج عن حيز الاستبشار بانتصاراته والتشفي بهزائم بريطانيا وفرنسا ولم يصل إلى مستوى الاتصال المباشر والتنسيق الفعلي إلا بعد فوات الأوان وبعد وقوع العدوان البريطاني المسلح على العراق في سنة ١٩٤١ .

وقد استمرت بريطانيا في معارضتها التحسن المطرد في العلاقات بين المانيا والعراق . وتحفظت بالاخص على الصفقات الكبيرة من الاسلحة التي عقدتها المانيا مع العراق في ١٩٣٧ . في العام المذكور اعرب مكتب العلاقات الخارجية في الحزب النازي عن تخوفه من أن يؤدي ذلك ، إذا تحقق ، إلى وقوع ازمة في العلاقات بين المانيا وبريطانيا في وضع غير مناسب وفي وقت غير ملائم(٦٣) . ولم يسلم من تلك الضغوط والتحفظات البريطانية حتى ما ابدته البنوك الالمانية من استعداد لتقديم قروض وتسهيلات مالية للعراق . وفي فترة لاحقة وافقت المانيا على طلب ايطاليا أن تقوم هي ببيع الاسلحة إلى العراق . ولعب اللاجئون السياسيون الفلسطينيون والسوريون من انصار الوحدة العربية دورا كبيرا في توثيق العلاقات العربية مع دول المحور واثارة الكراهية ضد بريطانيا . وقد وفرت تلك الظروف الموضوعية من الاجواء الملائمة ما اتاح للدعاية المحورية أن تنشط وأن تنتشر في المنطقة العربية . وسارع المحور إلى استغلال تلك الظروف الحرجة التي احاطت بالعرب وحاجتهم إلى دول اوروبية قوية تمدهم بالسلاح وتدعمهم في صراعهم مع بريطانيا وفرنسا وتصديهم للهجرة الصهيونية .

ومن المعلوم أن مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني قد لعبا دورا كبيرا في هذا الصدد ، ولكنهما اختلفا في موقفيهما إلى



(٦٣) محمود الدرة ، الحرب العراقية البريطانية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٦٨ .

حد معين . فكان الاول لا يمانع في التعاون مع ايطاليا بالاضافة إلى المانيا ، وكان الثاني متحفظا في التعاون مع ايطاليا ومفضلا التعاون مع المانيا[٦٤] لان المطامع الاستعمارية الايطالية في المنطقة العربية كانت قد اكتسبت درجة من الوضوح والعنف لم تكسبها المانيا . وكان الايطاليون في الواقع قد اظهروا استعدادا اكبر من سواهم للقيام بتصدير الاسلحة إلى العراق كما كانت عروضهم افضل من حيث الشروط والاسعار والخدمات . ويعود السبب كما يبدو إلى تحسس ايطاليا بمخاوف العرب من سياستها الاستعمارية فارتأت أن تسبق غيرها من الدول في تطمين العرب بتحسين علاقاتها مع العراق ولا سيما بعد امتناع حكومة الكيلاني - بالرغم من الالحاح البريطاني - عن قطع العلاقات الدبلوماسية بين العراق وايطاليا في ١٩٤٠[٦٥] .

واظهرت احداث الحرب العالمية الثانية أن دول المحور لم تكن راغبة أو مستعدة للقيام بدعم عسكري فعال للعراق من شأنه أن يؤدي إلى تقوية جيشه ، ويعود هذا الموقف إلى عدة اسباب ، اهمها الاتفاقات بين هتلر وموسوليني بأحقية ايطاليا في استعمار بعض دول المشرق العربي ، بالاضافة إلى اعتبارات اخرى تتعلق بالاستراتيجية الكبرى للرايخ الثالث بوجه اخص ونواياه المكتومة حينذاك للهجوم على الاتحاد السوفيتي ، وقد انعكست هذه التحفظات انعكاسا سلبيا على علاقة العراق بالمحور من جهة وعلى قدرة الجيش العراقي على الوقوف بوجه العدوان البريطاني من جهة اخرى بسبب تباطؤ المحور في امداد العراق بالاسلحة الكافية التي تعزز طاقاته القتالية . وكانت علاقات دول المحور مع العراق قد توثقت بعد أن اصطدمت الحركات القومية في الوطن العربي مع الاستعمار البريطاني في الفترة التي امتدت بين نشوب الثورة العربية الكبرى في

---

(٦٤) لوكاز هيرزويز، المصدر السابق، ص ٣١ .

(٦٥) مذكرات ناجي شوكة، سيرة وذكريات، ص ٣٨٦ - ٣٨٩ و٤٠٠ .

فلسطين سنة ١٩٣٦ وسقوط بغداد في سنة ١٩٤١ . ومن هنا استطاعت دول المحور أن تصل إلى درجة فائقة من التأثير الدعائي في اوساط الشعب العربي وأن تجد آذانا صاغية وقلوبا مفتوحة في اجياله الجديدة وفئاته المثقفة وجماهيره الواسعة . وهكذا كان إذ قامت دول المحور بقطع الوعود للالتزام بتحقيق الاماني القومية للامة العربية بالاخص في فلسطين . في حين انتهجت بريطانيا سياسة استعمارية تقليدية تقوم على استمرار الاوضاع القائمة وتأجيل بحثها إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ودعم العائلات المستفيدة والطبقات الحاكمة التي شعر الشعب بالنفور منها والعداء لها . وتلك كانت هي الاجواء التي اتاحت للاجيال الجديدة أن ترفع صوتها في معارضة اعوان الانكليز وفضح عمالتهم[٦٦] .

ومن الواضح أن العشائر العراقية في هذه الفترة كانت لا تزال تمثل قوة ضاغطة وشريحة مؤثرة في الحياة السياسية العامة . ولكنها في نطاق هذا الوضع الذي كان قائما كما وصفناه ، لم تتخذ موقفا مشتركا موحدا . فبعضها قد والى الانكليز وحالفهم . وبعضها قد خالف الانكليز وحاربهم . ومنذ ثورة فلسطين في ١٩٣٦ وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ لجأ إلى العراق عدد كبير من ثوار واحرار ورجالات العرب الذين احتضنتهم بغداد . وقد لعب بعضهم دورا مهما في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للعراق وساهموا مساهمة مباشرة في صنع القرارات واتخاذ المواقف . ومن ابرز هؤلاء والمعهم وانشطهم مفتي فلسطين الحاج محمد امين الحسيني الذي اقام علاقات وثيقة واسعة مع التكتلات السياسية المعارضة ، المدنية والعسكرية . وفي عشية الحرب العالمية الثانية تطور القوميون العرب من اعضاء نادي (المثنى) في العراق فكرا وعملا حتى اصبحوا قوة سياسية بارزة لا يمكن اغفال تأثيرها أو

(٦٦) اسماعيل ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، ص ٢٠ .

تجاهل دورها في الحياة العامة .

ومن الجدير بالذكر أن احرار العرب الذين احتضنتهم بغداد ، كما افدنا في اعلاه ، واخوانهم القوميين من ابناء العراق ، وبوجه خاص اعضاء نادي (المثنى) قد تعرضوا إلى المضايقات والتشديد في عهد انقلاب بكر صدقي وحكومة حكمة سليمان في سنة ١٩٣٦ . والواقع أن نجاح الانقلاب المذكور وظهور نزعاته المعادية للقومية العربية يمكن أن يعتبرا بداية حقيقية لقيام اول تكتل قومي عربي واضح المعالم والسمات على الصعيد العسكري في الجيش العراقي الحديث « كتلة الشهيد البطل صلاح الدين الصباغ واخوانه الابرار، وهي الكتلة التي لعبت الدور القيادي في قيام حكومة الدفاع الوطني والتصدي للعدوان البريطاني في سنة ١٩٤١ ».

والخلاصة باختصار وتبسيط شديدين ، إن انقلاب بكر صدقي في سنة ١٩٣٦ كان الاول من نوعه في العراق والوطن العربي في القرن العشرين ، كما انه كان فاتحة عهد تدخل الجيش في السياسة تدخلا مباشرا في التأريخ العربي الحديث . وكان الانقلاب كذلك في حقيقته ، خاتمة العهد السابق الذي اتسم بتدخل العشائر في السياسة وتغيير الحكومات باللجوء إلى الضغوط أو الانتفاضات العشائرية . وهكذا اختلفت اداة التغيير السياسي الداخلي بحلول الانقلاب العسكري محل التمرد العشائري[٦٧] .

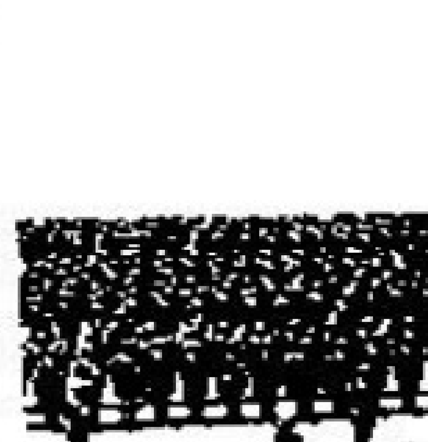
وبذلك يمكن أن يقال أن صفحة قديمة قد طويت وأن صفحة جديدة قد فتحت ، عندما دخل بكر صدقي إلى بغداد على رأس ما أسماه « بالقوات الوطنية الاصلاحية المسلحة » في سنة ١٩٣٦ .

وفي ضوء ما تقدم من اسباب يحق لنا أن نعتبر انقلاب بكر صدقي

---

(٦٧) خيري العمري، الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٠ ـ ٤٢ .

بمثابة لحظة فاصلة ونقطة حاسمـة في التأريـخ العراقي والعـربي الحديث في وقت واحد وعلى حد سواء وخطوة جادة ومحطة أساسيـة في الطريق المؤدي إلى صعـود نجم التكتل القـومي العسكري وقيـام حكومـة الدفـاع الوطني ونشوب الحرب العراقية ـ البريطانية في سنة ١٩٤١ وما أدت إليه من نتـائج وخيمة وعواقب خطيرة وتضحيات فادحة .



الملحق الاول بالفصل الرابع

الوثيقة الاولى

236 A

FOREIGN OFFICE, S.W.1.

31st December, 1936.

(E 7795/1419/93)
[illegible]

My dear Archie,

Many thanks for your letters of the 25th November and the 3rd December about Bekr Sidqi.

The notes prepared by the officer in the Military Mission are interesting, and we shall be glad to learn anything further which may emerge from your researches into Bekr's past.

Incidentally, the Intelligence branch at the Air Ministry told us the other day that they had discovered that Bekr Sidqi was employed for some time round about 1919-20 as an intelligence agent of the British Military forces in the sort of no-man's land which then existed between Iraq and Turkey.

Yours ever,

[illegible]

Sir Archibald Clark Kerr, K.C.M.G.

الترجمة العربية

F.O. 371/ 20015

وزارة الخـــارجية (E 7795)

١٩٣٦/١٢/٣١

سري

عزيزي آرجـي ،

شكرا كثيرا على رسالتيك المؤرختين في ٢٦ تشرين الثاني و ٣ كانون الأول حول بكر صـدقي .

ان الملاحظات التي أعدها الضابط في البعثة العسكرية مثيرة للاهتمام وسنكون سعداء اذا علمنا المزيد مما قد يظهر بنتيجة تحقيقاتك بشأن ماضـي بكر صـدقي .

وبالمناسبة فان شعبة الاستخبارات في وزارة الطيران أخبرتنا قبل أيام قلائل بأنها اكتشفت أن بكر صدقي كان مستخدما لمدة من الزمن في حـدود سنة ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ كوكيل للاستخبارات للقوات العسكرية البريطانية في المنطقة المحايدة التي كانت موجودة بين العراق وتركـية .

المخلص

ج . دبليو . رندل

(توقيع)

الوثيقة الثانية

BRITISH EMBASSY, 237

BAGDAD.

19th Juxuury, 193'/ ,

i.•.y deurUcorg

The information about Bekr Sidqi "corßüir.ed in the last paragraph of' your letter Ho. • -Q79ö/1d19/

93 of December. 316t Is confimed by Air: Head,quarters here. The intclliøcnce branch tell 'lic., in u=dition , that it wag through the special ·recommendation of the Bri tish ccnoral starr heru ;hut Bekr was given, thut hi B commisaion in the Iraqi nnny in Jax.uuz•y 1921.

Yours ever

Place within.

×

Jow.

9/2

G. W. RENDEL, ESQ. , C.•ei.G.

التزجمة العربية

السفارة البريطانية

بغداد

١٩ كانون الثاني ١٩٣٧

عزيزي جورج ،

ان المعلومات الواردة في الفقرة الأخيرة من رسالتك المرقمة (E 7795/1419/93) والمؤرخة في ٣١ كانون الأول حول بكر صدقي ، قد أكدتها القاعدة الجوية هنا . وقد أعلمتني شعبة الاستخبارات ، بالاضافة الى ذلك ، أنه كان بتوصية خاصة من الأركان العامة هنا أن عيّن بكر صدقي في الجيش العراقي وذلك في كانون الثاني سنة ١٩٢١ .

المخلص

آرجيبولد كلارك كير

المستر ج . دبليو . رندل

وزارة الخارجية

الفصل الخامس

الانتفاضة التحررية
في نيسان ١٩٤١
والحرب البريطانية العراقية

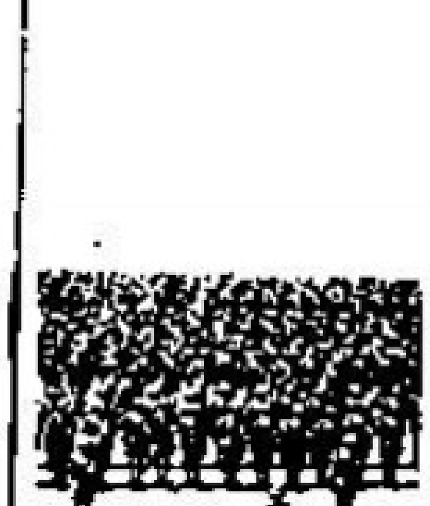
الانتفاضة التحررية
في نيسان ١٩٤١
والحرب البريطانية ـ العراقية

الانقلاب المعادي للانكليز

اشرنا في الفصول السابقة إلى أن العقداء الاربعة ساندوا ترشيح طه الهاشمي للوزارة المقبلة وعقدوا الآمال العظمى عليه كرئيس للوزارة الجديدة . وكان تشكيل هذه الوزارة الجديدة نتيجة للاتفاق بين الجماعتين السياسيتين البارزتين المتنافستين اللتين كان يقود احداهما نوري السعيد ويقود الاخرى رشيد عالي الكيلاني .

وكان الرئيس الجديد من الشخصيات المقبولة لدى اغلبية هؤلاء الساسة في الظروف الاعتيادية من جهة ، كما كان من جهة اخرى يتمتع بنوع من الهيبة العامة باعتباره شقيق ياسين الهاشمي ، وكان ياسين قد تبنى فكرة الوحدة العربية وجعل منها محور نشاطه السياسي حتى اطلق عليه لقب « بسمارك العرب »[1] ، كما وصف العراق في عهده بأنه « بروسيا العرب » .

وكان طه الهاشمي يشارك اخاه إلى حد ما في وجهات نظره الخاصة بالسعي لتحقيق الوحدة العربية . كما كان يبدي عطفا شديدا ومستمرا على العقداء الاربعة حيث كان يعتبرهم من صفوة تلامذته ، وقد جمع بينهم الطموح لتحويل الجيش العراقي إلى جيش قومي للامة العربية على غرار



(١) محمود الدرة، الحرب العراقية ـ البريطانية، ص ١٨١ .

بـروسيا التي وحـدت المانيـا بجيشها القـوي . وفي الوقت نفسـه ارتبط طه الهـاشمي بعلاقـات قويـة مع نـوري السعيد ، ابـرز ممثلي المعسكـر المـوالي لبريطانيـا . وكثيرا مـا قام الاول بمسـاندة الثـاني في السياسـة التي اتبعها . وربما كان السبب الـذي دعا كـلا من المانيـا وبريـطانيا في بـداية الامـر إلى القبـول بـوزارة طـه الهـاشمي ، هـو اعتـدالـه السيـاسي والـود القـديـم الذي يربطه بنوري ، مما ارضى بريطانيا من جهة ، وإلى استمـراره في النهج الـذي اختطتـه وزارة الكيلاني الثـالثة التي سبقت وزارتـه هذه والتعـاطف القومي الذي ربطه بالعقداء الاربعة ، مما أرضى المانيـا من جهة اخـرى . ولكن سرعان مـا اصبح واضحـا أن الرئيس الجـديد لا يتمكن من تسـوية المشـاكل القـائمة في وجـه البلاد أو الـوصول إلى مصـالحة بـين الجماعتـين المتخاصمتين ، حتى ولا إلى تخفيـف الصـراعات الـدائرة بينهـما . ويبدو أن طه الهاشمي لم يوفق في بذل النشاط المطلوب واتخاذ الموقف المناسب لحفظ التوازن الدقيق بين الجماعتـين المتخاصمتـين في الداخـل « جماعـة الكيلاني وجماعة السعيد » وبين الدولتين العظميين في الخارج يومئذ وهما (بـريطانيـا والمانيا) .

وفي ضوء ما تقدم ، يمكننا أن نفهم ما ورد في الرسالة التي بعث بها السفير البريطاني (السير بازل نيوتن) إلى حكومته في اول آذار ١٩٤١ وقـد جاء فيها ما يلي بالحرف الواحد : « لقد مضى شهر منذ أن اصبح الجنـرال طه الهاشمي رئيسا للوزراة . وكانت المهمتان الرئيسيتان الموضـوعتان امام رئيس الوزراء الجديـد عندمـا جاء إلى الحكم همـا : تحسين العـلاقات مـع الحكومة البـريطانيـة ، وكبح جمـاح قوة الـزمرة العسكـرية التي لعبت دورا بـارزا وغـير دستـوري في الاحـداث التي أدت إلى استقـالـة رشيـد عـالي الكيلاني . وحتى الآن لم يفعل طه الهاشمي سـوى القليل لتسـوية أيـة من هـاتـين المهمتـين . وهنـاك بعـض التحسن البسيـط في اتجاهـه إذا قـورن باتجاه رشيد عالي ، ولا يبـدو انه يتـآمر بـطريقة مبـاشرة مـع المحور أو انـه

متواطىء يداً بيد مع الزمرة العسكرية . إلا أنه لم يتخذ أية خطوات ايجابية سواء لارضاء المطالب الاكثر الحاحا للحكومة البريطانية أو لمنع مزيد من التدخل من جانب الجيش في حكومة البلاد »[٢] .

ويقول السيد توفيق السويدي في مذكراته بهذا الصدد أيضاً : « كانت الحالة في العراق مشحونة بالمثيرات ولم يوجد شيء يبشر بامكان حصول تفاهم مع بريطانيا بل كانت الحالة اقرب إلى الاستعداد لاعلان الخصام وحتى الحرب ضدها . . . » حتى أن يونس السبعاوي ، وهو اكثر الناس اتصالا بصلاح الدين الصباغ ، كان يجاهر برأيه في كل مكان بأن العراق يجب أن يقوم بحرب قاسية ضد بريطانيا مهما كلفه الامر[٣] . كما لعب الفلسطينيون دورا بارزا في تأجيج الاحقاد على بريطانيا وسكب الزيت على كل مادة مشتعلة أو قابلة للاشتعال في العراق[٤] . وكان رشيد عالي الكيلاني ويونس السبعاوي وعلي محود الشيخ علي وبعض السياسيين المعادين للانكليز قد انتابهم القلق من الوضع العام ومن تأرجح الهاشمي وامتناعه عن اتخاذ موقف صريح واضح أو قرار حاسم ، وظلوا على اتصال مستمر بالعقداء الاربعة .

وكان الوصي يأمل أن يتمكن الهاشمي من التوصل إلى حل يؤدي في النهاية إلى ابعاد الجيش عن السياسة ، وتحقيق الاستقرار الداخلي ، واجتياز ازمة عدم الثقة بين بريطانيا والعراق[٥] . إلا أن الهاشمي لم يتمكن من تحقيق أمل الوصي . والواقع أن عهد وزارة طه كان بمثابة تأجيل للحل وهدنة مؤقتة بين الوصي وانصاره من السياسيين الموالين



---

(٢) اسماعيل احمد ياغي ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣) توفيق السويدي ، مذكراتي : نصف قرن من تاريخ القضية العربية ، ص٣٤٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .
(٥) محمود الدرة ، الحرب العراقية ـ البريطانية ١٩٤١ ، ص ١٨١ .

للانكليز من جهة ، وبين اولئك الداعين إلى التحرر من نفوذهم من جهة اخرى (٦).

وقد وصل الصراع إلى نقطة حدية لم تعد تحتمل التأرجح أو التأجيل . وظهر واضحا للجميع أن طه الهاشمي ليس في مقدوره أن ينتهج سياسة تحظى برضى كافة الاطراف المتصارعة . وكان العقداء الاربعة قد تخلوا عن الولاء الذي يربطهم بنوري السعيد ، بعد أن انكشف انحيازه المطلق إلى بريطانيا . كما انهم تركوا طه الهاشمي بعد أن تحقق لديهم افتقاره إلى القدرة على الحسم . ومن هنا ، سحب البساط تدريجيا من تحت وزارة طه الهاشمي ، وانتهى مبرر استمرارها في الوجود ، بعد أن اقتنعت الاطراف المتخاصمة كلها ، في الداخل وفي الخارج ، بأن الوزارة المذكورة لا يمكن أن تحقق هدفا من اهدافها .

وهكذا بدأت العلاقة تتوثق بين الصباغ وكتلته العسكرية والكيلاني وكتلته السياسية . وكانت تلك هي الخطوة الاولى في الطريق إلى قيام « حكومة الدفاع الوطني ». ويبدو أن العقداء الاربعة وكتلتهم العسكرية قد اقنعوا بحاجتهم الماسة إلى قائد سياسي بارز . ولكنهم كانوا يبحثون عن قائد سياسي يتمتع بتأييد واسع وماض صريح في معاداة الانكليز . وقد وجدوا ضالتهم المنشودة في شخص رشيد عالي الكيلاني ومجموعته السياسية المعروفة بطابعها القومي . وكان هؤلاء العقداء الأربعة قد اتخذوا قرارا بهذا المعنى ، بعد أن شعروا بأن امالهم السياسية وطموحاتهم القومية قد اصبحت تتعرض إلى الخطر ، وأن مراكزهم قد اصبحت مهددة ، وأن الوصي يحاول استعادة سلطته بتشتيتهم ونقلهم من بغداد وربما باحالتهم على التقاعد في مرحلة لاحقة .

---

(٦) ياغي ، المصدر المذكور، ص ٨٥ - ٨٦ .

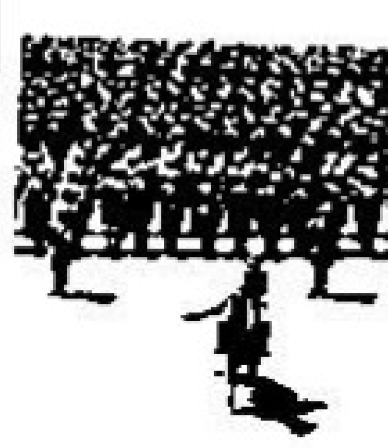
وتلزمنا امانة التاريخ أن نسجل أن طه ا لهاشمي قد حاول بكل اخلاص أن يعمل على اصلاح الموقف وحماية قادة الجيش ، إلا أنه عجز عن اقناع الوصي بالتفاهم معهم[٧] .

وقد وصف طه الهاشمي هذا الوضع في مذكراته القيمة بقوله « اخذ النواب والاعيان المعارضون لا يتركون فرصة تمر إلا ويندددون بأعمال القادة ، وينتقدون الجيش ، مما زاد في قلق الضباط ، وشجع رشيد عالي الكيلاني واعوانه على توسيع الثغرة بين الامير والقادة . وظل المعارضون يخوفون الامير من القادة ويلحون عليه بطلب معاقبتهم ، وظل رشيد عالي واعوانه يحذرون القادة من الامير ويقنعونهم بأنه لا بد أن ينتقم منهم »[٨] .

ويبدو أن الهاشمي استخدم لفظة (المعارضون) في هذه الفقرة ليدل على النواب الموالين للاتجاه المنحاز إلى الانكليز الذي كان يمثله الوصي ونوري السعيد ، واتجاه المعارضين للاتجاه المعادي للانكليز الذي يمثله الكيلاني والعقداء الاربعة .

وكان من الطبيعي أن طه الهاشمي لم يستطع الاستمرار في التردد ، ولا سيما أنه كان هدفا للضغط الشديد والمتواصل من قبل السفارة الانكليزية والبلاط الملكي وانصار الانكليز من الساسة العراقيين . وعلى كل كان الهاشمي يميل تدريجيا إلى سياسة اكثر اعتدالا في التعامل مع بريطانيا .

وكانت الوزارة الهاشمية قد دخلت في مباحثات سرية مع ممثلي القيادة العسكرية الانكليزية بشأن اقامة قواعد اضافية جديدة في العراق



---

(٧) خليل كنه ، العراق أمسه وغده ، ص ٦٥ .

(٨) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

للجيش البريطاني والموافقة على قيام الوحدات العسكرية البريطانية بحراسة آبار النفط في كركوك .

وطلبت بريطانيا مجدداً من الهاشمي أن يقطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع ايطاليا ، كما كان قد قطعها مع المانيا من قبل . وقد أيد هذا المطلب الوزير المفوض الأمريكي في بغداد (نابنشو) . وكان رئيس الوزراء طه الهاشمي ، بدون شك ، يميل إلى الاستجابة للطلب المذكور . فقد كتب في مذكراته عن الأحداث التي وقعت في يوم ١ آذار ١٩٤١ : « كنت اول المخالفين لفكرة قطع العلاقات مع ايطاليا لما أعلنت الحرب على فرنسا وانكلترا . ولا زلت اعتقد أن العراق غير ملزم بقطع العلاقات مع أية دولة تحارب انكلترا . . وكان من الصواب التريث ريثما ينجلي الموقف ويرى العراق في قطع العلاقات ما يفيده فائدة ملموسة . . لذلك اخذت افكر في المدة الاخيرة في أمر قطع العلاقات مع ايطاليا مقابل ربح يربحه العراق »[٩] . فيبدو واضحا من هذه الفقرة ، أن طه الهاشمي لم يعارض فكرة قطع العلاقات مع ايطاليا معارضة مطلقة دون قيد وشرط ، ولا مال إلى قطعها ، لا لشيء ولا لسبب إلا لأن بريطانيا قد قامت من جانبها باتخاذ تلك الخطوة ، بل كان قد حبذ قيام العراق بالاجراء المذكور إذا نال نفعا من بريطانيا يخدم مصلحته مقابل ذلك الاجراء .

وفي الوقت نفسه رفض طه الهاشمي ، الذي كان رئيسا للوزراء ، أن يوافق على طلب تقدم به فريق من الزعماء من جماعة الكيلاني يتزعمهم ناجي شوكة بتشكيل حزب جديد معارض يمثل النزعة القومية التي كانت سائدة حينذاك . ولكن طه الهاشمي كان قد اقتنع في ضوء حيثيات الواقع بأن احدا من السياسيين العراقيين لا يستطيع أن يغير سياسة البلد باتجاه تقوية العلاقات مع بريطانيا إذا لم يسيطر سيطرة تامة على الجيش الذي

---

(٩) مذكرات طه الهاشمي، ص ٤١١ - ٤١٢ .

اصبح في ذلك الحين حاجزا اساسيا امام تحقيق الطموحات الانكليزية .

فمثلا رفض العقداء الأربعة اقتراح طه الهاشمي على قيادة الجيش بحث موضوع قطع العلاقات مع ايطاليا[١٠] . ويبدو واضحا الآن أن قادة الجيش من الضباط القوميين قد اختلفت نظرتهم إلى قطع العلاقات مع ايطاليا عن نظرة الهاشمي التي عرضناها سابقا . وكان تقديرهم للموقف العالمي العام ، كما يظهر ، قائما على توقع وترجيح هزيمة بريطانيا في الحرب . ومن هنا ، كان شغلهم الشاغل تحقيق التحالف المباشر والعمل المشترك مع المحور بهدف تصفية الوجود البريطاني في العراق تصفية نهائية كاملة . أو بعبارة اخرى ، انهم لم يمتنعوا عن قطع العلاقات مع ايطاليا مقابل مكسب وطني كما اراد طه الهاشمي ، بل انهم رفضوا تلك الفكرة اصلا واساسا رفضا قاطعا يبدو من الوهلة الاولى انهم قد غالوا في التقدير بأن الحرب ستنتهي بهزيمة بريطانيا . ولكن الواقع أن تلك القناعة كانت قد وجدت رواجا في اوساط واسعة من المواطنين حينذاك ، بما فيهم بعض الموالين للانكليز .

وكان ذلك بداية التوتر الظاهر في العلاقات بين وزارة طه الهاشمي وكتلة العقداء الاربعة . ولعل من اسباب هذا التوتر ما لعبته السفارة البريطانية في بغداد من أدوار ، بالاشتراك مع البلاط الملكي ، في استغلال الطموحات الشخصية التي كانت تراود طه الهاشمي . وإن كانت السفارة والبلاط قد نجحا في اقناعه بأنه باستمراره على سياسته المعتدلة لا يضمن فقط مصلحة بريطانيا ، بل سيستطيع المحافظة حتى على الاتجاه العربي في العراق . وعلى أن يكون مفهوما بأنه لن يستطيع أن يحقق ما تقدم إلا إذا استطاع أن يتخلص من نفوذ العقداء الاربعة في الجيش . وازاء الحاح الوصي ، قام طه الهاشمي ، بعد توليه الحكم ، بمحاولات يشوبها الحذر

(١٠) مذكرات طه الهاشمي ص٤١٣ ، واسماعيل ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، ص ٨٧ .

والتـردد لاقناع بعض العقـداء الاربعة بـالانتقال من بغـداد إلى حـاميـات اخرى في المحافظات[١١] . وبحلول نهاية اشهر آذار كانت العـلاقات بـين الهاشمي والضباط الاربعـة قد تغيـرت تمامـا وبدأ يعتريها شيء من الفتـور والتدهور . إذ أن الـوصي كان قـد تمكن من اغراء طـه الهاشمي بضـرورة نقل كامل شبيب ، احد العقداء الاربعة ، إلى منصب آخر ، جسا للنبض واختبارا للموقف . فـأصدر أمـرا في ٢٦ آذار ١٩٤١ بنقل المـوما إليـه من قيادة الفرقة الاولى في بغداد إلى قيادة الفرقة الرابعة في الديوانية ليحل محله ابراهيم الراوي الذي يبدو أن الوصي كان يكن له ارتياحا لاعتدالـه وعدم تدخله في السياسة[١٢] . وكان معنى قرار نقل كامل شبيب أن الـوصي قد عقد العزم على تشتيت شمل العقداء الاربعة ومن ثم تحـطيمهم . ورفض كـامل شبيب تنفيـذ قرار النقـل ، ولم يكتف بذلـك بل مـزق القرار وداس عليه بعد أن استشار اخوانه[١٣] . فتكتل العقداء الاربعة واضـطروا رئيس الوزراء إلى الغاء الامر . ومن هنا ، ايقنوا أن الوصي هو اكبر خصومهم ، وأنهم لا يستطيعون الاعتماد على الهـاشمي . وفي ٢٨ آذار اجتمع سـرا في دار المفتي الحـاج محمـد أمـين الحسيني بشـارع الـزهـاوي كـل من صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمـود سلمان ورشيـد عالي الكيـلاني ويونس السبعاوي وناجي شوكـة . وقد اقسم الحـاضرون اليمـين بالقـرآن واتخـذ كل منهم اسـما مستعارا بـاعتباره اسـما حـركيـا[١٤] . واختـير المفتي الحسيني رئيسـا للجماعـة لانه كـان وثيق الصلة بالعقـداء الاربعة كـما كان واسـطة الاتصال بـين رشيد عـالي والقادة العسكـريين . واتخـذ المجتمعون قـرارا بالامتنـاع عن تقديم أيـة تنازلات جـديدة إلى بـريطانيـا وعن قـطع



(١١) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٣٩٥ - ٣٩٧ .

(١٢) عثمان كمال حداد ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، ص ١٠٠ .

(١٣) الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الخامس ، ص ١٩٧ - ١٩٨ (وقد جرت مفاتحة العقيد صلاح الدين الصباغ بنقل مقرّه من بغداد الى جلولاء فلم يستجب الى ذلك) .

(١٤) صلاح الدين الصباغ ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢١٨ .

العلاقات مع ايطاليا ، وصمموا على طرد ابرز الساسة الموالين لبريطانيا من البلاد واسقاط وزارة طه الهاشمي ، إذا رفض الموافقة على النقاط التي ذكرناها سابقا ، وعلى تشكيل وزارة جديرة برئاسة الكيلاني . وهكذا تألفت لجنة سرية كانت تجتمع باستمرار واعدت العدة للقيام بانقلاب عسكري يحقق تلك الاهداف . وتقرر القيام بالانقلاب في ٣١ آذار وهو يوم انتهاء الدورة البرلمانية . وعندما انتهت الدورة البرلمانية في اليوم المذكور ، شعر رشيد عالي الكيلاني وجماعته بالارتياح ، لأنهم كانوا يعتقدون بأن المعارضة الوحيدة المحتملة لحركتهم المقررة إنما ستأتي ، إذا اتت ، من جانب بعض اعضاء مجلس النواب من الموالين للبلاط وبريطانيا . لذا شرعوا دون تأخير في محاولة حث العقداء الاربعة من جديد على الاطاحة بوزارة طه الهاشمي تنفيذا للقرارات المتخذة في ٢٨ آذار في اجتماع اللجنة السرية كما تقدم[١٥] .

مقررات خطيرة

نظرا للاهمية القصوى للوقائع المذكورة ، والقيمة التاريخية الفائقة للمقررات التي اتخذت في حينه وظروفها واسبابها ونتائجها ننقل في أدناه ما افاده حرفيا الشهيد العقيد صلاح لدين الصباغ عن هذا الموضوع :

« في اليوم الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٩٤١ اجتمع السادة مصطفى وعبد العزير واحمد ورضوان وفرهود وجاسم وفارس وهذه أسماء مستعارة لكرام ليس بوسعي الآن أن اذكر اسماءهم[١٦] ، لهم مكانة



---

(١٥) صلاح الدين الصباغ، المرجع سالف الذكر، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(١٦) فيما يلي الاسماء المستعارة والصريحة للمذكورين في اعلاه :

مصطفى ـ الحاج محمد أمين الحسيني .

عبدالعزيز ـ رشيد عالي الكيلاني

أحمد ـ ناجي شوكة

رضوان ـ صلاح الدين الصباغ .

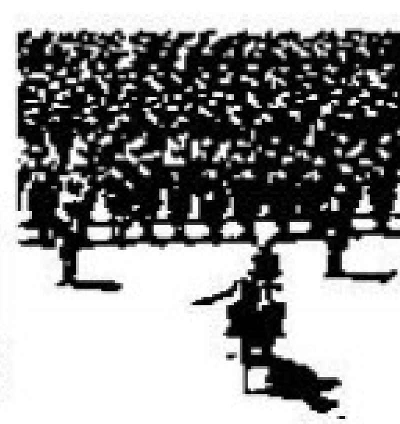
سامية بين ارباب القوة الاجرائية والسياسية في العراق وفلسطين وسورية ، ولهم ارتباط وثيق ببقية الوطنيين من احرار العرب في تلك الاقطار ، والذين يرتبط معهم الهاشمي بعهد وميثاق .

أما العمدة وموضع الثقة فكان مصطفى ، وقد ارتبط الجيش به منذ بضع سنين وهو الذي كفل عبد العزيز وربط به الجيش . وكان قسم عظيم تلاه كل واحد من المجتمعين جهرا يعاهد الله على أن يجعل من مضمون القسم نبراسا يسير على هديه في كل تصرفاته ، وأن يعمل بكل ما أوتي من قوة لانقاذ البلاد العربية وأن ينبذ الخلافات الناشئة عن الانانية والحزازات الشخصية وأن يكون « مصطفى » ناظما لنا ورئيسا مطاعا .

واجتمعت الآراء يومئذ على هذا القرار :

لما كان الانكليز قد أقدموا بتشجيع أذنابهم على فرض مطاليب مجحفة تتوخى زج العراق في الحرب وارغام بقيّة الاقطار العربية على السكوت وعدم المطالبة بحقوقها ، فإن عزم طه على قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا بصورة فجائية وبدون استشارة المجلس النيابي أو الجيش لن يرضي الانكليز ولن يقعدهم عن تحقيق غاياتهم كاملة . لذلك فإن الانكليز سيعملون على اقصاء قادة الجيش المخلصين ليسيطروا عليه ومن ثم ينقاد العراق لهم كما يشاؤ ون .

على أن قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا يعتبر في حد ذاته خطوة كبيرة نحو ما يريده الانكليز من اخضاع العراق والامة العربية ، ومن شق الجيش العراقي على نفسه ، والحط من قوة طه الهاشمي وسمعته . ويصبح



= فرهود ـ يونس السبعاوي
نجم ـ فهمي سعيد .
فارس ـ محمود سلمان
(ملاحظة : ورد في كتاب صلاح الدين الصباغ «فرسان العروبة في العراق» اسم جاسم بدلا من نجم وهو خطأ مطبعي) .

طه بعد قطع العلاقات امام امرين : أن يرضخ للانكليز ويلبي مطالبهم كاملة ، أو أن يرغمه الوصي على الاستقالة كما أرغم الكيلاني من قبل . ولما كانت المسالمة من طبع طه فإنه من المستبعد أن يقاوم الوصي مهما عبث بحقوق الامة والدستور « إذا كان للعراق دستور » وهكذا لا يبقى أمام طه إلا اختيار الطريق الثاني وتفضيل الاستقالة بعد أن يكون قد وقع في الخطأ كما كان شأنه مع بكر صدقي ، ويتنحى عن الحكم لوزارة مؤلفة على نحو ما يريده الانكليز ، فتقوم تلك الوزارة قبل كل شيء بتصفية قادة الجيش بحسب ما تقتضي مصالح الانكليز فتحيل البعض على التقاعد ، وتلقي البعض الآخر في غيابة السجن أو تبعدهم . يتم ذلك كله فجأة وفي ليلة ليلاء ، والجيش والشعب يغطان في نوم عميق . ولما كان انتظار ذلك اليوم المحتوم يعني الخضوع للامر الواقع والاستسلام للانكليز ، ويؤدي إلى قيام ثورات داخلية ويقضي على وحدة الجيش ، فيتحقق للانكليز واذنابهم ما يتمنون ، لذلك يجب اتخاذ التدابير التالية :

١ - المحافظة على الوضع الراهن والتمسك بالمعاهدة العراقية - الانكليزية التي قررت ما لنا وما علينا حتى يتوفر الوقت لدراسة الموقف العالمي وانتظار تطور الاحداث في المستقبل القريب ، لذلك كان لا بد من الروية والتبصر في الامور .

٢ - التوسل بجميع الحجج المقنعة لحمل طه الهاشمي على العدول عن رأيه والانتظار ثلاثة أشهر أخرى ينجلي بعدها الموقف العالمي وتتبين الحالة السوقية .

٣ - إذا كان لا بد من قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا والموافقة على مطالب الانكليز ، فورا ، فليوافق على ذلك مجلس نيابي حر يمثل رأي الامة الصحيح ، لا استنادا إلى رغبة الوصي وقرار مجلس الوزراء فحسب .

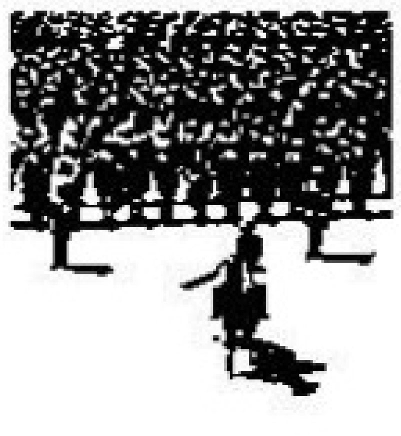
٤ ـ لما كانت الاكثرية في مجلس النواب الحالي لا تمثل الامة ، ولما كان أغلب اعضائه من المرتزقة الذين عينهم نوري وجميل وجودة تعيينا ، فمن الواجب حل المجلس وفسح المجال لانتخاب مجلس نيابي جديد يمثل الامة تمثيلا صادقا ، ثم تعرض عليه طلبات الانكليز .

٥ ـ لما كان نوري وجميل وجودة هم دائما وابدا سبب الخلاف واراقة الدماء ، فمن الواجب تعيين نوري سفيرا للعراق في امريكا وجميلا في مصر ، وجودة في سفارة غيرها ، انقاذا للبلاد من عبثهم ابان الحرب الحاضرة وتحقيقا لسلامة الانتخابات النيابية .

٦ ـ لما كان الوصي غير مسؤول أمام القانون ، وهو مع ذلك يواصل القيام بنشاط مخالف للدستور ويأتي بتصرفات ديكتاتورية على غرار تصرفاته التي أودت بوزارة الكيلاني ، ولما كانت التجربة قد أثبتت ضعف المجالس النيابية في العراق وعدم تمرسها في استعمال صلاحيتها ، في ايقاف الوصي (أو الجالس على العرش) عند حده ، وفي كبح جماح ميوله الاستبدادية أو الشخصية ، فمن الواجب أن تدوّن في الدستور مادة تنص على طريقة معالجة هذا الامر والسلطة التي تكلف بتنفيذها .

٧ ـ التوسل بكل الوسائل لاستمالة الوصي ليرضى على قادة الجيش .

٨ ـ يكلف الهاشمي بالاستقالة إذا فشل في تحقيق ما ورد أعلاه أو امتنع عنه ، وذلك صونا لسمعته واستباقا للاحداث الخطيرة التي ينتظر وقوعها بعد أن تمت التمهيدات لها .. ويعول على اخلاق طه الحميدة في الموافقة عل هذا الرجاء فور التقدم به .



٩ ـ بعد استقالة طه يقصد الوصي وفد من كرام رجالات العراق والعرب ومن قادة الجيش فيعرضون عليه توسلاتهم ليوافق على اسناد رئاسة الوزارة إلى رشيد عالي الكيلاني ، وليوافق على حل المجلس النيابي

وانتخاب مجلس جديد فورا ، ليقول كلمته في طلبات الانكليز التي تخرج على المعاهدة العراقية الانكليزية ، وللاقتراع على الثقة بوزارة الكيلاني فيقرر بقاءها أو استقالتها وفق أحكام الدستور .

١٠ ـ يقطع الجيش على نفسه عهدا صارما أن لا يتدخل في شؤون الحكومة القائمة ، إذا توثق من سلامة الانتخابات النيابية وتأكد لديه أن السلطة التشريعية تمارس كل ما لديها من صلاحيات وانها ليست الة بيد الوزارة أو الوصي أو الجالس على العرش ، وأن ما من وزارة تتولى الحكم بتأثير الاجنبي أو بدسائسه .

مرت عدة أيام والكرام الذين أشرت إلى اسمائهم المستعارة وغيرهم يترددون على طه الهاشمي جماعات ووحدانا ، ضحى وعشية ، في داره بشارع المعظم أو في تلك بالوزيرية ، متوسلين إليه أن يحقق الاماني ، وهو يدنو منهم تارة ، ويتأفف ولا يدلي بشيء تارة اخرى ، حتى مل وملوا فكشف طه القناع وقال :

« لا بد من الموافقة على ما يريده الانكليز ، وأما رضى الوصي على قادة الجيش فمستحيل » . كان ذلك فصل الخطاب ، واقترب موعد الشروع بالعمل[١٦] .

انفجار الازمة

يبدو أن رشيد عالي الكيلاني ويونس السبعاوي قد نجحا في اقناع العقداء الاربعة بأن طه الهاشمي قد خذلهم بالاذعان إلى اقتراح الوصي

---

(١٦) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، المصدر المذكور سابقا، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ .
راجع ايضا: عبدالرزاق الحسني، الاسرار الخفية، الطبعة الرابعة الموسعة، مطبعة دار الكتب ـ بيروت ، سنة ١٩٧٦، ص ١٠٨ ـ ١١١ .

القاضي بنقل أحدهم ، أي كامل شبيب ، من بغداد إلى الديوانية . يضاف إلى ذلك ، إنهما أوضحا للضباط بأنه في حالة وصول جماعة الكيلاني إلى السلطة ، فإن أفكارهم حول الوحدة العربية يمكن أن تدخل حيز التنفيذ . وفي مساء اول نيسان ١٩٤١ عقد اجتماع جديد في معسكر الرشيد حضره رشيد عالي الكيلاني والعقداء الاربعة بالاضافة إلى اللواء أمين زكي ، وكيل رئيس اركان الجيش . وفي المساء نفسه أيضاً ، وضع الجيش في حالة طوارىء وسلم انذار إلى رئيس الوزراء ، وحوصر قصر الوصي . ولم يكن في نية طه الهاشمي أن يتعاون مع رشيد عالي . وقد هرب الوصي من قصره في جانب الكرخ إلى دار عمته الاميرة صالحة في جانب الرصافة ثم إلى البصرة بمساعدة وزير أمريكا المفوض في بغداد المستر نابنشو ، تقله طائرة عسكرية بريطانية من قاعدة (الحبانية) إلى مدينة الثغر . وحين اصدر رشيد عالي أمراً بالقبض عليه ، لجأ الوصي إلى سفينة حربية بريطانية كانت راسية في شط العرب ، ثم توجه جوا إلى عمان حيث انضم إلى عمه عبد الله ، امير شرق الاردن . وقد رافقه في نزوحه هذا عدد من الساسة العراقيين الموالين لبريطانيا ، مثل داود الحيدري وجميل المدفعي وعلي جودة وغيرهم . وفي مثل هذا الوضع لم يكن ثمة امكانية لاقامة حكومة دستورية في العراق . فطلب العقداء الاربعة إلى رشيد عالي الكيلاني وجماعته أن يقيموا بصورة مؤقتة حكومة الدفاع الوطني[١٧] ، وأن يطبقوا عددا من الاجراءات الاستثنائية التي اقتضتها ظروف الوضع الجديد وضرورات الموقف الطارىء .

وكان قد تقرر في الاجتماع المذكور اعلان حالة الطوارىء في معسكر الرشيد والقيام بانقلاب عسكري إذا رفض طه الهاشمي أن يتقدم باستقالة وزارته . ووقع الاختيار في حينه على أمين زكي وفهمي سعيد لتسليم انذار الجيش إلى الهاشمي . ووصل الرسولان إلى منزل رئيس الوزراء واطلعاه



(١٧) الحسني ، الاسرار الخفية ، ص ١١٥ .

على تفاصيل حركة الجيش الجديدة . فحاول طه أن يعالج الموقف بالتي هي أحسن فلم يفلح . ونصحه الرسولان أن يبحث الامر مع رشيد عالي الكيلاني الذي يضع الجيش فيه ثقته كاملة . كما أبلغاه أن الجيش قد حاصر قصر الرحاب حيث يقيم الوصي لمنعه من الهوب . وقد رفض طه الهاشمي جميع هذه الاجراءات واعرب لهما عن عدم استعداده للتعاون مع رشيد عالي الكيلاني[١٨] . ولما فشل الرسولان في كسب طه الهاشمي إلى جانبهما ، طلبا إليه الاستقالة . وفي تلك الظروف الحرجة والدقيقة وجد الهاشمي نفسه ملزما بتقديم كتاب استقالته إلى الوصي[١٩] . وحمل الرسولان كتاب الاستقالة بسرعة إلى رشيد عالي الذي رأى أن باب الوصول إلى الحكم قد أصبح مفتوحا أمامه مرة ثانية .

وكان الهاشمي قد سارع إلى اطلاع الوصي هاتفيا على حركة الجيش لحظة انصراف أمين زكي وفهمي سعيد من داره . كما اتصل في تلك الليلة بأعضاء وزارته واجتمع بهم في داره حتى الصباح منذ اخبرهم بتحركات الجيش واحتلاله للمرافق الرئيسية في بغداد . وكانت وحدات الجيش قد تحركت من معسكر الرشيد نحو العاصمة فعلا واحتلت ، قبيل منتصف الليل ، دوائر البرق والبريد والتلفون وسيطرت على مداخل الطرق العامة وحاصرت قصري الرحاب والزهور . إلا أن الوصي كان قد تمكن في الوقت المناسب من الهرب من قصر الرحاب مخترقا نطاق الحصار بسيارته وهو بملابس النوم إلى دار عمته الاميرة صالحة في جانب الرصافة من بغداد كما ذكرنا . وفي صباح اليوم الثاني (٢ نيسان عام ١٩٤١) عقد رشيد عالي الكيلاني وأمين زكي والعقداء الاربعة اجتماعا آخر في معسكر الرشيد قرروا فيه أن يرسلوا وفدا آخر إلى طه الهاشمي ليحاولوا من جديد اقناعه

---

(١٨) لوكاز هيرزويز، المانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٨٣ .

(١٩) يبدو أن ضباط الجيش كانوا ينوون ارغام الوصي بالطريقة نفسها على تعيين رشيد عالي رئيسا للوزارة، الا ان هربه حال دون ذلك، بيري، الضباط العرب والسياسة، ص ٣٥ .

بضرورة الانضمام إلى حـركتهم . فتوجـه كل من رشيـد عالي وأمـين زكي وصـلاح الدين الصبـاغ إلى منزل طـه الهاشمي . ولشـدّما دهشـوا عندمـا وجـدوا أن وزارة الهاشمي مجتمعـة بكامـل أعضائهـا . فناقش رشيـد عالي حركة الجيش من جميع نواحيهـا مع الهـاشمي وأعضاء وزارتـه وأوضح لهم أن الجيش لم يعد يثق بالوصيّ . غير أن توفيق السويـدي ، وزير خـارجية الهاشمي ، أنبرى للرد على رشيد عالي زاعما أن حركته المستندة إلى القوات المسلحـة إنما هي حـركة طـائشة مخـالفة للدستـور وقد تؤدي إلى الاضـرار بالبلاد مادياً ومعنوياً(٢٠) .

وكان جواب رشيد عالي أن الوصي قد هرب للمرة الثانية وأنه يتعين ايجاد حل لـلازمة الجَـديدة . وتـوصل المجتمعـون بعد منـاقشة طـويلة إلى اتفاق يقضي بعودة الامور إلى مجاريهـا السابقـة ، وذلك بـابقاء الـوزارة في الحكم ، ثم عقد اجتماع للحكومة مع رجال السياسة المعروفين في المملكة للنظر في معالجة الموقف ، وامتناع قادة الجيش عن التـدخل في السيـاسة . واتفق أيضاً على أن يقسم رجال السياسة وقادة الجيش عـلى تنفيذ مـا يتقرر في هذا الصدد بصدق واخلاص تامين ، وتشكيل وفد يقـوم بعرض الامـر عـلى الـوصي والسعي لاقنـاعـه بـالمـوافقـة عـلى مــا تقـرر ورجـوعـه إلى العاصمة(٢١) .

وكـان الوصي قـد تمكن ـ كما اسلفنـا ـ من الهـرب ليلة اول نيسـان ١٩٤١ من قصر الرحـاب إلى دار عمته صـالحة في الـرصافـة . ومن هناك اتصـل بالـوزير المفـوض الامريكيَ ورجـاه أن يساعـده على الهـرب . وفي صباح اليوم التـالي (٢ نيسان ١٩٤١) تنكـر الوصي وركب عـربة إلى دار المفـوضية الامـريكية ، ومن ثم استقـل سيـارة المفـوضيـة الامـريكيـة التي



(٢٠) توفيق السويدي ، مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ، ص ٣٤٦ـ ٣٤٧ .

(٢١) الحسني ، الاسرار الخفية ، ص ١٠٧ .

اوصلته إلى القاعدة الجوية البريطانية في الحبانية التي تبعد عن بغداد خمسة وخمسين ميلا(٢٢) .

وفي الحبانية تقابل الوصي مع السفير البريطاني الجديد (كورنواليس) لبضع دقائق . وكان كورنواليس هذا قد وصل توا لتسليم منصبه الجديد . فطرح عليه الوصي فكرة السفر إلى البصرة وتشكيل حكومة هناك . فأيد السفير وشجعه على القيام بعمل قوي وفعال لاستعادة السيطرة على الموقف ، ووافق على تشكيل حكومة برئاسة علي جودة أو جميل المدفعي . كما اقترح على الوصي أن يستدعي اعضاء مجلسي الاعيان والنواب إلى البصرة للحصول على تأييدهما التام لقضيته ، وأن يصدر إعلانا إلى الامة يهاجم فيه الحركة ويعد بالعفو العام عن الضباط والجنود الذين خرجوا عن طاعته بشرط أن ينبذوا ولاءهم لزعماء الجيش الذين اقترح أن يعلن فصلهم . وقد زود السفير الوصي بالاموال اللازمة لمقاومة الحركة الكيلانية وكلف مستشار وزارة الداخلية (ادموندس) بالسفر مع الوصي لمساعدته في تنفيذ الخطة المرسومة .

ومن مطار الحبانية البريطاني طار الوصي وبرفقته علي جودة الايوبي وعبيد المضايفي ، المرافق الاقدم للوصي عبد الاله ، على طائرة حربية بريطانية إلى البصرة فوصلوها في ٣ نيسان ثم التحق بهم جميل المدفعي وداود الحيدري وكان الوصيّ يأمل أن يجمع أنصاره من السياسيين حوله في البصرة (وأن يشكل حكومة جديدة وأن ينظم من هناك حركة مقاومة بمساعدة السفارة البريطانية .

وهكذا تحقق لرشيد والعقداء الاربعة في مساء ٢ نيسان أن لا مفر لهم من السير قدما في خطة الانقلاب والاستيلاء على السلطة ، إذ لم تبق



---

(٢٢) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة الخامسة الموسعة، المجلد الثالث، الجزء الخامس، منشورات مطبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٨ ، ص ٢١٣ .

بارقة امل في عودة الامور إلى مجاريها الطبيعية .

وصل الوصي إلى البصرة واجتمع مع متصرفها صالح جبر ومع علي جودة في فندق شط العرب . وحاول أن يشكل حكومة في البصرة لمقاومة حركة الكيلاني في بغداد والقضاء عليها بكافة السبل الممكنة . وقد وجد قادة الجيش في بغداد أن الضرورة تقتضي باتخاذ خطوة مضادة بتشكيل حكومة عسكرية تتولى مهمة حفظ الامن والاستقرار في البلاد[٢٣] . وهكذا تشكلت في ٣ نيسان عام ١٩٤١ « حكومة الدفاع الوطني » برئاسة رشيد عالي الكيلاني الذي كان عليه أن يتصل بقادة الجيش ورجال البلاد للتوصل إلى صيغة تضمن الوحدة الوطنية والمصلحة العامة في العراق[٢٤] .

وفي مساء اليوم الذي تشكلت فيه « حكومة الدفاع الوطني » برئاسة الكيلاني ، اذيع على الشعب بيانان اشترك في اعدادهما المحاميان يونس السبعاوي ومحمد صديق شنشل . وكان البيان الاول باسم رئاسة اركان الجيش العراقي وبتوقيع امين زكي ، وكيل رئيس اركان الجيش ، أما البيان الثاني فكان باسم رشيد عالي الكيلاني رئيس « حكومة الدفاع الوطني » . وقد اوضح بيان رئاسة اركان الجيش اسباب حركة الكيلاني الاخيرة وعزاها إلى سوء تصرف الوصي ، ومخالفته لواجبات الوصاية « حتى بلغ به الامر انه لم يتورع عن التشبث بشتى الطرق لاستحصال البيعة من بعض الناس فتحدى العرش الذي اؤتمن عليه واندفع لتحطيم الجيش الوطني الحارس لكيان الامة ووحدة الوطن »[٢٥] .

وبعد اذاعة بيان رئاسة اركان الجيش ، اذاع رئيس الحكومة رشيد



---

(٢٣) ناجي شوكة ، سيرة وذكريات ثمانين عاما ، ص ٤٤١ ـ ٤٤٢ .
(٢٤) محمود الدرة ، الحرب العراقية ـ البريطانية ١٩٤١ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
(٢٥) الحسني ، الاسرار الخفية ، ص ١١٦ .

عالي الكيلاني بيانه من الراديو على الشعب وقد اشار فيه إلى انـه اخذ على عاتقه القيـام بمهام حكـومة الـدفاع الـوطني للعمل عـلى صيانـة البلاد من العبث ، واستتبـاب الامن والنظام فيهـا إلى أن تعود الحيـاة إلى مجـاريهـا ، ويحصل الاطمئنان على تنفيذ احكـام الدستـور[٢٦] . ثم اعلن أن برنـامج « حكـومة الـدفاع الـوطني » هو ذات المنهـاج الـذي سـارت عليـه وزارتـه الاخيرة (الوزارة الكيلانية الثالثة الائتـلافية). وممـا يجدر الاشـارة إليه أن « حكومة الـدفاع الـوطني » كانت تتكـون من الكيلاني وحـده كما افـاد هو في مذكراته، (لم يشترك فيهـا واحد من زعـماء حركـة الجيش أو الضباط ولم يطلب من السياسيين أن يساهمـوا فيها معي[٢٧] . إلا أن الحقيقـة الواقعـة الواضحة هي أن قادة الجيش لم يشتركوا فعلا اشتراكا رسميـا في « حكومـة الدفاع الـوطني » التي اقتصرت عـلى شخص الكيلاني وحـده ، ولكن كان من المفهوم للرأي العام أن قـادة الجيش كانـوا القوة الكبـرى المسيطرة التي ادت إلى قيام تلك الحكومة . ومن هنا جاء وصفها بأنها حكومة عسكرية . كما كان قادة الجيش هم الذين ساندوا وزارة الكيـلاني الرابعـة التي شكلت في ١٢ نيسان ١٩٤١ بالاسلوب نفسه .

كان الوصي منذ أن تمكن من الهرب من بغداد ، بمساعدة المفوضيـة الامريكية ، إلى الحبانية ومنها إلى البصرة ، قد شرع بمعاونة أنصاره وبتأييد من السلطات البريطانية في مناوأة حركة الكيـلاني في بغداد وذلـك بمحاولـة اثارة حركـة مقاومـة ضدهـا في شمالي العـراق وفي جنوبـه . ففي الشمال توجه جميل المدفعي إلى الموصل وحاول استثارة العشائر الكردية والعـربية ، أمـا في الجنوب فقـد حاول محسن ابـو طبيخ بـالاشتراك مـع رايح العـطيـة

---

(٢٦) راجع : وثبة سنة ١٩٤١ ، اصدرته مديرية الدعاية العامة في بغداد في شهـر ايار ١٩٤١، نص بيان رئاسة اركان الجيش، ص ٢٥ ـ ٢٨ ، ونص بيان رئيس حكومة الدفـاع الوطني، ص ٢٨ ـ ٣٠ .

(٢٧) مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة آخر ساعة، العدد ١١٦٨ ، في ١٣/٣/١٩٥٧ .

استثارة القبائل في الديوانية . كما حاول الوصي نفسه أن ينظم حركة مقاومة في البصرة وأن يشكل حكومة مناوئة تتولى تصفية حركة الكيلاني بالقوة . وقد شرع الوصي على الفور في الاتصال بكبار الموظفين والضباط في المنطقة هاتفيا ، وكسب إلى جانبه متصرف اللواء صالح جبر الذي أسرع في الاتصال بقائد حامية البصرة وقائد وحدات الجيش المرابطة في المنطقة ودعاهم إلى عقد اجتماع مع الوصي . وقد عقد الاجتماع بالفعل . وطلب الوصي منهم الدعم والمساندة . إلا أنهم قرروا في اليوم التالي رفض طلبه حرصا على مصلحة الوطن ووحدة الجيش . واتخذوا قرارات مهمة لمعالجة الموقف وهي :

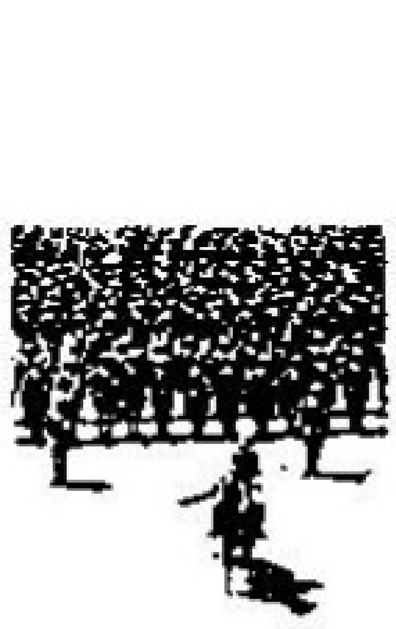
اولا ـ المحافظة على الهدوء والسكينة في البصرة .

ثانيا ـ عدم مقاتلة وحدات الجيش الموجودة في بغداد خوفا من الانقسام . فيجري في العراق ما جرى في اسبانيا من حرب اهلية دامية[٢٨] .

ثالثا ـ عدم السماح للقوات البريطانية بالنزول في البصرة .

رابعا ـ عدم السماح للوصي بتأليف حكومة في البصرة[٢٩] .

وفضلا عن ذلك فقد حاول صالح استمالة متصرفي الديوانية والمنتفك والحلة وكربلاء والكوت والعمارة إلى جانب الوصي فلم يفلح ، ولم يكتف بقطع الاتصالات بين البصرة وبغداد ، بل قام بتحريض قوات الجيش في البصرة على عدم اطاعة التعليمات الصادرة إليها من قيادتها في بغداد . وصدرت الاوامر بفصل صالح جبر من منصبه وجلبه مخفورا إلى بغداد . ولجأ الوصي في مقاومة حركة الكيلاني إلى سلاح المنشورات ، فأصدر في ٤ نيسان منشورا اتهم فيه الكيلاني بأنه يحاول اغتصاب السلطة



(٢٨) الحسني، الاسرار الخفية، ص ١١٥ .

(٢٩) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ٢٢٥ .

بالقوة . ولما علم الوصي بوصول برقية من رئاسة اركان الجيش إلى البصرة تمنعه من الاتصال الخارجي ، اسرع للانتقال من « فندق شط العرب » الذي كان يحل فيه إلى مسكن مدير الميناء ومنه إلى الدارعة البريطانية « كوك شبير » التي كانت راسية في مدخل الخليج ، واتخذ مقره فيها . وقد نصبت له السلطات البريطانية محطة لاسلكية في الدارعة المذكورة وعيّنت الحكومة البريطانية ممثلا لدى الوصيّ يدعى الكرنل « جيرالد دي غوري » ـ وقد أصبح فيما بعد ضابطا سياسيا للعمارة ـ ومن على ظهر تلك الدراعة نفسها ، أخذ الوصي يوجه اذاعاته السرّية ضد حكومة الكيلاني(٣٠) . والمفارقة هنا هي أن لجوء الوصي إلى الدراعة البريطانية قد أضرّ به بدلا من أن ينفعه ، لأنه انكشف على حقيقته مما دفع حتى العناصر المترددة إلى مساعدة حكومة الدفاع الوطني جهارا .

لقد حظيت انتفاضة ١٩٤١ التحررية منذ أيامها الأولى بتأييد الجماهير الشعبية . ولم يقتصر هذا التأييد على ارسال آلاف البرقيات من الشخصيات الاجتماعية بل تعدّاه إلى خروج طلاب المدارس الثانوية والكليات بمظاهرات تندد بالاستعمار الانكليزي وتهتف بانتصار الجيش وتعلن استعدادها للاشتراك في المعركة ضد المعتدين . ولكن حركة الجماهير كانت تفتقر إلى حزب ينظمها ويقودها . ومن هنا ، اعتمد التأييد الشعبي للحركة على المبادرات العفوية والفورات الفجائية . وساهمت في هذه المظاهرات جموع غفيرة من الوفود الفلاحية التي نظمها شيوخ العشائر وشجعها رجال الدين . وكان من الواضح أن هذه المظاهرات لم ترفع شعارات واضحة باستثناء شعار واحد تردد على أفواه المتظاهرين وهو « يعيش الجيش ونطالب بالانضمام للمعركة »(٣١) . وقد اشتركت في تلك



(٣٠) عبدالرزاق الحسني، الاسرار الخفية، ص ١٢٠ .
(٣١) الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي: الحركات الثورية والسياسية، ص ٨٥ .

المظاهرات اعداد كبيرة من طلاب المدارس والكليات والمثقفين وعمال سكك الحديد والحرفيين .

وقام أعداء « حكومة الدفاع الوطني » في الداخل ، من الموالين للبلاط والانكليز ، بمحاولات عديدة تهدف إلى مقاومة رشيد عالي واسقاطه ، ابرزها محاولتا الوصي في الديوانية والبصرة ، ومحاولة صالح جبر في البصرة أيضاً ، وسواها ، وقد استهدفت كافة هذه المحاولات أن تقوم حكومة اخرى موالية للوصي والانكليز ومناهضة للحكومة التي كانت قائمة حينذاك في بغداد برئاسة رشيد عالي الكيلاني ، ولكنها منيت كلها بالفشل الذريع . ومع ذلك ، يمكن القول أن قادة النظام الجديد لم يكن لديهم أي خط واضح أو تصور دقيق للمهمات الآنية والمراحل القادمة . وكان الافتقار للايديولوجية المتكاملة ، والاستراتيجية الواضحة ، من الاسباب الاساسية التي ادت إلى انهيار المقاومة وفشل الانتفاضة . بل العكس من ذلك كان هناك تعارض في الآراء بين الشخصيات البارزة من زعماء الحركة حول المسائل الاساسية التي تواجه البلاد . وكان غياب الوحدة المطلوبة بين القيادتين السياسية والعسكرية من الاسباب الاساسية التي أدت أيضاً إلى انهيار المقاومة وفشل الانتفاضة .

فقد ظهرت بعد تنحية وزارة طه الهاشمي عن الحكم فكرتان متباينتان : تبنى الفكرة الاولى ناجي شوكة ، وخلاصتها : إن الحركة في العراق ثورية ، فيجب أن تتناول نظام الحكم ، فتعلن الجمهورية فيها فورا . وكان ناجي السويدي قد ترأس الحقوقيين العراقيين المؤيدين للجمهورية ، وامتاز بتحركه النشط وحماسته الشديدة في هذا الصدد .

أما الفكرة الثانية فهي التي تقول أن الأمير عبد الاله بسفره إلى

---

(٣٢) تعتبر السفن الاجنبية قلاعا اجنبية تمخر عباب البحار فتسود فيها سيادة الدولة التي ترفع علمها سواء مخرت عباب البحار أو رست في احد الموانىء.

البصرة، ولجوئه إلى سفينة حربية بريطانية قد خرج من الأراضي العراقية، وترك واجبات الوصاية وعطل الدستور، فيكون قد خلع نفسه بنفسه. ولما كان الملك ما يزال دون السن القانونية فيجب تعيين وصيّ جديد عليه. وقد انتصرت الفكرة الثانية التي التزم بها ودعا إليها رشيد عالي الكيلاني. ولكن اختلفت الآراء في شخصية هذا الوصيّ وهل يكون عراقيا مثل محمد الصدر أم يكون حجازيا.

فلما اتفقت الآراء على وجوب جعل الوصي حجازيا. تقرر ايفاد ناجي شوكة إلى تركيا لدعوة الامير زيد وتنصيبه وصيا. ولكن بعد المسافة بين العراق وتركيا وضيق الوقت أديا إلى اختيار الشريف شرف للوصاية (وكانت تربطه صلة قربي بالاسرة الحاكمة وسبق له أن ناب مرّة عن الملك فيصل الأول). فكلّف صفوة باشا العواء أن يفاتح الشريف شرف في موضوع الوصاية فتمكن صفوة من القيام بهذه المهمة بنجاح.

أما «حكومة الدفاع الوطني» فقد قررت دعوة مجلس الامة للنظر في مسألتين مهمتين، الاولى: وضع البلاد الذي نشأ عن هرب الوصي عبد الاله ولجوئه إلى بارجة بريطانية بعد تركه واجبات الوصاية وتعطيله الدستور على اثر استقالة وزارة الهاشمي. والثانية: هي تنصيب وصي جديد على عرش العراق.

وساور العقداء الاربعة ريب في أمر دعوة مجلس الامة إلى الاجتماع. فأوجسوا خيفة من اجتماعه، ولا سيما أن انتخاباته كانت قد جرت على عهد الامير عبد الاله ونوري السعيد. ولكن رشيد عالي أوضح لهم أن من شيمة العراقين واصالتهم، تناسي الاحقاد فيما بينهم، إذا ما تعرضت مصالح بلادهم للخطر، فلا خوف من هذا الاجتماع. كما انه ليس من المصلحة اجراء انتخابات جديدة لمجلس يتولى البت في هذين الامرين. فاقترح العقداء الاربعة أن يتولى الكيلاني نفسه منصب الوصاية، ولكنه رفض هذا العرض، ورأى وجوب دعوة مجلس الامة إلى

انعقاد فورا . ففاتح الكيلاني رئيس مجلس الاعيان محمد الصدر في هذا الموضوع فاعتذر الصدر عن القيام بهذه المهمة نظرا للعلاقات الوثيقة التي كانت تربطه بعبد الاله . وكان رئيس مجلس النواب مولود مخلص قد غادر إلى مزرعته في تكريت ، متعمدا التغيب عن العاصمة ، والامتناع عن المشاركة في الاحداث ، كما كان يتحين الفرصة للانضمام إلى الجهة المنتصرة . لذا استقر الرأي بأن يكلف نائب رئيس مجلس النواب الشيخ محمد حسن حيدر بدعوة مجلس الامة إلى الاجتماع . فوجهت إليه « حكومة الدفاع الوطني كتابا تدعوه فيه إلى القيام بهذا الواجب . وحال تسلم الشيخ هذا التكليف قام بتوجيه الدعوة إلى اعضاء مجلس الامة . فاجتمع المجلس في يوم الخميس المصادف ١٠ نيسان ١٩٤١ . وحضرت الاجتماع الاكثرية الساحقة من أعضائه . وكانت شرفات المجلس غاصة بالمستمعين . وما كاد اعضاد المجلس يلمحون دخول رشيد عالي الكيلاني حتى علا التصفيق والهتاف . وبعد أن قرر مجلس الامة أن يترأس الجلسة علوان الياسري أحد كبار رجال الثورة العراقية ، أعطي الكيلاني أذنا بالكلام . فقدم عرضا للحوادث السابقة عن امتناع الامير عبد الاله عن القيام بواجباته ، واستقالة وزارة طه الهاشمي ، وبقاء البلاد من غير حكومة مسؤولة ، واضطراره إلى تحمل المسؤولية مؤيدا من الشعب جميعا . ثم طلب من المجلس أن ينظر في اعادة الامور إلى مجاريها . واقترح تنحية الوصي السابق وانتخاب الشريف شرف وصيا على العرش . وعلى اثراقتراح الكيلاني ، تحدث ناجي السويدي مؤيدا ، ودعم تأييده بحجج دستورية ثم وضع رئيس المجلس اقتراح الكيلاني بالتصويت فقُبل بالاجماع . ثم تقدم الوصي وأقسم يمين الاخلاص وعلت الهتافات وخرج محاطا بحماس الجماهير المجتمعة . ثم شرع في الحال يمارس صلاحياته الدستورية .



وطلبت « حكومة الدفاع الوطني » برئاسة رشيد عالي الكيلاني إلى

الوصي الجديد أن يقوم باعادة الحياة الدستورية في البلاد وتشكيل وزارة جديدة بعد أن استقرت الاوضاع .

ومن المعلوم أن الوصي السابق لم يقبل رسميا استقالة طه الهاشمي ، لأنه ترك بغداد على اثر تقديمها دون أن يتسلمها . فبقيت الاستقالة دون أن تأخذ صفتها القانونية . فوافق عليها الوصي الجديد اولا . وتنحت « حكومة الدفاع الوطني » عن الحكم لعدم بقاء مسوغ قانوني لوجودها . وفي الوقت نفسه ، كلف رشيد عالي الكيلاني بتأليف وزارته الرابعة والأخيرة فألفها في الثاني عشر من نيسان .

وبعد أن اعلن البرلمان وصاية الشريف شرف على عرش العراق في ١٠ نيسان ١٩٤١ ، فقد الوصي كل أمل في مقاومة الحركة وهو على ظهر الدارعة (كوك شبير) في خليج البصرة . واضطر إلى مغادرة البصرة بطائرة حربية بريطانية نقلته إلى القدس ومنها التجأ إلى عمان بشرق الاردن .

ويقول السفير البريطاني كورنواليس في تقريره إلى ايدن عن احداث عام ١٩٤١ « أن الوصي كان في الحقيقة يحدوه الامل في أن يتمكن من اعادة فرض مركزه في البصرة . إلا أن الجيش هناك انقلب ضده واضطر أن يلجأ مع كل من جميل المدفعي وعلي جودة إلى سفينة حربية بريطانية حيث نقلوا فيها بعد بطائرة إلى فلسطين »[٣٣] .

ويقول الحسني في هامش الصفحة ١٨٧ من كتابه (الاسرار الخفية) في طبعته الرابعة أنه سمع من علي جودة اثناء لقائه مع الامير عبد الاله في فلسطين أن الحكومة البريطانية عازمة على تسوية خلافها مع حكومة الكيلاني الجديدة وأن الحكومة البريطانية أسرت إليه وإلى زميله جميل المدفعي أن يختار الجهة التي يرغبان في الاقامة فيها في الهند ، فأعرب



(٣٣) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـ الوثيقة المرقمة : F.O. 371/31371 (E- 2596) والمؤرخة في ٨ آذار ١٩٤٢ .

علي جودت والمدفعي عن رغبتهما في الذهاب إلى سورية ولكن تطور الوضع الحربي في العراق حال دون ذلك .

الخط السياسي لحكومة الدفاع الوطني

قامت (حكومة الدفاع الوطني) في بغداد في الاول من نيسان ١٩٤١ . وقد أشرنا إلى ظروف واسباب قيامها في الصفحات السابقة . وكانت في اول أيامها تتألف من شخص الكيلاني وحده كما أسلفنا . وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور ، كلف الكيلاني رسميا بتشكيل وزارة جديدة بعد استقالة الحكومة المؤقتة . وبعد اسبوعين من قيامها استطاعت أن تكسب تأييد معظم ابناء البلاد وأن تسيطر على الوضع سيطرة تامة . وفي هذه الفترة بالذات أيضاً ، كان مجلس الامة العراقي قد قام بخلع الوصي القديم عبد الاله وانتخاب الوصي الجديد على العرش وهو الشريف شرف . وقد دخلت وزارة الكيلاني الجديدة شخصيات عراقية بارزة منها : ناجي السويدي وزيرا للمالية وناجي شوكة وزيرا للدفاع ويونس السبعاوي وزيرا للاقتصاد .

وكان مجيء هذه الوزارة إلى السلطة بحد ذاته يعتبر انتصارا للاتجاه القومي العربي الملتزم في الصراع الذي كان دائرا بين الكتل السياسية المختلفة ، وايذانا بالشروع في تنفيذ مطالب واهداف الاتجاه المذكور في تحرير العراق تحريرا مطلقا من قيود النفوذ البريطاني وفي اتخاذ المواقف الواضحة والحاسمة من القضايا القومية الملحة في الوطن العربي حينذاك ، مثل منح الاستقلال لسورية ولبنان وحسم مشكلة فلسطين . وكان النظام الجديد ، ممثلا في قادته العسكريين وزعمائه السياسيين ، تحدوه الرغبة الصادقة في تغيير الاوضاع السياسية في البلاد ، ولا سيما طبيعة العلاقات العراقية الدولية توطيدا للاستقلال وتحريرا للقطر من أي نفوذ اجنبي بوجه عام وبريطاني بوجه خاص .

ولكن القدرات المتاحة من الناحيتين المادية والفكرية ، فضلا عن الظروف القائمة من الناحيتين الداخلية والخارجية ، قد منعت الحكام الجدد للعراق حينذاك من تحقيق هذه الرغبات تحقيقا كاملا أو دائما . وقد ظهر من النشاط العملي للحكومة الكيلانية أن الانتفاضة نفسها ـ رغم كونها حدثا له مبرراته وظروفه ـ وقعت جوابا على محاولة حكومة الهاشمي التي أيدها الوصيّ وباركتها السفارة البريطانية للقضاء على الكتلة العسكرية القومية . وقد دلت الأحداث المتلاحقة ، بما لا يدع مجالا للشك ، أن الانتفاضة قد افتقرت إلى خطة منظمة مسبقا . ويبدو واضحا من سياق الوقائع ، على الصعيد الداخلي ، إن الوزارة الكيلانية لم تأت بجديد في برامجها ، على الرغم من الزخم الكبير الذي نالته والتأييد الواسع الذي كسبته . حتى أن الكيلاني نفسه كان قد أعلن أن برنامج وزارته لا يختلف في شيء عن برامج وزاراته السابقة . وعلى هذا استمر الغموض سائدا ، والافتقار إلى الوضوح قائما ، وتعدد الاجتهادات واردا . ومن الملاحظ أن ابرز زعماء « حكومة الدفاع الوطني » وخصومها السياسيين من امثال نوري السعيد ، كانوا جميعا يعيشون في مناخات واجواء اجتماعية مشتركة . وقد ادى ذلك إلى اتخاذهم مواقف وافكار متشابهة من جوانب معينة على الصعيد الداخلي . ومن هنا ، جاء تردد اكثريتهم في القيام بتحولات اجتماعية جذرية . ولكن الواقع قد اثبت أن عددا غير قليل من القادة العسكريين للانتفاضة كان قد تفهم إلى حد ما ضرورة تحقيق هذه التحولات . إلا أن الاعتقاد قد ساورهم بأنه لا يمكن انجاز الاصلاحات الاجتماعية إلا بعد تنفيذ المهمات القومية الخارجية ، والقضاء على سيطرة المستعمرين .



ويمكن القول أن الاوضاع الدولية التي اتسمت في تلك الفترة بالهزائم التي عاناها الحلفاء الغربيون والانتصارات التي حققها المحور ، قد ساعدت على تقوية هذه الآراء بين القوميين الذي سعوا إلى توحيد صفوف

الشعب من حولهم وتجنب كل عمل أو موقف اجتماعي جذري من شأنه أن يؤدي إلى تفجير الصراعات الاجتماعية والانقسامات الداخلية . ويبدو ، في ضوء ما تقدم ، أن القوميين كانوا اكثر ميلا إلى الاهتمام بالمشاكل الخارجية من الاهتمام بالمشاكل الداخلية . وإذا نظرنا إلى السياسة التي انتهجها الكيلاني على الصعيد الداخلي ، فيمكن القول أن حركة عام ١٩٤١ لم تقم على مفهوم اجتماعي واضح معين ، باستثناء بعض الاشارات إلى الاصلاح الاجتماعي والعدل الانساني وكذلك كانت هي الحال مع معظم الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق في تلك الفترة . وهكذا اشار الكيلاني في مذكراته بأنه كان ينوي « رفع مستوى الشعب ورفاهيته »(٣٤) .

والحقيقة هي أن شعار الاشتراكية لم يكن مستساغا في العراق في تلك الفترة . حتى أن « جماعة الاهالي » التي تبنت الاشتراكية المعتدلة كانت قد تعرضت إلى الاتهام بالشيوعية . وما استبدالها شعار الاشتراكية بالشعبية إلا نتيجة للوضع المذكور .

تلك هي اذن صورة الموقف الذي اتخذته (حكومة الدفاع الوطني) على الصعيد الداخلي . فكيف اذن كانت صورة الموقف الذي اتخذته تلك الحكومة على الصعيد الخارجي ؟ علينا أن ندرس العوامل والاعتبارات التي اخذت بها (حكومة الدفاع الوطني) في سياستها الخارجية ، واقامت عليها علاقاتها الدولية . ومن الضروري في الدرجة الاولى أن نبين آراء الزعماء السياسيين والقادة العسكريين في (حكومة الدفاع الوطني) في المشاكل العالمية والقضايا الدولية التي كانت مطروحة في أيامهم . فقد تمتعت الآراء التي اعتنقها واعلنها رشيد عالي الكيلاني ، الزعيم الرسمي والتقليدي للحكومة التي عرفت بأسم حكومة الدفاع الوطني ، بوزن خاص في

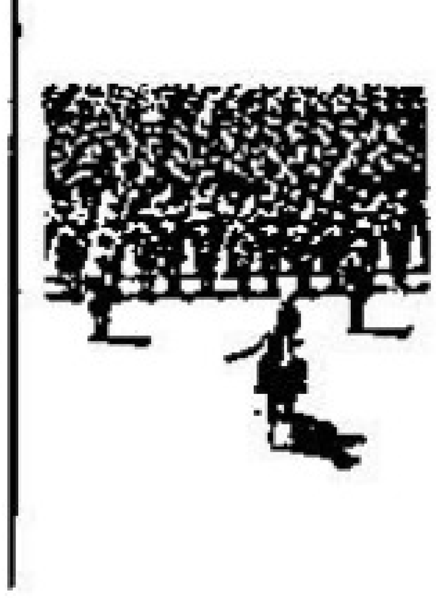
---

(٣٤) اسماعيل احمد ياغي ، المصدر المذكور سابقا ، ص ١٢٤ .

العلاقات الدولية والسياسية الخارجية للعراق في ذلك الحين . ولعل ابرز ظاهرة تلفت النظر في هذا الصدد ، هي وجود قاعدة مشتركة في الموقف من بريطانيا بين السيدين الكيلاني والسعيد . فانهما قد اتفقا في المبدأ ، واختلفا في الاسلوب . فذهب السعيد إلى حد التضحية بمصالح العراق والعرب إذا تعارضت مع مصالح بريطانيا ، أما الكيلاني فيوافقه من حيث المبدأ على وجوب التحالف مع بريطانيا إذا كان وسيلة تؤدي إلى تحقيق أماني العرب ، فإذا تعارض مع تلك الاماني فأنه يصبح محل نظر .

ونستطيع من متابعة المواقف التي اتخذها الكيلاني من العلاقات مع بريطانيا في فترة طويلة من الزمن ، تبدأ من معارضته الشديدة لمعاهدة ١٩٣٠ وتصل محاولته الجادة للتفاهم مع بريطانيا في (حكومة الدفاع الوطني) سنة ١٩٤١ ، أن نتبين ايمانه العميق بأن مصلحة العراق تقضي بالمحافظة على العلاقات مع بريطانيا دون غيرها من الدول الاوروبية الاخرى .

ويبدو أنه قد اتخذ هذا الموقف لعدة اسباب اعتبرها وجيهة في حينه ، ومن اهمها : أن بريطانيا هي قوة عظمى ودولة كبرى والعراق دولة ضعيفة ناشئة محاطة بدول مجاورة معادية أو طامعة ، ومن مصلحته أن يلتجيء إليها ويحتمي بها . ومنها كذلك : العلاقة الطويلة والخبرة المباشرة بين بريطانيا والعراق منذ أن اصبح دولة . ومنها أيضاً : أن بريطانيا هي دولة متقدمة للغاية علميا وتكنولوجيا ، والعراق بحاجة ماسة إلى المساعدة البريطانية في هذه الحقول والميادين وبالاخص في المجال العسكري . ولعل افضل تعبير عن هذا الموقف قد ورد في نصيحة من الملك عبد العزير بن سعود إلى العراقين في تلك الفترة بقوله : « إن مجاورة الاسد الشبعان خير من مجاورة الضبع الجوعان »(٣٥) .



(٣٥) راجع : د. مجيد خدروي ، العراق المستقل ، الطبعة الانكليزية ، Khadduri, Majid, **Independent Irœq,1932-1958**,London, Oxford University Press,1960, '193.
والاستاذ عبدالرزاق الحسني ، الاسرار الخفية ، ط ٤ ، ص ١٩٠ .

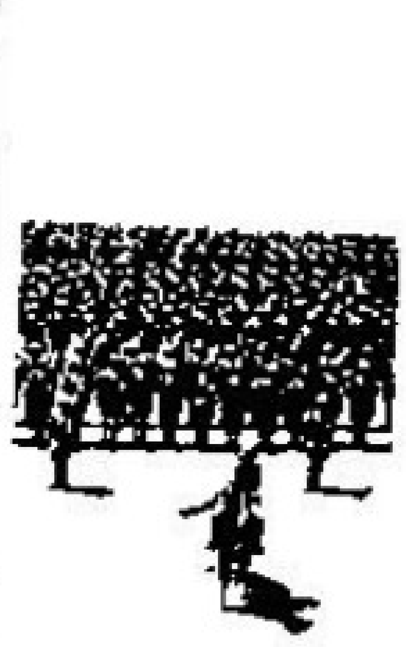
وكانت تلك هي حدود مصلحة العراق إذا جرى التفكير في اتخاذ موقف جذري عدائي من بريطانيا ، وهي أيضاً الاعتبارات الموضوعية التي ادخلها كل سياسي في حسابه حينذاك مهما كانت نوازعه الذاتية .

ويبدو أن الكيلاني كان على استعداد لتقديم بعض التنازلات لبريطانيا بمجرد تقديمها تعهدات تتعلق باستقلال الاقطار العربية . ومن الجدير بالذكر ، أن حكومة الكيلاني الائتلافية كانت قد حاولت عدة مرات أن تحصل من بريطانيا على وعد باستقلال سورية ولبنان وحل مشكلة فلسطين حلا يحقق رغبات العرب في شتى أمصارهم ، ولكن المسؤولين البريطانيين رفضوا ذلك وصرحوا في مجلس العموم البريطاني بأنهم لن يعطوا العرب وعدا يتعلق بسورية وفلسطين ، وعلى وجه العموم فإن الكيلاني لم يختطّ لنفسه سياسة جديدة منذ بدايته في العمل السياسي ، لا في السياسة الخارجية ولا في السياسة الداخلية . وقد صرّح في البرلمان يوم اجتماعه في ١٠ نيسان ١٩٤١ لتعيين الوصيّ الجديد بأن برنامج وزارته لا يختلف كثيرا عن برامج وزارات اسلافه .

ومن الملاحظ أن الوزارات التي ترأسها الكيلاني تكاد تكون متشابهة في سياساتها بشكل عام ، وأن مبادىء السياسة التي انتهجها في وزارته الائتلافية في عام ١٩٤٠ تبين أن سياسته في عهد « حكومة الدفاع الوطني » المؤقتة وفي عهد وزارته الرابعة الاخيرة إنما هي امتداد للسياسة التي انتهجها في وزاراته السابقة .

---

(٣٦) قدم العقيد (نيو كومب) الى العراق في يوليو ١٩٤٠ في مهمة استطلاعية لبحث مشكلتي فلسطين وسورية مع جماعة المفتي. وقد طرحت عدة اقتراحات بخصوص سورية وفلسطين. ولكن بريطانيا رفضت هذه المقترحات بالرغم من ان حكومة العراق قد ابدت استعدادها لقطع العلاقات مع دول المحور واعلان الحرب عليها ووضع قسم من قواتها تحت تصرف قيادة الحلفاء إذا اصدرت بريطانيا وعدا باستقلال سورية وفلسطين، اسماعيل ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني، ص ٥٨.



وفي الامكان تلخيص هذه السياسة فيما يلي :

اولا : تقوية الروابط مع الاقطار العربية ، واستمرار الجهود لتحقيق الاماني الوطنية في البلاد العربية المجاورة .

ثانيا : تقوية اواصر الصداقة والتعاون مع بريطانيا على اساس المصالح المتبادلة .

ثالثا : استمرار علاقات الصداقة والتعاون مع الدول الموقعة على ميثاق سعد اباد(٣٧) .

والحقيقة أن الكيلاني قد اكسب خطته السياسية مزيدا من التفصيل والوضوح عندما فاتحة القادة العسكريون بتسلّم الوزارة بعد استقالة طه الهاشمي ، وبحضور المفتي . وقد اوضحت شروط الكيلاني لقبول الوزارة ، ما كان يدور في خلده من افكار سياسية في تلك الفترة ، وهي كما يلي :

ـ المحافظة على الصلات التقليدية مع الانكليز على اساس المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٣٠ .

ـ عدم التساهل تجاه المطالب الانكليزية التي تخرج عن نصوص المعاهدة إلا ما كان فيه مصلحة مشتركة للطرفين ، أو ما كان فيه ضمان لاستقلال العراق وسورية وفلسطين ووحدة العرب .

ـ تزويد الجيش العراقي بالسلاح من أي مصدر كان ، وعدم التردد في هذا الامر ما دام الانكليز غير راغبين في تجهيز الجيش العراقي بما يحتاج إليه من السلاح .

---

(٣٧) تم توقيع هذا الميثاق في قصر (سعد اباد) بطهران سنة ١٩٣٧ . وكان قد عقد بين دول الشرق، ايران والعراق وتركيا وافغانستان، بخصوص التعاون المشترك في شتى المجالات وعدم الاعتداء على الدول الموقعة عليه وكذلك عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل دولة . مذكرات اللواء ابراهيم الراوي، ص ٣٦٥ .

ـ النظر في اعادة الانتخابات العامة على اساس يؤمن للمجلس النيابي أعضاء .

ويمكن القول أن جملة الشروط التي قدمها الكيلاني قبل انتفاضة مايس عام ١٩٤١ كانت نتيجة للنضال الطويل الذي خاضته الحركة الوطنية في العراق منذ ثورة عام ١٩٢٠ ، ومحصلة للآراء التي تمسك بها واجمع عليها الوطنيون العراقيون والقوميون من ابناء الاقطار العربية الاخرى الذين كانوا في العراق حينذاك . أما انضمامه إلى المحور وطلبه العون من المانيا رسميا ، فإنهما لم يحدثا إلا بعد وقوع العدوان العسكري البريطاني المسلح بالفعل على العراق في ٢ مايس سنة ١٩٤١ .

وكان مفتي فلسطين وعدد من السياسيين السوريين ، يزيد على اربعمائة شخص ، قد استقروا في بغداد . وكان نشاطهم الواسع والمتزايد من العوامل المشجعة على انتهاج العراق للسياسة القومية[٣٨] ، وتقرير مبادىء واتجاهات السياسة الخارجية للعراق . وقد اشرنا فيما سبق إلى أن اشتراك مفتي فلسطين الحاج محمد امين الحسيني اشتراكا فعالا في تهيئة عوامل الانتفاضة وفي تنفيذها قد اثر بلا شك في تكوين المفاهيم الاساسية للخط الدولي الذي اتبعه الكيلاني .

وكانت خلاصة رأي المفتي حول موقف العراق في مطلع الحرب العالمية الثانية كما يلي :

ـ تحاشي اغضاب دول المحور ومسايرة الانكليز في الوقت نفسه ضمن حدود المعاهدة العراقية ـ الانكليزية .

ـ تسليح الجيش العراقي وعدم التفريط به .

ـ تحاشي الدخول في الحرب ، والمحافظة على القوى العربية من أن



(٣٨) خدوري ، المرجع سالف الذكر ، ص ١٩٣ .



الشهيد الرائد ساجد يحيى



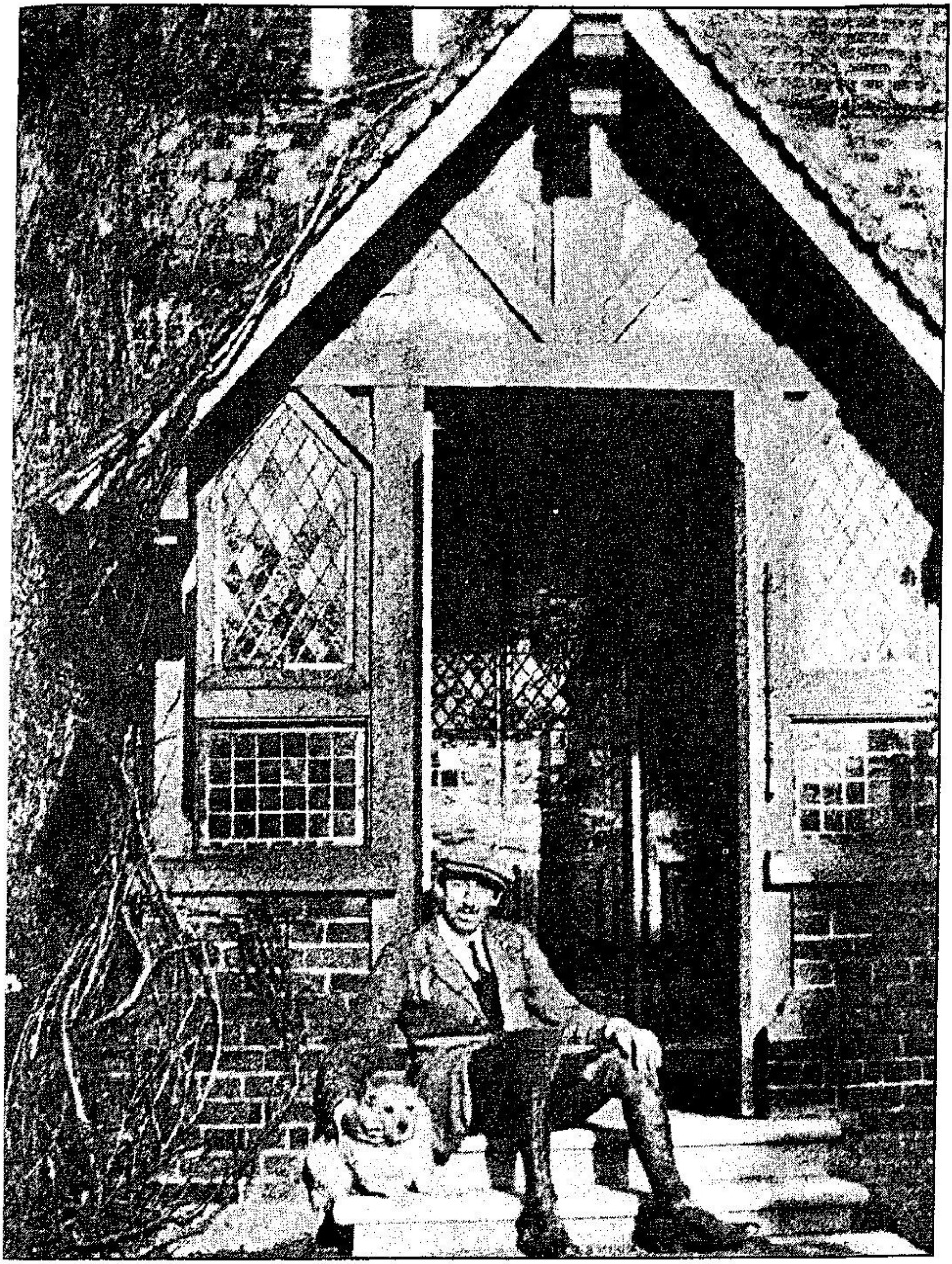
الأمير عبدالله



الشهيد الملازم ابراهيم العزاوي



الملك فيصل الأول



لچمن



الملك فيصل الثاني



سندرسن



توفيق السويدي

تستنزف في سبيل انتصار بريطانيا ، فانتصارها ليس من صالح العرب في شيء ، لأنها ستنقلب عليهم كما فعلت بعد الحرب العالمية الأولى .

ـ إذا اشتركت روسية واليابان وايطاليا في القتال إلى جانب المانيا ، ووصلت جيوشهم إلى مصر وايران ، فمن الواجب أن تعلن البلاد العربية جمعاء الثورة على الانكليز ومن معهم .

ـ اعلان الثورة في فلسطين وذلك لاجبار الانكليز على رفع القيود الصهيونية كلها ، والاعتراف باستقلال فلسطين قبل نهاية الحرب سواء انتصر الانكليز فيها أم لم ينتصروا[٣٩] .

ويبدو من اصرار الكيلاني والمفتي معا على ضرورة تسليح الجيش العراقي ، إن هذا الموضوع كان مطلبا سياسيا عاما يتمتع بالتأييد الشعبي الواسع ، كما كان الشغل الشاغل للوطنيين العراقيين ولا سيما الضباط القوميين ، بحيث لم تأت حكومة إلى دست السلطة إلا واضطرتها الواقعية السياسية إلى التجاوب معه والالتزام به . وقد اتفق قواد الجيش في تلك الفترة مع رأي المفتي حينذاك على وجوب مجيء المساعدات العسكرية الالمانية عبر روسيا وايران . وكانت ثقتهم ضعيفة في امكان مرور تلك المساعدات عبر تركيا بسبب حرصها الشديد على حيادها . كما أن قناعاتهم كانت قوية بأن طريق القفقاس ـ ايران هي اسهل بكثير بسبب تحرر ايران من النفوذ البريطاني وميلها إلى المانيا . وإذا تمكنت المانيا من اقناع روسيا بالموافقة على مرور الاسلحة عبر القفقاس ، فهذا ـ في اعتقاد المفتي والضباط ـ دليل على حسن العلاقات بين الطرفين ، وإلا فهي سيئة . وفي كلتا الحالتين ، فإن من مصلحة العرب التقرب إلى روسيا ، وتحسين العلاقات معها ، وتبادل السفراء معها . ويمكن حينذاك تقوية الجيش

---

(٣٩) صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة ، ص ١١١ .

بالاسلحة التي يرسلها المحور والتي توافق روسيا على مرورها عبر القفقاس .

فإذا كانت العلاقات بين روسيا والمحور غير جيدة ، فإن ذلك ينبغي أن يدفع العرب ، في اعتقاد (المفتي)، إلى محاولة الاتفاق مع الانكليز اتفاقا قد يؤدي إلى تحسين وضعهم بعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء . وفي ضوء ما تقدم ، لا يمكن استبعاد الاحتمال بقيام تحالف بين روسيا من جهة ، والحلفاء ومن بينهم بريطانيا من جهة اخرى(٤٠) .

وتدل هذه التفاصيل دلالة واضحة على اطلاع (المفتي) اطلاعاً واسعاً ودقيقاً على الوضع الدولي ، اضافة إلى امتلاكه عقلية مستنيرة وقدرة استراتيجية عالية تقوم على تحديد الاحتمالات وتقديم البدائل ، لا نشك في أنها كانت قد سبقت عصرها وأوانها بأشواط طويلة ودرجات مرتفعة .

ومن الجدير بالاهتمام أن رشيد عالي الكيلاني قد أيد وناصر آراء ومواقف الضباط القوميين . والحقيقة هي أن حكومة رشيد عالي الكيلاني كانت قد اعتمدت على الجيش الذي لعب بقيادة الضباط القوميين دورا حاسما في مجيئها إلى السلطة واستمرارها في الحكم . وكان ما تقدم سببا في تمسك الكيلاني بسياسة الحياد وتطوير العلاقات مع دول المحور ، بغية الحصول على اسلحة حديثة ، وعلى تصريح يضمن استقلال البلاد العربية وفلسطين بالذات .

ونستطيع الآن أن نجري مقارنة عامة بين آراء السياسيين والعسكريين الذين اشرنا إليهم وتحدثنا عنهم . فإذا فعلنا ، فسنجد أن تلك الاراء تمتاز بالغموض وتختلف في التفاصيل ، ولكنها قد اجمعت كلها على وجوب التزام العراق بالحياد في الحرب . وكان هذا الموضوع سببا اساسيا للخلاف الذي حدث بين الوصي ومعه أعوانه ومن خلفه السفارة

---

(٤٠) عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي ١٩٤١ ، ص ٨٢ ـ ٨٣.

البريطانية في بغداد وبين الضباط القـوميين ، وكـذلك بـين نوري السعيـد وكتلته الموالية للانكليز وبين رشيد عالي الكيـلاني وكتلته الـوطنية من جهـة اخرى . ويمكن أن يوصف مبدأ الحياد بأنه كـان قد أصبـح في تلك الفترة بمثابة مركز الثقل ومحور الاستقطاب للوطنيين العـراقيين والقـوميين العـرب من مختلف الاتجاهات .

وكـانت سياسـة الحياد قـد بـدأت تتبلور بشكـل واضـح في أوسـاط السياسيين القوميين في العراق منذ اعلان الحرب العالمية الثـانية في ٣ ايلول **١٩٣٩** وما بعدها . وقد قام عثمان كمال حداد ، سكرتير مفتي فلسطين ، باستعراض الاسباب التي دعت في حينه إلى التزام الموقف المذكور ، فكتب يقول :

« وبعد اجتماعات عديدة في بغداد استعرضنا الحالة العامة فيها فإذا بها كما يلي :

اولا : إن مصلحة العراق خاصة والعرب عامة تتطلب المحافظة على الحياد التام لاسباب كثيرة اهمها :

١ ـ عدم استقرار الوضع السياسي بين المانيا وروسيا . فقد تحقق لنا أن الالمـان يضمـرون العـداء للروس ، وأن ميثـاق **٢٥** اب **١٩٣٩** لم يكن غرض الجانبين منه سوى كسب الوقت .

٢ ـ إن البلاد العربية ضعيفة جدا من الوجهة العسكريـة ، وهي لا تتحمل الصدمات لا من المحور ولا من اعدائهم .

٣ ـ مهـما حصلنا عـلى تصريحـات من جانب المحـور ، فإن هـذه لا يعول عليها وقد لا يلتزم بها عمليا بعد الحرب .

٤ ـ إن الحرب فرصة ثمينة يمكن استغلالها للحصول على أكبر قسط ممكن من الحقوق للأمة العربية »(٤١) .

---

(٤١) عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١، ص ٨١.

ويقول السر بازل نيوتن ، السفير البريطاني في العراق ، بهذا الصدد : « رغم احتجاجاتي القوية والمتكررة، والمثل الذي ضربته مصر بقطع علاقاتها مع ايطاليا ، فإن قرار الحكومة العراقية بتأجيل قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ايطاليا ، بدا للكثيرين من العراقيين أنه قرار حكيم عندما سقطت فرنسا بعد اسبوع من اعلان ايطاليا الحرب على الحلفاء . وفي نهاية العام كان الوزير المفوض الايطالي وعدد كبير من اعضاء المفوضية والمسلحين لا يزالون في بغداد »[٤٢] .

لقد أصبح مبدأ (الحياد التام) شعارا اساسيا من شعارات السياسة الخارجية التي انتهجتها حكومة رشيد عالي الكيلاني . وقد أثار هذا المبدأ صداما بين نوري السعيد من جانب ، وبين الكيلاني وقادة الجيش من جانب اخر ، في الاجتماع الذي عقده مجلس الدفاع الاعلى في مطلع عام ١٩٤٠[٤٣] وكانت سياسة الحياد بين المعسكرين . المتحاربين التي اختطتها تركيا حينذاك ، وتأثر بها وتعاطف معها معظم السياسيين والعسكريين العراقيين في تلك الفترة ، من العوامل التي ساعدت على اقتناع الكيلاني بالمبدأ المذكور .

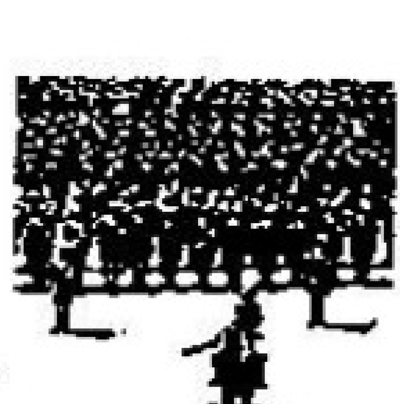
ويقول عثمان كمال حداد عن ايجابيات الحياد في نظر الكيلاني «إن لتركيا قيمة عظيمة لدى الحلفاء والمحور على حدّ سواء . فقد تمكنت من تبؤ مركز ممتاز بسبب وقوفها موقفا محايدا من الكتلتين ، كل واحدة منها تريد استرضاءها بمختلف الطرق . وتركيا تجني الفوائد من الجهتين وتجمعها لصالحها هي دون غيرها »[٤٤] . ويبدو مما تقدم أن سياسة

---

(٤٢) عبدالرزاق الحسني، الاسرار الخفية، ص ٥ .

(٤٣) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ١٤٥ .

(٤٤) عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي لكيلاني ١٩٤١، ص ١٠ . وصف احد المعارضين البريطانيين هذا الاتجاه (سياسة الحياد) بأنه يقوم على القاعدة التالية «إذا كسبت بريطانيا الحرب فسنبقى بمأمن على كل حال. وذا اتضح ان النازيين هم الذين سيكسبون الحرب، فعلينا ان لا نعمل ما يغيظهم». عبدالرزاق الحسني، الاسرار الخفية، ص ٦٢ ـ ٦٣ .



الكيلاني هي حصيلة الآراء التي اجمع عليها معظم كبار رجالات الدولة تقريبا في تلك المرحلة . ويمكن تلخيصها كما يلي :

الابتعاد عن الحرب الدائرة بين المعسكرين ، والعمل على استغلالها للتوصل إلى اقصى حد ممكن من الاستقلال للبلاد العربية وتوحيدها ، وتحرير فلسطين من الغزو الصهيوني وتسليح الجيش العراقي .

وفي الواقع أن رشيد عالي لم يستثر بمبادرة شخصية ـ كما زعم الانكليز ـ(٤٥) الشعور المعادي لبريطانيا في العراق . بل أن الافكار الراديكالية السائدة في العراق انذاك ، قد ساقته برغبته لتولي زعامة موجة كانت تعمل منذ زمن طويل على تسلّم السلطة . وبمضي الوقت اصبح الكيلاني رمزا وناطقا بلسان الاتجاه القومي المعادي لبريطانيا(٤٦) .

ومن الواضح الآن أن الخط السياسي الذي انتهجته ، « حكومة الدفاع الوطني » ولا سيما في السياسة الخارجية للعراق ، يعود إلى حد بعيد إلى التأثير الذي أحدثته سياسة بريطانيا وحلفائها تجاه العراق والوطن العربي من جهة ، وسياسة دول المحور من جهة أخرى . وكانت الدعايات الايطالية والالمانية في البلاد العربية من العوامل التي ساعدت على تقوية المشاعر العدائية ضد بريطانيا ، ولا سيما تأكيداتها المتكررة على الصداقة الالمانية والايطالية للاقطار العربية واستعدادها لمساندتها في نضالها الوطني التحرري ضد السيطرة الاستعمارية . ولا شك في أن هذه الدعايات كانت قد أثارت آمال الوطنيين العرب الذين استهوتهم المساعدة الفعالة من قبل دول المحور . هذا من ناحية المحور . أما من ناحية بريطانيا ، فانها قد استغلت النشاطات الالمانية والايطالية المتزايدة ولا سيما في بغداد ، في تحقيق اغراضها الاستعمارية في العراق وفي تبرير رفضها الاستجابة إلى

---

(٤٥) حاولت معظم المصادر البريطانية ان تشوه الواقع بالزعم أن الشعب العراقي لم يكن يكره بريطانيا، وأن الكيلاني وحده يتحمل مسؤولية افتعال العداء ضد بريطانيا ـ المؤلف.

(٤٦) لوكاز هيرزويز، المانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٠٩ .

مطالبه الوطنية العادلة في مرحلة معينة واحتلاله بالقوة المسلحة احتلالا عدوانيا في مرحلة لاحقة . وفي ضوء ما تقدم ، حرصت بريطانيا على وصف العراق في ظل « حكومة الدفاع الوطني » بأنه مجرد العوبة في يد النازيين .

وقد تركزت نشاطات « حكومة الدفاع الوطني » من الناحية العملية على محاولة التوصل إلى صيغة مقبولة لدى الطرفين في العلاقات بين بريطانيا والعراق ، تضمن مصلحة الأولى وتحفظ كرامة الثانية . ولم ينشأ ذلك من قصر فترة وجود الحكومة الكيلانية فحسب ، ولكن لان زعماء الحركة كانوا يدركون جيداً أن ثبات الحكم الجديد واستقرار البلاد يتوقفان على تسوية هذه المسائل . إلا أن هذا لا يعني أنه لم تكن هناك اختلافات في الآراء فيما بينهم ، ولا سيما بخصوص تقديم التنازلات إلى بريطانيا . وقد حاول الكيلاني ، مثلاً ، ان يبدي مرونة في سياسته مع بريطانيا ولو تطلب ذلك تقديم بعض التنازلات . ويعزو توفيق السويدي في مذكراته فشل الكيلاني في الاتفاق مع بريطانيا إلى تحريضات « المتطرفين » في الجيش الذين وصفهم بجماعة المحور . إذ لم يكن ـ على حد قوله ـ يروق لهم أن يحصل الاتفاق بين الحكومتين العراقية والبريطانية ، مما جعلهم يثيرون حفيظة العقداء الأربعة على الكيلاني الذي اتهموه بالخيانة للقضية العربية ، وبأنه أراد أن يتفاهم مع بريطانيا(٤٧) . وعلى الرغم من ذلك ، فان « حكومة الدفاع الوطني » في بداية تكوينها قد حاولت أن تجد طرقاً للتفاهم مع بريطانيا .

ولكن الحكومة الكيلانية لم ترفض إمكانات توثيق اتصالاتها مع المحور ، ولا سيما في مسألة تسليح الجيش العراقي وفي عدد من المسائل السياسية الأخرى . ومن الأمثلة على ذلك ، قيام ناجي شوكة(٤٨) ، وزير

(٤٧) توفيق السويدي ، مذكراتي ـ نصف ، قرن من تأريخ العراق والقضية العربية ، ص ٣٥٥ .
(٤٨) ناجي شوكة ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٤٠٢ ـ ٤١١ .

العدلية في وزارة الكيلاني الائتلافية ، بمهمته المعروفة في أنقرة للتفاوض مع سفير المانيا في تركيا (الفون بابن) ، ومهمة سكرتير المفتي عثمان كمال حداد في روما وبرلين للتفاوض مع دولتي المحور باسم العراق ، واتصالات صلاح الدين الصباغ بممثلي السفارتين الايطالية واليابانية في بغداد عن طريق رئيس الوزراء (الكيلاني) والمفتي بهدف تأمين السلاح للجيش العراقي .

ونتيجة لهذه اللقاءات السرية ، التي لم يعرف عنها سوى الكيلاني وطه الهاشمي وناجي السويدي وناجي شوكة ، والتي قدم على أثرها محمد أمين زكي استقالته من الوزارة في أواخر تموز ١٩٤٠ بحجة المرض ، ثارت ثائرة بريطانيا غضباً من هذه الاتصالات التي اجراها العراق مع دول المحور بوسائل مختلفة . ولكن اجراءات حكومة الكيلاني في الأساس كانت بوجه من الوجوه عبارة عن محاولة للضغط على بريطانيا ودفعها إلى تقديم تنازلات لصالح العراق والقضايا العربية بصورة عامة . ويبدو من الاطلاع على مقررات مجلس الوزراء لشهر أيار ١٩٤١ ، ان الكيلاني وحكومته لم يكونا قد اتفقا على خطوات معينة أو خطط محددة تحسم الموقف مع بريطانيا[٤٩] . وقد ظهر هذا الواقع واضحا من تصريحاته في عشية تكليفه بتشكيل الوزارة . فقد اعرب عن رغبته في المحافظة على الاوضاع القائمة وتسوية المشاكل أو تجميدها في ذلك الحين . وتعهد الكيلاني بأن يبذل هو وزملاؤه قصارى جهدهم لتكون نتيجة هذه الحركة الوطنية مثمرة في صيانة حقوق الملك فيصل الثاني ، وفي تحقيق أماني الأمة . ومن الجدير بالذكر ، ان الكيلاني رغم الانتصارات الواسعة التي حققها المحور ، كان يتحاشى الاصطدام مع بريطانيا ، ويحاول جاهدا التفاهم معها . وبعد وقوع الاصطدام ، وبناء على تعليماته اتصل اخوه كامل الكيلاني ، وزير العراق المفوض في انقرة ، بالحكومة التركية ، ورجاها التدخل لتسوية

---

(٤٩) مقررات مجلس الوزراء لشهر ايار ١٩٤١ ، المركز الوطني لحفظ الوثائق في بغداد .

المشاكل بين العراق وبريطانيا . وأقسم كامل الكيلاني لوزير خارجية تركيا على أن النفوذ الالماني ليس وراء حركة الكيلاني(٥٠) . وفضلا عن ذلك ، فقد حدث خلال فترة « حكومة الدفاع الوطني » وقبل انتخاب الشريف شرف وصيا على العرش ، وتشكيل حكومة الكيلاني الرابعة ، ان زار ادموندس ، مستشار وزارة الداخلية ، رشيد عالي في داره ، وأكّد له - كما يروي الصباغ في مذكراته - « بشرف بريطانيا العظمى أنها لا تنوي شرّا وأنها ستقوم بازالة ما علق بالأذهان في المحافل البريطانية حول الكيلاني والحكومة والجيش وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا وافقت على اخراج عبد الاله من العراق ، وأنها ستعلن اعترافها بحكومة الكيلاني فور ما يقترع المجلس النيابي على خلع عبد الاله عندما ينتخب خلفا له ، وأنها لا تصرّ على طلباتها التي نجم عنها سوء التفاهم وتودّ أن تقف عند حدود المعاهدة مع العراق » .

ويضيف الصباغ إلى ما تقدّم قائلاً « رأيت رشيد عالي الكيلاني يشيّع ادموندس إلى باب قاعة الرئاسة ، وكان قد دعاني لمقابلته فصافحني وهو يكاد يطير من الفرح وقال : لقد انفرجت الازمة يا صلاح والحمد لله ، لقد وعدني ادموندس وعد صدق ولست اظنه كاذباً أو مخادعاً فهو صديقي »(٥٢) . وبالفعل انقطع صوت الاذاعة البريطانية السرية في تلك الليلة بالذات ، ثم وصلت انباء عن وصول عبد الاله وجماعته إلى القدس على متن طائرة بريطانية(٥٣) . ولقد ظل الكيلاني بعد تشكيل وزارته الرابعة شديد الرغبة في التفاهم مع بريطانيا دون التفريط بمصالح العراق . وكان يعتقد ان هذه الخطة ستكون ناجحة لأن الحكومة البريطانية لن تتجه

---

(٥٠) اسماعيل ياغي ، حركة رشيد عالي لكيلاني ، ص ١٦٦ .
(٥١) صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة ، ص ٢٣٧ .
(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .
(٥٣) مذكرات صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة في العراق ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

إلى اغضاب القوميين العرب خوفا من أن يثير الاصطدام بالعراق رد فعل سيىء ليس فقط في الوطن العربي ، بل في العالم الاسلامي بوجه عام(٥٤) . ويعود حرص الكيلاني على التفاهم مع بريطانيا إلى رغبته في تفويت الفرصة على انصارها العراقيين المجتمعين في عمان لتحديه ، فضلا عن تفويت الفرصة على بريطانيا نفسها التي كان رئيس وزرائها يتحرض بالعراق ويخطط للاصطدام به والهجوم عليه ، في وقت غير ملائم للعراق الذي كان يمر بضائقة اقتصادية شديدة من جراء الحرب وتوقف الصادرات .

وتدل تصريحات حكومة الكيلاني على نواياها في التزام الحياد في الحرب ، وتسوية المسائل المتنازع عليها مع بريطانيا بالطرق السلمية ، ومراعاة سريان مفعول المعاهدة البريطانية العراقية لعام ١٩٣٠ .

غير أن السياسة المستقلة للحكومة الجديدة ، لم ترق للانكليز . وبالاضافة إلى ذلك ، فان التصريحات الالمانية التحريضية بصدد تقديم مساعدات مالية وعسكرية للعرب في نضالهم ضد بريطانيا ، اثارت حفيظة الحكومة البريطانية خوفا من سقوط العراق تحت النفوذ الالماني(٥٥) .

وبالرغم من تطلع الحكرمة الكيلانية إلى تسوية العلاقات مع بريطانيا ، إلا أن الحكومة البريطانية اختارت طريق الضغط السياسي المباشر وغير المباشر حتى آل الأمر في النهاية إلى العدوان المسلح . ولم تكتف الحكومة البريطانية بهذا التدخل فعمدت إلى استغلال نفوذها لدى الدوائر الحاكمة في البلدان المجاورة لعزل العراق عن العالم الخارجي ، ومحاصرته سياسيا واقتصاديا .



---

(٥٤) هيرزويز ، المرجع سالف الذكر ، ص ١٩٠ .

(٥٥) تأريخ الحرب العالمية الثانية، لمجموعة من المؤلفين برئاسة وزير دفاع الاتحاد السوفيتي المارشال غرشكو، باللغة الروسية .

وقد أحرزت هذه السياسة البريطانية نجاحا ملحوظا . ومع أن نظام الكيلاني الجديد قد نال الصبغة الشرعية والدستورية في البرلمان ، إلا أنه كان لا يزال يفتقر إلى اعتراف العالم الخارجي(٥٦) ، حتى ان تركيا وايران ـ وهما جارتان مباشرتان ـ لم تعترفا بما حدث في العراق ، كما ان المانيا الهتلرية بعثت « غروبا » إلى العراق لا كممثل دبلوماسي يقضي الاعتراف الرسمي بالحكم الجديد بارساله وانما كواسطة للاتصال بين الطرفين . واكثر من ذلك يبدو أن حكومة الكيلاني لم تقابل بالارتياح من قبل تركيا والمملكة العربية السعودية . وقد اعتقدت هاتان الحكومتان ان هذا النظام ينتهج سياسة مخالفة لسياستهما . أما بريطانيا فقد ظل سفيرها الجديد (كورنواليس) الذي خلف « بازل نيوتن » يتلكأ في تقديم أوراق اعتماده إلى الوصي الجديد ، ويساوم على موضوع نزول القوات البريطانية في البصرة . كذلك أرسلت كل من الحكومتين المصرية والتركية إلى ممثليها في بغداد تعليمات تقضي بأن يعمل كل منهما بالتنسيق مع السفارة البريطانية . وقد نالت هذه السياسة البريطانية التأييد التام من حكومة الولايات المتحدة الامريكية . وطوال شهر نيسان أخذ وزير الولايات المتحدة الامريكية في بغداد « نابنشو » يماطل في مسألة الاعتراف بحكومة الكيلاني . وكان السياسي السوري جميل مردم بك قد فاتح « نابنشو » في هذه المسألة في ٧ نيسان وفقا لطلب الكيلاني عارضا بعض التنازلات ، إلاّ أن « نابنشو » رفض ، وأكّد أن الحكومة الأمريكية لا تثق بالحكومة القائمة وأنها تعمل بوفاق تام مع بريطانيا .

هكذا كان الوضع العام في العراق وفي الوطن العربي والعالم ، في عشية وقوع العدوان البريطاني العسكري المسلح الغادر على العراق في فجر اليوم الثاني من شهر مايس سنة ١٩٤١ ، وتلك مسألة أخرى سنبحثها في الفصل القادم .



---

(٥٦) الدكتور مجيد خدوري ، العراق المستقل ، ص ٢١٦ .

ملاحظة ملحقة بالفصل الخامس :

للاطلاع على المزيد من الحقائق والمعلومات عن الرواية البريطانية الرسمية واكاذيبها ومغالطاتها ، يستطيع القارىء الكريم أن يراجع المصدرين المباشرين التاليين باللغة الانكليزية :

1- **Paiforce:** The Official Story of the Persia and Iraq **Command 1941-46,** London, HMSO, 1948.

2- De Chair, Somerset, **The Golden Carpet,** London (Faber and Feaber, 1945).

(وهي رواية شاهد عيان بريطاني) .

الفصْل السّادس

دروس وعبر من حركة ١٩٤١

دروس وعبر
من حركة
١٩٤١

دوافعها وأهدافها

وجدنا في دراستنا أن الحركة الكيلانية التحررية تعود إلى أسباب عديدة ومعقدة ، داخلية وخارجية ، مباشرة وغير مباشرة ، تداخلت مع بعضها تداخلا شديدا ، واختلطت عواملها في سياق الأحداث وتطورها التأريخي اختلاطا بينا .

كانت المعارضة العسكرية التي أدت إلى انتفاضة ١٩٤١ نفسها ، نتيجة « حتمية » للصراع الموضوعي الطويل بين الشعب العراقي المضطهد ، والاستعمار البريطاني الغاشم المسيطر على البلاد . وكانت وليدة اصرار الشعب العراقي على استكمال استقلاله وتقرير مصيره بنفسه وتحقيق طموحه القومي في بناء الدولة العربية الموحدة . وكان حرمان الشعب من حقوقه وتعرضه إلى الظلم الفادح والاضطهاد المتواصل والاستفزاز الصارخ قد طال واستفحل . كما كان التدخل الاستعماري المباشر والسافر في الشؤون الداخلية للبلاد قد بلغ حدا لا يصح السكوت عليه أو القبول به . وفي مثل هذه الظروف ، عمد الانكليز إلى اتخاذ خطوات من شأنها استغلال الموقع السوقي العام للعراق ، واستخدام جيشه لصالحهم في الحرب العالمية الدائرة حينذاك . وقد اشتد الصراع بين الطرفين المتخاصمين ، ونعني بهما : الحركة القومية في العراق من جهة ، وتحالف الاستعمار البريطاني والرجعية العراقية الموالية له أو المرتبطة به من



جهة اخرى . وانعكس هذا الصراع جليا في المشكلات الثانوية العديدة التي ظهرت بين الطرفين ، وادى إلى حدوث نزاعات جانبية تطورت حتى اصبحت من الأسباب المباشرة للقيام بالانتفاضة موضوع البحث .

ومن أسباب هذه الانتفاضة أيضاً ، خضوع الوصي واعوانه من الساسة العراقيين للنفوذ البريطاني ، وارغامهم الحكومات العراقية المتعاقبة على وجوب مسايرة الانكليز ، والخضوع إلى توجيهاتهم في كل صغيرة وكبيرة من أمور العراق الداخلية والخارجية معا ، مع غض النظر عن المصالح الوطنية والقومية للعراق . ومن هنا ، عمل الانكليز على أن يكون الوصي الحاكم الفعلي للعراق ، وعهدوا إليه مهمة تحطيم العقداء الأربعة المسيطرين على الجيش على أساس انهم القوة الرئيسية والأساسية للحركة المعادية للانكليز . وقد ادى هذا الايحاء إلى توتر العلاقات بين العقداء والوصي ، فحرض الأخير طه الهاشمي رئيس الوزراء ، وزير الدفاع عليهم فأصدر أمراً بنقل العقيد كامل شبيب من بغداد إلى الديوانية في ٢٦ آذار ١٩٤١ كما اصدر أمراً ثانياً بنقل مقر العقيد صلاح الدين الصباغ من بغداد إلى ديالي . وقد اصر الوصي على تنفيذ القرار الأول على الرغم من الضغوط والوساطات ، الأمر الذي اعتبره العقداء الأربعة مقدمة لتشتيت شملهم باحالتهم على التقاعد وابعادهم عن الساحة السياسية .

اشتد الصراع السياسي الدائر في العراق يومئذ ، حتى وصل أعلى درجات الخطر بهروب الوصي إلى الحبانية ، وانتقاله منها إلى البصرة على متن طائرة حربية من سلاح الجو البريطاني ثم لجوئه إلى الدارعة البريطانية (كوك شبير) التي كانت راسية في شط العرب حيث حاول تشكيل حكومة مناوئة للعسكريين المسيطرين في بغداد وارسل عدة كتب إلى وزراء طه الهاشمي يستدعيهم إلى البصرة لتأليف الحكومة المنشودة . فلم يترك خيارا للقادة العسكريين القوميين الا بنزع ثقتهم منه والانقلاب عليه اضطرارا ولا سيما بعد حدوث فراغ دستوري ينذر بالخطر . فاستولوا على السلطة ،

واناطوا برشيد عالي مهمة تسيير دفة الأمور ، وتأليف « حكومة الدفاع الوطني » تحسبا للطوارىء . وكانت حدة هذا الصراع السياسي قد اشتدت بفعل امتناع بريطانيا عن تسليح الجيش العراقي بحجة عدم وجود فائض من السلاح لديها ، وعدم وجود تهديد له من أية دولة وانه (أي الجيش) لا يريد ان يتعاون مع بريطانيا في المجهود الحربي . ومما زاد الطين بلة أن بريطانيا ضغطت اقتصاديا على العراق ، فمنعته من تصريف حاصلاته من التمور والحبوب والقطن والجلود ، وامتنعت عن تزويده بحاجاته من العملات الصعبة التي تمكنه من تدارك مشترياته الضرورية من الاسواق العالمية بعد أن سدت الحرب في وجهه ابواب الأسواق الأوروبية التقليدية .

وقد وجدت المعارضة العسكرية ، وكذا الأوساط الوطنية ، في العراق أن في هذا الموقف البريطاني دليلاً واضحاً على النوايا البريطانية السيئة الهادفة إلى السيطرة على العراق ومنعه من تكوين جيش وطني قوي قادر على الدفاع عن حرية بلاده وكرامة شعبه .

ومما لا شك فيه ولا ريب . أن وجود مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني وكذا احرار العرب من سورية ولبنان وغيرهما في العراق قد ساهم في تأجيج نيران التطلعات القومية والمطالب الاستقلالية . كما أن المفتي لعب دورا بارزا في تشجيع العقداء الأربعة على مناوأة بريطانيا والتصدي لمخططاتها[1] . ولم يكن المفتي واثقا من امكان التغلب على بريطانيا فحسب، بل كان يميل إلى التعاون مع دول المحور كنتيجة حتمية للوضع القائم. والحقيقة أن الوضع النفسي السائد في العراق وفي المنطقة العربية يومئذ ، كان مواتيا للمفتي في الجهود التي بذلها ، لان اوسع الجماهير العربية في سورية ولبنان وفلسطين والعراق حتى مصر كانت تتميز بالعداء الشديد لبريطانيا وفرنسة منذ عقدهما معاهدة سايكس بيكو السرية في ١٦



(١) من حديث للاستاذ ناجي شوكة وزير الدفاع في وزارة الكيلاني الرابعة مع المؤلف بتاريخ ١٩٧٤/١/٢٧.

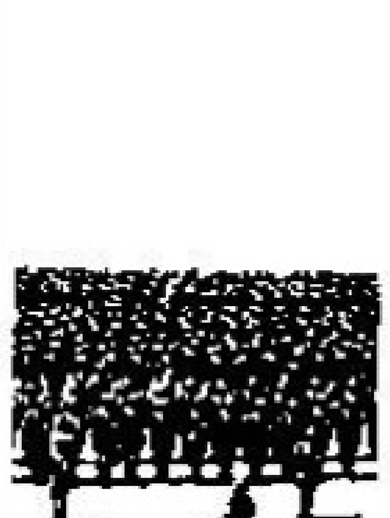
ايار من عام ١٩١٦ ثم صدور وعد بلفور المشؤوم في ٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ وماتلا ذلك من فرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين ، والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان في ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٠ ثم قيام الفرنسيين باحتلال سورية في تموز من عام ١٩٢٠ واخراجهم الملك فيصل من دمشق في حادثة ميسلون في ٢٤ تموز من تلك السنة . وتلا ذلك نشوب الثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني في العام نفسه وهي الثورة الوطنية التي كبدتهم خسائر جسيمة في الاموال وفي الانفس وعرفتهم أن في العراق شعبا لا ينام على ضيم .

ولم يكن العراق غير راض عن علاقاته ببريطانيا فحسب ، بل كان يشعر شعورا عميقا بالقلق السائد في البلاد العربية الأخرى الناجم عن الاحتلال الاجنبي والاستيطان الصهيوني . كانت مشكلة فلسطين المشكلة الكبرى بل العقبة الكأداء القائمة في وجه قيام علاقات طبيعية أو ودية بين العراق بوجه خاص والعرب بوجه عام من جهة ، وبريطانيا من جهة اخرى . وفي الواقع كان الرأي الرسمي والرأي الشعبي في العراق متفقين وواضحين تمام الوضوح في موقفهما الغاضب من الحيف الذي نزل بفلسطين عن طريق الانتداب البريطاني[٢] . فقد زعزع الانكليز ثقة

---

(٢) حتى ان سياسيا عراقيا معروفا بموالاته للانكليز، ونعني به المرحوم توفيق السويدي، كان قد وجد نفسه مضطرا الى معاتبتهم. بعد امتناعهم عن الموافقة على المطالب البسيطة التي قدمها في لقائه مع المستر ايدن في القاهرة قبيل وقوع الاصطدام المسلح. فقد نقل السير بازل نيوتن سفير بريطانيا في بغداد في تقريره المرفوع الى وزارة الخارجية البريطانية ان السويدي أعرب عن أسفه لأن الحكومة البريطانية لم تجد وسيلة لمساعدته في التغلب على المصاعب ولو بإصدار وعد بتسليح الجيش العراقي .

راجع : مذكرات توفيق السويدي (نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية). دار الكاتب العربي، بيروت سنة ١٩٦٩، ص ٣٣٦ - ٣٤٠، وبرقية السير بازل نيوتن إلى الخارجية البريطانية باللغة الانكليزية، وثائق وزارة الخارجية البريطانية، رقم ٣٧١/ ٢٧٠٦٢ سري، موجه الى المستر ايدن وزير الخارجية بتاريخ ١٩٤١/٣/٢٦ .



العرب في الدول الغربية في قضية فلسطين ، وصرفهم عن التعاون المخلص معها ، فضلاً عن انتشار اصداء الجرائم التي ارتكبها المستعمرون في البلاد العربية الأخرى .

كانت بريطانيا منذ بداية الحرب العالمية الثانية تبذل جهودا مضنية لحمل العراق على الدخول في تلك الحرب إلى جانبها . ولكنها لقيت مقاومة عنيدة من الاوساط الوطنية والقومية التي لم تكن راغبة في دخول هذه الحرب إلى جانب الاستعمار الغربي لأنه كان قد خان العرب في اعقاب الحرب العالمية الأولى ، وجزأ بلادهم إلى دويلات لا تقرها القربى الجغرافية ولا يرتضيها الواقع السليم . وفضلا عن ذلك فانه اضطهد احرارهم واغتصب حقوقهم والحق انواع الأذى بهم . فاعتقدت هذه الاوساط أن مصالح البلاد الوطنية والقومية تتطلب الوقوف على الحياد في تلك الحرب . وقد ثارت ثائرة بريطانيا على العراق بسبب تمسك الكيلاني بسياسة الحياد التي انتهجتها حكومته الائتلافية (٣١ آذار ١٩٤٠ ـ ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١) وامتناعه عن قطع العلاقات مع الحكومة الايطالية كما فعل نوري السعيد من قبل ، حيث قطع علاقات العراق بالمانيا نزولا على طلب الانكليز وضغطهم الشديد . فسارعت بريطانيا إلى التآمر مع الوصي لاسقاط (الوزارة الكيلانية) وكلف طه الهاشمي بتأليف الوزارة الجديدة عسى أن تقوم وزارته بتحقيق ما يبتغونه . ولكن الكيلاني لم يقف مكتوف اليدين تجاه هذه الأساليب ، فعمد بدوره إلى توثيق التعاون مع العقداء الأربعة للاطاحة بوزارة الهاشمي بعد أقل من شهرين واعادته إلى الحكم مجددا ليتم رسالته القومية . وقد لعبت محادثات ايدن ـ توفيق السويدي دورا كبيرا في تأزيم الموقف[٣] . وخشي رجال الجيش والحركة الوطنية ان يجرهم التنازل البسيط لبريطانيا إلى الوقوع في سلسلة من

---

(٣) اسماعيل احمد ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١ ، ص ٨٠ ـ ٨٤ .

التراجعات التي لا تتف ولا تنتهي عند حد(٤) . كما ساورهم قلق شديد من جراء محاولة اقحام العراق في الحرب إلى جانب بريطانيا التي كانوا يعتبرونها عدوة لهم وللعرب جميعاً ويعتقدون أنها كانت في الجانب الخاسر(٥) . وقد لعبت محطات الاذاعة الموجهة باللغة العربية من دول المحور « برلين ، وباري ، وصوت العروبة الحرة من اليونان ، بعد سقوطها بيد القوات الالمانية » دورا كبيرا لا يقل اهمية عن الأسباب الأخرى التي ادت إلى تأزّم الوضع وتصعيد الموقف . فألهبت مشاعر الجماهير العربية للثورة ضد الحلفاء ، واظهرت مساوئهم ودعت العرب إلى النهوض والانضمام إلى صفوف اصدقائهم الالمان ، وطرد الطغاة البريطانيين المستعمرين من الشرق الاوسط . وقد ادت الانتصارات المذهلة والسريعة المتتالية التي احرزتها دول المحور على الحلفاء في بداية الحرب ، وبالتالي تضعضع مركز بريطانيا ، إلى تشجيع قادة الجيش العراقي على تحدي الوصي الذي اراد أن يكون العراق للاستعمار البريطاني قلبا وقالبا . وتلك كانت من الأسباب الموضوعية والذاتية التي ادت إلى قيام انتفاضة ١٩٤١ التحررية .

---

(٤) صدام حسين، حديث في مجلس الاعلام بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢٨ . أفاد السيد الرئيس ما معناه ان القائد السياسي ينبغي أن يستخدم المرونة في العمل السياسي، ليس فقط بما لا يؤثر سلبا في الهدف المركزي، بل ايضا ايجابا بما يعززه ويساعد على الاقتراب من تحقيقه. ومن المصلحة والحكمة أن يقوم القائد السياسي بالتنفيذ المنظم والمخطط والمدروس للتراجعات في مراحل طبيعية معينة، استغلالا للفرص السانحة والظروف المتاحة للوصول الى الهدف عن طريق غير مباشر. أما التراجعات في المراحل الاستثنائية فإنها ستؤدي إلى مردود معكوس، وربما تعتبر دليلا على الضعف والارتباك، وقد تؤثر سلبا على الروح المعنوية، وبالاخص اذا افتقرت التراجعات الى الحدود الواضحة والمؤشرات الثابتة على الروح المعنوية، والضوابط الدقيقة، وإلا فإنها ستكون لصالح العدو الذي ينبغي ان نفترض انه سيستغلها الى أقصى وأبعد الحدود.

(٥) لوكاز هيرزويز، المانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٨٤ ـ ١٨٦ .



هل كانت الحركة نازية ؟

ويلاحظ ان الكتاب الغربيين والسوفيت قد انقسموا إلى مجموعتين في تدوينهم تاريخ الفترة المذكورة ، وموقفهم من « حكومة الدفاع الوطني » ، والاصطدام العراقي ـ البريطاني المسلح ، فالاوائل منهم قد اتخذوا موقفا بعيدا عن الموضوعية ، لقربهم من احداث الحرب وظروفها الرهيبة ، واتهموا « حكومة الدفاع الوطني » بالنازية ، وزعموا أن هدفها كان وضع العراق تحت تصرف المانيا الهتلرية(٦) . أما المتأخرون منهم فقد اتخذوا موقفا يتسم بدرجة من الموضوعية ، لأنه انصف التأريخ ، وقرر الواقع ، وأفاد أن « حكومة الدفاع الوطني » لم تكن نازية ، ولا ارادت للعراق أن يكون دولة دائرة في فلك المانيا الهتلرية ، ولكنها اضطرت إلى طلب العون الالماني لمواجهة العدوان البريطاني في نطاق المعادلات الدولية التي كانت قائمة حينذاك(٧) . ونحن اميل إلى الموقف الثاني . فبالاضافة

---

(٦) من الغربيين

الآن بولوك، الفوهرر، سلسلة كتب بنتام باللغة الانكليزية، نيويورك، سنة ١٩٦١، ص ٥٧٤ . وشبايسر، استاذ الدراسات السامية في جامعة بنسلفانيا، الولايات المتحدة والمشرق الادنى، طبعة كامبريدج باللغة الانكليزية، سنة ١٩٤٧، ص ٩٥، وكلير هولنغورث (مراسلة الشؤون الدفاعية حاليا بالجريدة اليومية اللندنية «الديلي تلغراف»)، العرب والغرب، باللغة الانكليزية، لندن، سنة ١٩٦٢، ص ٦٢ .

من السوفيت

راجع المصدر السوفيتي الرسمي باللغة الروسية المعنون (بلدان الشرقين الأدنى والاوسط)، موسكو، سنة ١٩٤٤، ص ١١٣ .

(٧) من الغربيين:

كاراكتاكوس، ثورة العراق في ١٤ تموز، ترجمة خيري حماد، منشورات المكتب العالمي للتأليف والترجمة، بيروت، بلا تاريخ، الصفحتان ٤٤ ـ ٥٥، وميشيل ايونيدس، فرق. . . تخسر: ثورة العرب ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨، تعريب خيري حماد ايضا، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦١، الصفحتان ٧٤ ـ ٧٥. راجع ايضا تصريح النائب البريطاني في مجلس العموم (مورغان فيليبس برايس)، بعد انفجار الموقف في العراق، كما نقله جورج كيرك في كتابه باللغة الانكليزية المعنون (الشرق الاوسط في الحرب العالمية الثانية)، مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، سنة ١٩٥٣، جـ (١)، ص ٧٨ .

إلى ما تقدم ، نزيد تأكيدنا أن حركة الكيلاني كانت حركة وطنية تحررية ، هدفها تحرير العراق من براثن الأسد البريطاني ، لا ليقع في مخالب النسر الالماني ، بل ليمارس سيادته واستقلاله الوطني كاملا غير منقوص(٨) .

ويحدد الكيلاني اهداف الحركة فيقول : « مع الأحداث والمؤامرات التي تعرضت لها الأمة تبلورت امام انظارنا جميعا الأهداف التي رسمناها لتكون شعارا لثورتنا . كما نريد تحرير بلادنا من الاستعمار البريطاني وتطهيرها من اذناب هذا الاستعمار ؛ كنا نريد بلادنا أن تسير بسياسة وطنية قومية عربية وان يقف العراق على الحياد في الصراع بين المعسكرين المتنازعين ، وكنا نريد تعزيز الجيش وتقويته وكنا نريد العمل بكل اخلاص وبسرعة على رفع مستوى الشعب ورفاهيته . كانت هذه الأهداف هي الأسس التي رسمناها منذ اللحظة الأولى . ولكني شخصيا كنت اسعى وراء هدف آخر . خشيت أن يتهمني اعداء البلاد بالدكتاتورية وقررت ان اعمل بسرعة على اعادة الحياة الدستورية إلى مجراها الطبيعي في البلاد »(٩) .

وقد اغرق بعض الكتاب والمؤرخين الغربيين في محاولات الدس والتشويه . فوصفوا المعارضة العسكرية والحركة الكيلانية والوطنية بصورة عامة بانها كانت مؤامرة دبرها النازيون الالمان ، ضد الديمقراطية ، وان

= ومن السوفيت :

ذكرنا، في سياق هذا الفصل، كما سيرى القارىء الكريم لاحقا، ما افاد به غريتشكو من جهة، وميرسكي من جهة أخرى، في هذا الصدد، ونضيف المصدرين التاليين الان الى ما تقدم :

أولا ـ اوهانسيان، الحركة التحررية في العراق ١٩١٧ ـ ١٩٥٨، باللغة الروسية، دار الطبع في يريفان التابعة لاكاديمية العلوم السوفيتية الارمنية، سنة ١٩٧٦، الصفحات ٢٧٦ ـ ٣٠٦ .

ثانيا ـ يونداريفسكي ، سياستان ازاء العالم العربي، دار التقدم، باللغة العربية، موسكو، سنة ١٩٧٥ ، الصفحات ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٨) يقول عزة دروزه، إن الحركة الكيلانية كانت «تهدف الى تحرير العراق وقيام وحدة عراقية ـ شامية على الاقل»، كتابه : الوحدة العربية، ص ٤٦٨ .

(٩) مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة آخر ساعة، العدد ١١٦٨، في ١٣/٣/١٩٥٧ .

غزو الالمان لليونان في أوائل نيسان عام ١٩٤١ وانزالهم للمظليين في جزيرة (كريت) كانا اشارتين مسبقتين «للمتآمرين» في بغداد للقيام بانتفاضاتهم . ولكن من المؤكد ، ان القائمين بالحركة كانوا قد فكروا بها قبل وقوع هذه الأحداث ، وكانوا في معزل عن هذه التطورات ، وعلى مستوى وطني قومي ، ولم يكن هناك أي اتفاق مسبق مع دول المحور على الاطلاق . وقد ثبت ما تقدم من الأحداث اللاحقة والتطورات المتأخرة .

ويبدو أن جذور هذا التفكير تعود إلى عام ١٩٣٧ حين التقى صلاح الدين الصباغ القائد العسكري للحركة ، والذي كان يشغل وقتذاك منصب مدير الفتوة في وزارة المعارف ، مع يونس السبعاوي ومحمد حسن سلمان وهما من جماعة الكيلاني . وراح هؤلاء يتدارسون في اجتماعاتهم السرية اماني العراق الوطنية ورسالته القومية . واتفقت كلمتهم على ان تحقيق هذه الاماني وتلك الرسالة رهن باستيلاء الوطنيين القوميين على السلطة في العراق[١٠] .

وأما ما قيل عن التنسيق بين القيادة الالمانية وقيادة الحركة القومية في العراق في التدابير السياسية والحربية المشتركة ، فانه مكذوب جملة وتفصيلا كذبا قاطعا . وحتى نشوب الحرب ، لم يكن هناك أي اتفاق بين الطرفين يتعلق بالمساعدات العسكرية ولا سيما الطائرات . فكانت المساعدات الالمانية والايطالية تصل إلى العراق بدون تخطيط مدروس أو علم سابق . وقد تم استدراك النقص في المساعدات العسكرية وذلك بالافادة من السلاح الفرنسي الذي وضعت لجنة الهدنة الالمانية الايطالية ـ الفرنسية يدها عليه في سورية بعد انهيار فرنسا وقيام حكومة فيشي . وقد برزت اخطاء جسيمة ادت إلى انعدام الفائدة من هذه المساعدات ، ومنها انعدام البنزين المخصص للطائرات وسوء الاتصال بين الطائرات والمراكز

(١٠) من حديث للاستاذ عبدالرزاق الحسني مع كاتب الاطروحة في بغداد بتاريخ ١٩٧٤/١/٢٣.

الأرضيـة(١١) . ويقـول سكـرتـير مفتي فلسـطين عثمـان كمـال حـداد :
« وصلت أول قاذفة إلى سماء بغداد وفيها الضابط الالماني « بلومبرغ » - ابن الجنرال الالماني الشهير فون بلومبـرغ - ولكن الرشـاشات العـراقية اصـابته وهو في الطائرة فاردته قتيلاً . . وهكذا ابتدأ التعاون العراقي الالمـاني بخطأ فاحش »(١٢) .

وإذا اردنا أن نتكلم عن ايديولوجية الحركة ، فنستطيع أن نقول أنها كانت ايديولوجية عربية وطنية قومية خالصة ، نابعة من ايمـان القائمـين بها ايمانا عميقـا بعروبتهم ودينهم ، ورفضهم لكـل الايديـولوجيـات والعقائـد الاجتماعية الاجنبية على اختلافها . وبهذا الصدد يقول الصباغ في مذكراته « أنا لا اؤمن بديمقراطية الانكليز ولا بنازيـة الالمان ولا ببلشفيـة الروس . أنا عربي مسلم لا ارضى دون ذلك بديلا من مزاعم وفلسفات »(١٣) .

وفي اعتقـادنا - كـما قلنا - أن فكـرة الاشتراكيـة لم تكن مستساغـة في العراق منذ منتصف الثلاثينيات تقريبا حين اتخذت « جماعة الاهالي » اتجاها اشتـراكيا معتـدلا يميل إلى النمـوذج الليبرالي الاوروبي . ولكنهـا تعـرضت للاتهام بالشيوعية من جانب حلقات عديدة وشرائح عريضة ودوائر واسعـة من ابناء الامة العربية .

وبشكل عام فإن الثورات التي قامت بها الجيوش الوطنيـة في المنطقـة العربية منذ ١٩٣٦ ، على الـرغم من وجود تـطلعات اجتمـاعية بسيـطة في برامجها ، إلا أنها لم تكن تملك الرؤ ية الواضحة والمنهجية الدقيقة .

ولم يتورع الكتاب والمؤ رخون الغربيون عن اطلاق تسمياتهم اعتباطا عـلى الوطنيـين في هذه الفتـرة من تأريـخ العراق المعـاصـر واعتبـارهم من



(١١) عثمـان كمال حـداد، حركـة رشيد عـالي لكيلاني، ص ١١٤، وطـالب مشتاق، اوراق ايامي، المصدر السابق، ص ٤١١ - ٤١٢ .
(١٢) عثمان كمال حداد، المصدر المذكور سابقا، ص ١١٤ .
(١٣) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ١٨ .

« المـوالين لـلالمان » . ونحن لا نتفق معهم في هـذه التسمية التي لا تعتمـد على الحقائق العلمية ولا على الوقائـع التأريخيـة ، إلا أننا نستـطيع وصفهم بالواثقين من استعداد المانيا ودورها الفعال في مسـاعدة العـرب في قضيتهم القـومية ودعم مقـاومتهم السياسيـة والعسكريـة ضد عـدوتيهما بـريـطانيـا وفرنسا(١٤) .

ويقول الدكتور انيس الصائغ في هذا الصدد « من الخطأ ومن الظلم أن نرمي بالخيانة كل من تعاون مـع الانكليز والالمـان أو مع غيـرهـم ، من رجـالات الحركـة الوطنيـة في الخمسين سنـة الاولى من هذا القـرن . فـإن بعضهم قد اعتقد ، ولعله كان مخلصا في اعتقاده ، بإن لا امـل بأن ينـالوا حقوقهم إلا في التعاون مع دولة من دول اوروبا الكبرى »(١٥) .

وللرد على من حاول تشويه هذه الحركة من الكتاب الغـربيين لا بـد لنـا من الاستشهاد بقسم من الكتـاب والمؤرخين في العـالم لـلاطـلاع عـلى تقييماتهم بهذا الصدد . فقد جاء في كتاب « تأريخ الحـرب العالميـة الثانيـة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ » الصـادر في موسكـو عن مجموعـة من المؤلفين بـرئـاسـة المـارشال غـريتشكو « جـرت في العراق انتفـاضة كبـرى تحت شعار تحـرير البلاد من السيطرة البـريطانيـة وقد كـانت بدايـة هذه الانتفـاضة انقـلاب عسكري جاء نتيجة لصراع طويل داخل المجموعة الحاكمة في العراق بـين مجموعة نوري السعيد الموالية لبريطانيا والمجموعـة المعارضـة التي يتزعمهـا رشيد عالي »(١٦) .

---

(١٤) راجع : نص المعاهـدة الالمانيـة ـ العراقيـة في سنة ١٩٤١ ، ونص الـوعد الالماني للعرب المضاد للوعد البريطاني لليهود في فلسطين ، اوراق طالب مشتاق ، وثيقتـان تاريخيتـان ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٩ ، السنة ٣ ، أيار ١٩٧٧ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(١٥) انيس صايغ ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(١٦) مجموعـة من المؤلفـين السـوفيت ، تـاريخ الحـرب العـالمية الثـانيـة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، ص ١٥٢ .



كـذلك يقـول بهذا الصـدد المؤرخ السوفيتي اوهـانسيـان « أن ثـورة ١٩٤١ في العـراق لا يجوز فصلهـا لاعن نطاق حـركـة الشعـوب العـربيـة المعادية للامبريالية . . . ولا عن الحركة التحررية الوطنية التي اندلعت بعد الحرب العالميـة الاولى . أما محـاولة دول المحـور الاستفادة من هـذه الثورة وهي في حالة حرب ضد بريطانيـا ، فلا تغير من حيث المبدأ من الصبغـة التحررية لحركة ١٩٤١ »(١٧) .

ويقول ميرسكي « من المغالطة والمبالغة في الـرأي أن يقال أن رشيـد عالي الكيلاني عمل بالتعاون الوثيق مع برلين »(١٨) . إن هذه الاقوال التي افاد بها واشار إليها المنصفـون من الكتاب والمؤرخـين السوفيت والغـربيين تعتبر ردا حاسما على مزاعم غير المنصفين من الكتاب والمؤرخـين السوفيت والغربيين وفي مقدمتهم السر ونستن تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا خلال سني الحرب . وتزعم تشرشل هذه الكتابات، ولا سيما في مذكراته ، تبريراً للعـدوان الذي شنته بريطانيا على العراق حينـذاك وكان رئيسـا للوزراء في تلك الفترة . أما الكتاب والمؤرخون والسياسيون العـرب فقد اجمعـوا على القول بأن الحرب البريطانية العراقية كانت في طبيعتها تحررية وليس للالمان فيها ايعاز أو يد(١٩) .

ويقـول نجيب الارمنازي « انفجـرت ثورة رشيـد عالي الكيـلاني في الـعــراق ، تلك الـثـورة التي ارادت أن تحـرر الـعــراق من الـسيــطرة



---

(١٧) ن . و. اوهانيسيان ، ترجمة مقال : الحرب البريطانيـة ـ العراقيـة ١٩٤١ وتقديـرها في علم التاريخ الغربي (مقال باللغة الروسية صادر في يريفان ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ١٩٦١) . لاحظ انه استخدم عبارة «الشعوب العربية» والصحيح «الشعب العربي» .

(١٨) ميرسكي ، العراق زمن الفتنـة ، من فصل (حـرب الثلاثـين يومـا) ، ص ١٥٦ ، باللغـة الروسية .

(١٩) لم يشذ عن هذا الاجماع من الكتاب والسياسيين العرب الا توفيق السويدي في مـذكراتـه ونوري السعيد في تصريحاته قبيل سقوط بغداد بيد الانكليز وبعد سقوطها مباشرة .

الاستعمارية »[٢٠] .

ويعتبر عبد الرزاق الحسني أيضاً « أن هذه الحركة كانت حربا للدفاع عن الاستقلال »[٢١] .

وفي ضوء هذا الاستعراض الوجيز لأراء البعض من الكتاب العرب والاجانب نستدل على أن المقولة الزاعمة بأن حركة ١٩٤١ التحررية كانت ذات صلة مباشرة ومسبقة مع دول المحور ما هي إلا مقولة لا تقوم على دليل ثابت أو سند قاطع من الوقائع المدونة أو الوثائق الرسمية أو المصادر المباشرة التي انكشفت كلها للباحثين بعد الحرب العالمية الثانية .

وعلى هذا ، يمكن الجزم بأن حركة ١٩٤١ كانت حركة تحررية استهدفت تحقيق استقلال العراق وحرية ووحدة الامة العربية بأسرها .

اسباب فشلها

نعود الآن إلى مناقشة الاسباب التي ادت إلى فشل هذه الحركة ، وإلى هزيمة العراق في الحرب البريطانية ـ العراقية . وهي في اعتقادنا كثيرة ومتنوعة ، منها اسباب موضوعية وذاتية . ومنها اسباب داخلية وخارجية . واهمها ما يلي :

اولا ـ كانت المعارضة العسكرية حتى بعد قيام انتفاضة اول



(٢٠) نجيب الارمنازي، محاضرة عن سورية من الاحتلال حتى الجلاء، القاهرة ١٩٥٤، ص ١٢٥ .

(٢١) الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، الجزء الأول، ص ٣٨، واسماعيل احمد ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٧٤، ص ١٢٢. وخيرالله طلفاح، العراق في ست سنوات، الجزء الأول، مطبعة العبايجي، بغداد، سنة ١٩٧٥، ص ١٩٨، وناجي شوكة، سيرة وذكريات، مطبعة دار الكتب في بيروت، سنة ١٩٧٥، الصفحتان، ٤٥٧ و٤٩٣. ومحمود الدرة، الحرب العراقية ـ البريطانية ١٩٤١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩، الصفحتان ٤١٣ ـ ٤١٤. وطالب مشتاق، اوراق ايامي، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٨، ص ٣٥١.

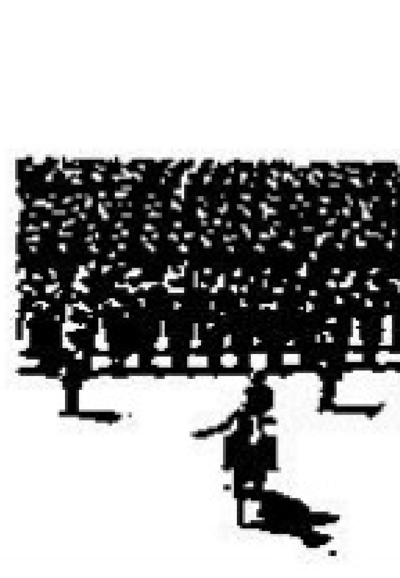
نيسان ١٩٤١ ، وخلال الحرب البريطانية ـ العراقية ، غير مؤمنة وغير مقتنعة بأهمية التنظيم الدقيق والدور الفاعل للحركة الجماهيرية المعادية للاستعمار . وكان الضباط القوميون وحلفاؤهم من كبار السياسيين العراقيين الوطنيين برئاسة رشيد عالي الكيلاني من أمثال ناجي شوكة وناجي السويدي ، يحاولون أن يحققوا اهدافهم عن طريق المناورات السياسية الفوقية والاستفادة من الصراعات بين المعسكرين الدولين المتحاربين انذاك . وقد تأيد ذلك يوم سافر الاول إلى تركيا لبحث الوساطة التي قدمتها الحكومة التركية لفض الخلاف بين بريطانيا والعراق ، ويوم سافر الثاني إلى المملكة العربية السعودية لحمل العاهل السعودي على بذل العون للعراق في صراعه مع الانكليز . وكانت نتيجة ذلك عدم استثمار قوة الجماهير الشعبية التي كانت مهيأة للعمل ضد الانكليز في كل وقت . وهذا ما لاحظناه في المظاهرات والاندفاعات الجماهيرية التي اعلنت عداءها الشديد للانكليز واستعدادها المطلق للمشاركة في القتال الدائر بين الحق العربي والظلم السكسوني .

وفي الوقت الذي قام سكان بغداد وسكان المدن الاخرى وكذا سكان القرى والارياف بمظاهرات وطنية مطالبين باشراكهم في الحرب التحررية ، كان زعماء الحركة يدعونهم للخلود إلى الهدوء والسكينة . ولعل السبب في ذلك يعود إلى قناعة هؤلاء الزعماء بأن تدخل الجماهير سيؤدي إلى افلات الزمام من ايديهم وخروج الحركة عن حدود وضوابط التصورات المرتسمة في اذهانهم . يضاف إلى ذلك أن رئيس الحركة والانتفاضة رشيد عالي الكيلاني الذي خضع لقيادته السياسية زعماء الحركة العسكريون لم يكن يؤمن بالحسم العسكري ، بل اراد من الجيش أن يحرز بعض الانتصارات التي قد تساعده على تحقيق الحل السياسي الذي كان قد توخاه في معالجة الموقف . وكان الكيلاني يخشى أن يؤدي توسع نطاق الحرب إلى احتلال العسكريين المواقع المؤثرة في الوضع السياسي . كما كان من الجهة



الاخرى ، يرى وجوب اضفاء الصيغة الدستورية على حكومته . وهذا دليل اخر على عدم ايمانه بالحسم العسكري للخلاف مع الانكليز وخشيته من احتمال بروز قائد سياسي منافس له من بين صفوف العسكريين. كذلك يعود السبب في ذلك إلى تشبعه بالافكار الليبرالية وكونه من رجال القضاء واساتذة القانون . فلا نستغرب إذن أن يختار النضال الكلاسيكي دون أن ينطوي موقفه على أي تعارض بين اشكال النضال ونصوص القانون . ومن الواضح ، أن قادة الحركة انفسهم لم يكونوا متفقين على ضرورة القيام بالحرب ، وأن الارتباك قد سيطر على نظرتهم للموقف السياسي . فيقول عثمان كمال ـ مثلا ـ في كتابه حركة رشيد عالي الكيلاني أن خلافا نشب بين الكيلاني وقادة الجيش حول احتلال الحبانية . ففي اجتماع مجلس الدفاع الاعلى قال العقيد فهمي سعيد : إذا لم نحتل الحبانية خلال **٢٤** ساعة ، فسيتعذر علينا احتلالها بعد ذلك . . . ولكن الكيلاني رفض طلب الموقف العسكري وتفضيله على الموقف السياسي . فخضع الجيش لموقف الكيلاني[٢٢] .

ومن الثابت الآن ، إن الاسباب الاساسية التي ادت إلى انهيار الحركة وفشلها ، ومن ثم إلى تعرضها إلى الهزيمة ، إنما تعود إلى : التنازل عن زمام المبادأة للعدوّ ، واتخاذ موقف الدفاع مسبقا ، وفقدان الوحدة بين القيادتين ، السياسية والعسكرية ، وغياب التصور الاستراتيجي الواضح والدقيق والكامل للوضع في المنطقة والعالم حينذاك ، وما انطوت عليه المعادلات الدولية التي كانت قائمة في حينه من احتمالات وبدائل (احتمال قيام المانيا بهجوم مباغت على روسيا كما كان متوقعا وهو ما حدث فعلا) فضلا عن الغموض في اذهان قادة الحركة الذي احاط ببعض المسائل الاساسية المتعلقة بتعبئة الجبهة الداخلية على مستوى ادارة الصراع



---

(٢٢) عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني، ص ١١٠ .

مع العدو البريطاني (مثل الايديولوجية الثورية الواضحة وما يترتب عليها ويشتق منها على الصعيدين السوقي والتعبوي ، والقاعدة الجماهيرية العريضة القابلة للتحرّك حركة مركزية وموجهة هادفة بما يخدم الجهد العسكري ويعزز الاستقلال الوطني).

ومن الواضح أن هذه العوامل كانت نتائج نجمت عن اسباب ، فينبغي الآن أن ندرسها دراسة وجيزة بقدر ما تساعدنا على فهم الصورة التي رسمناها . وفي رأينا أن من المفيد أن نبحث في الطبيعة الطبقية والتركيبة الاجتماعية للفئة التي تصدرت النضال في فترة ما بين الحربين العالميتين . ويغلب على ظننا أن التحليل الطبقي والتفسير الاجتماعي قد يلعبان دورا مهما في فهم جملة من الاسباب الحقيقية للظاهرات والمواقف السلبية المذكورة في اعلاه ، وربما سلطا الضوء على احد العوامل التي ادت بالواقع الذي وصفناه إلى أن يكون كما كان . ونحن لم نهمل العامل الطبقي ولا الدور الاجتماعي في تحليلنا للواقع التأريخي . بل ربطنا ربطا متكاملا شاملا بين العوامل الموضوعية والذاتية فأخذنا بنظر الاعتبار ، اضافة إلى ما تقدم ، ظاهرة التخلف وظاهرة مقاومة الاستعمار وظاهرة محاربة التجزئة . فوضعنا العامل القومي إلى جانب العامل الاجتماعي في منظور جدلي واحد . وقد اولينا العامل القومي من الاهمية ما يفوق بكثير ما أولينا العامل الاجتماعي ملتزمين في جميع الاحوال باستقراء الواقع واستنطاق التأريخ في ضوء المنهجية العلمية والمصلحة القومية والحقيقة الثورية معا . ومن هنا ، لاحظنا ظاهرة اخرى معينة ومهمة ، هي ظاهرة الفراغ التنظيمي والغموض الايديولوجي وغياب الحزب الجماهيري القائد القادر على تنظيم الجماهير وتوجيهها وتعبئتها وقيادتها إلى النصر .



ولكننا لم نضع نبرة التأكيد القاطع على العامل المذكور كما لو أنه العامل الاساس الوحيد . لأن البرجوازية في تلك الفترة لم تكن بعد قد اشتد ساعدها أو تصلب عودها ، بل كانت هشة مائعة لم تدخل حلبة

الصراع السياسي ولم تجرب العمل الجماهيري . وفي ضوء ما تقدم ، يمكن أن نحدد الخصائص المشتركة للنضال الذي قادته البرجوازية ضد الاستعمار في تلك الفترة كما يلي :

اعتمدت تلك البرجوازية على اسلوب الجبهة الوطنية والحكومة الائتلافية ، ليس بالصيغة المعروفة حاليا ، وهي صيغة المواثيق والبرامج والاتفاقات بين اطراف سياسية ، بل بالصيغة الشائعة حينذاك وهي صيغة الصفقات الشخصية والمقايضات الفوقية . واتسمت بميلها الدائم إلى المهادنة والمساومة ومحاولة تجنب المواقف الحدية والقرارات الحاسمة ؛ وامتازت بضعفها الاقتصادي الذي انعكس على ضعف وعيها السياسي ، ونضجها الطبقي ، وافتقارها إلى درجة مناسبة من الخبرة التنظيمية والقدرة الثورية . وقد اصبحت تلك الصيغة الجبهوية التي وصفناها ، خطوة ضرورية للبرجوازية المذكورة في تلك الفترة . وتعود ضرورتها للبرجوازية إلى اسباب عديدة اهمها : أن معالم الاقتصاد الرأسمالي لم تكن قد ظهرت متكاملة في العراق حينذاك . ومع أن اقتصاد السوق قد بدأ يظهر إلى الوجود تدريجيا ، فإن التناقض بين تلك البرجوازية والجماهير المحلية يحدد دائما بدرجة نمو تلك البرجوازية ومدى احتياجها إلى السوق العالمي . ولكن خصوصية الظروف التي احاطت بنمو البرجوازية العراقية وخضوع السوق العراقي للسوق العالمي ، قد ادّيا إلى امتناعها عن الدخول في تناقض أو صراع مع الاستعمار ، إلا وهي مرغمة بفعل ظروف خارجة عن ارادتها ، ولفترة حرصت أن لا تدعها تطول إذا استطاعت . ومن هنا ، وفي فترات قصيرة من اضطرارها إلى خوض الصراع وقبول التناقض ، كانت تجد نفسها ملزمة بالفعل على التحالف مع طبقات اخرى معادية للاستعمار . إلا أن دخول الجماهير الشعبية إلى الحلبة السياسية كان ينقل الصراع ضد الاستعمار من مستوى تقليدي إلى مستوى ثوري قد يهدد البرجوازية في قدرتها على الاستمرار في قيادة الوضع ، ويتجاوز الحدود التي رسمتها

للمحافظة على مصالحها . ومن هنا ، كان وعيها المحدود ونموها الضعيف يدفعانها باستمرار إلى ممارسة لعبة ابتزاز صغيرة مع القوى الاستعمارية . ولكن النشاط المتعاظم والتدخل المتزايد للجماهير الشعبية كانا يهددان دائما بتحويل هذه اللعبة الصغيرة إلى معركة حقيقية ومواجهة حاسمة . تلك هي إذن الخلفية التأريخية والحقيقة الواقعة التي تأتي جوابا عن استغراب الباحثين في حركة ١٩٤١ في العراق من السبب في عدم الاستفادة من الجماهير في المعركة ضد الانكليز بشكل واسع ومنظم ، أي على العكس تماما مما حدث في ثورة ١٩٢٠ . وتلك هي الواقعة التي كانت البرجوازية تخافها وتخشاها ، لأنها كانت ترى في ضغوط الجماهير ما قد يدفع بالقوى الاستعمارية إلى درجة من الشراسة تفوق القدرة البرجوازية على الوصول إلى حل مناسب ومقبول ، أو تعصف بمكاسبها المحدودة . ثم أن هذه الجماهير كانت مطالبة ـ من منظور مصالح البرجوازية واهدافها ـ بأن لا تعمل لحسابها الخاص بل كانت هي الاخرى بمثابة عدو منتظر أو متوقع في المنظور المذكور . وفي بعض الاحيان بدت عدوا رئيسا خطره محقق فيما اعتبرت خطر الاستعمار ممكنا أو يمكن احتماله . ويكشف الرصد الدقيق للمرحلة المبكرة الاولى التي قادتها البرجوازية من الثورة التحررية ـ ولا سيما عند مقارنتها بنظيراتها الاوروبيات ـ عن غبن كبير لحق بالطبقات الشعبية في المجتمع العربي العراقي . فقد استفادت الطبقات الشعبية الاوروربية من فترة المد الليبرالي التي تسمح بها البرجوازية في فترة صعودها . فحققت العديد من المكاسب واستفادت منها في تنظيم نفسها واكتشاف فكرها ثم الانفصال في المراحل اللاحقة عن البرجوازية بتنظيماتها المستقلة التي تدافع عن مصالحها الطبقية المتميزة . ومن هنا ظهرت النقابات والجمعيات والاحزاب السياسية المعبرة عن مصالح الطبقات الشعبية ، وتبلورت قيم معينة ، وتطورت تقاليد معروفة مثل (الفردية ، الاقتصاد الحر ، الحياة البرلمانية ، تعدد الاحزاب ، حق الاضراب ، حرية الفكر الخ . . .) . وعلى العكس من ذلك ، فإن البرجوازية العربية بوجه عام والبرجوازية



العراقية بوجه خاص كانت حريصة دائما على استثمار عطاء الجماهير لتبتز الاستعمار . وبمجرد أن يلوح لها بمكاسب ضئيلة سرعان ما تطرد هذه الجماهير من الحلبة وتضعها في قفص الظروف المسجونة والمقيدة لكي تحمي مكاسبها الحقيقية وتصون حلفاءها الجدد . وكانت الجماهير الشعبية في هذه الفترة التي نحن بصددها ، هي الاداة الرئيسية للثورة المعادية للاستعمار وقوتها الضاربة . وتحملت في هذا الصدد آلاما فادحة واعطت تضحيات بغير حدود ، ولكنها لم تأخذ من الحقوق إلا ما سمحت به موازين القوى الاجتماعية . كما لم تحقق من المكاسب إلا ما يتناسب مع افتقادها المرحلي للوعي والتنظيم . وهذا الوصف الاجتماعي للبرجوازية العراقية يؤكد لنا أن اسلوب الجبهة الوطنية بقيادة البرجوازية كان اسلوبا رئيسا من اساليب مواجهتها للاستعمار . وبالطبع فإن قيادة هذا التحالف كانت تنمو تدريجيا من شرائح تجارية وحرفية في المراحل المبكرة من ظهور القوى الوطنية ، إلى شرائح اكثر تقدما في المراحل المتأخرة من ظهور تلك القوى . وفي الوقت نفسه ، فإن التحالف الشعبي كان يتطور تدريجيا من تجمع ضم الفلاحين وحرفيي المدن في البداية ، إلى تجمع اوسع يضم العمال والفلاحين والشرائح الصغرى من الطبقة الوسطى ثم الطبقة العاملة الصناعية الناشئة . ولكن هذا النمو لم ينف استمرار البرجوازية في حرصها على تطوير حركة الجماهير الشعبية في اطار امكاناتها المحدودة ، ولخدمة اهدافها في الانفراد بالسلطة ، أو تقليص مشاركة الاستعمار إلى ادنى حد ممكن دون الاتجاه إلى الغاء دوره كليا .

ومن الملاحظ أن البرجوازية منذ بواكير نشاطها في المجال السياسي ، اخذت تحاول الاستفادة من التناقضات بين الدول الاستعمارية ، واستغلال تلك اللعبة السياسية باعتبارها اسلوبا ثابتا من اساليب نضالها . وكانت تعتقد واهمة أن الخلاف الدولي بين نظامين كبيرين يمثل تناقضا رئيسا دائما لا يتغير ولا يزول . ومن هنا ، ثبت أن



هـدفها الاستـراتيجي كان التسـاوم المستمر والضغط عـلى احـد الاقـطاب الاستعمارية بالقطب الاخر ، املا في الحصول على افضـل مكان كشـريك صغـير على المائدة الاستعمـاريه . وإذا كـانت الاستفـادة من التنـاقضـات الثانوية داخل جبهـة الاعداء يمكن أن تكـون جزءا من القـوى الاحتياطيـة للثورة في المنظور الثوري ، فإن التعامل مع هذه التنـاقضات ـ مـع تجاهـل طبيعتها ودرجتها ـ باعتبارها هدفـا رئيسا ، لا يمكن إلا أن يعكس الـطبيعة التساومية للبرجوازية وسعيها الدائم للتحالف مع الاستعمار بأفضل شروط ممكنة . ولكن اعتمادها على هذه التناقضات الثانوية والجزئية والمرحلية كان يؤدي بدوره إلى نشوب اضطرابات داخلية .

ونـلاحظ هنا أن الـدور الذي لعبـه قادة الحـركة منـذ تسلمهـم زمام السلطة ، إلى حين اضطرارهم إلى التخلي عنها قد اتصف بطابـع الغموض والتردد . وهكذا نـراهم تارة يعـربون عـلى استعدادهم للمقـاومة ، وتـارة اخـرى عن ميلهم إلى المفاوضـة ، ويعلنـون يـومـا عن تمسكهم بـالحقـوق الـوطنية ، ثم يعـودون في يوم اخـر إلى التأكيـد عـلى رغبتهم في المسـاومـة وحرصهم على التفاوض مجددا . وقـد استفحل هـذا الوضـع الشاذ ، حتى انعكست تلك المـواقف الحائـرة المتذبـذبة للقيـادة السيـاسيـة عـلى الخـطط والقرارات التي اتخذتها القيادة العسكرية[٢٣] .

---

(٢٣) مقابلة شخصية مع وزير الدفاع في «حكومة الدفاع الوطني» في بغداد السيد ناجي شـوكة بتاريخ آذار ١٩٧٤ . يقول السيد ناجي شوكة : «ان الوضع في كثير من الاحيان كان مربكا وكان كما يلي : يدخل القائد العسكري الشهيـد العقيد صلاح الدين الصبـاغ ، في يوم من الأيام الاخيرة التي سبقت الاصطدام المسلح بين ايـران وبريـطانيا ، عـلى رئيس حكومـة الدفاع الوطني المرحوم رشيد عالي الكيلاني بمقره في مجلس الوزراء ، فيحدثه رئيس الحكومة عن وجـوب المقاومـة وضرورة الصمـود واهميـة الاستعـداد للمعـركـة . ثم يخـرج القـائـد العسكـري فيمر بـوزير الـدفاع ويخبره بتلك التوجيهات . وبعد عده ايـام يقـوم القـائـد العسكـري نفسه بـزيارة اخـرى الى رئيس الحكومـة ، فيحدثه رئيس الحكومـة عن فضيلة الاعتدال وحكمة الواقعية وضرورة المرونـة وفائـدة المفاوضـة ، ثم يخرج القـائد العسكـري فيمر بوزير الدفاع ويخبره بالتوجيهات الجديدة المتناقضة مع التوجيهات السابقة التي سمعها =

كما أن سياسة القفزات الفجائية غير المدروسة التي مارستها قيادة الحركة في مغازلة القوى الدولية المتصارعة ، بالتعامل مع المحور تارة ، ومع السوفيت تارة اخرى ، نكاية بالانكليز ، قد اكدت الطبيعة الحائرة والغامضة والمترددة والمرتجلة للقيادة المذكورة حينذاك .

وبما أن الاغلبية من الرجال الذين تصدروا الحركة الوطنية في العراق هم من رجال الدين والتجار والاقطاعيين وابناء الطبقات المتوسطة من المثقفين الذين لا يؤمن معظمهم بتطور المعركة ضد الاستعمار إلى الحد الذي تحقق فيه الحركة الجماهيرية مطالبها ، فإنهم كانوا يهادنون الاستعمار عندما يرون مصالحهم اصبحت مهددة ، ومن ثم فأنهم يبدأون بطلب الاستقرار لكي يحصلوا على مطامحهم . ويقول وحيد صبحي « أن التجار والصناع (واضحون غالبا) في عالميتهم . فرأس المال عادة لا وطن له يتلمس غايته في كل مكان وهو إلى هذا ماكر ومحب للاستقرار لا يقدم على الثورة وقلب الاوضاع وانشاء التنظيم الجديد إلا إذا ضاقت به ظروفه ضيقا شديدا »[٢٤] .

وختاما ينبغي أن نقول أن تقييمنا للحركة وقادتها كما سبق أن فصّلنا ، لا يعني أننا ننكر عليهم الدور الخالد الذي لعبوه والموقف المشرف الرائع الذي اتخذوه[٢٥] . وحتى فشلهم في قيادة الجماهير الشعبية ، فإنه



= من رئيس الحكومة. وقد ادت هذه الحيرة في التوجيه السياسي الى تشتت في رأي الصف العسكري ما بين قائل بالمقاومة وقائل بالمفاوضة» .

(٢٤) وحيد صبحي، في أصل المسألة المصرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٥٣ .

(٢٥) صدام حسين، الثورة والتربية الوطنية، دار الحرية، بغداد، سنة ١٩٧٧ ، الصفحتان ٣٧ و٣٨. « . . . لا بد لنا، عندما نتحدث عن حركة مايس عام ١٩٤١، ان نبرز ابطالها، لا من اجل انصاف التاريخ في اشخاصهم فحسب، وإنما من اجل اشخاص الحاضر ايضا . . . من أجل ابطال الحاضر غير المرئيين، الذين نريدهم أن يستبسلوا، في الجولان وفي سيناء، وفي الضفة الغربية، وفي الدفاع عن كل شبر من ارض القطر والوطن العربي . . من أجل هؤلاء جميعا . . يجب ان لا ننسى الابطال والشهداء الذين كان هم =

يعود إلى الظروف الدقيقة التي احاطت بهم ذاتيا وموضوعيا ، دون أن ننفي الدور العظيم الذي لعبته تلك الطبقة التي وصفناها بالبرجوازية مجازا في انضاج الشروط المؤدية إلى ظهور الحركة الثورية . ومن هنا ، وفي نطاق خصوصيات واقعنا ، لنا رأي فيما قاله (لينين) في وصفه للبرجوازية الاوروبية أنها « طبقة تقدمية في مرحلة نشوئها لأنها استطاعت من جهة أن تحطم علاقات المجتمع الاقطاعي لتحل محلها علاقات اكثر تقدمية كما أنها استطاعت من جهة اخرى ومن خلال النهضة الصناعية أن ترسي قواعد انطلاقه الطبقة العمالية فبذرت بذلك بذور المجتمع الاشتراكي »(٢٦) ، إذ نعتقد أن الشق الاول من هذه المقولة أقرب إلى تصوير واقعنا من الشق الثاني . أي أن البرجوازية العراقية قد امتلكت طبيعة تجارية (كومبرادورية)، وخضعت خضوعا مطلقا للسوق العالمي والرأسمال الاجنبي ولكنها لم تقم باسقاط النظام الاقطاعي ، ولم تقم ببناء الاقتصاد الصناعي . بل انها لم تحقق ثورة بالمعنى الاجتماعي والاقتصادي الذي حققته البرجوازية الاوروبية الغربية في مرحلة تاريخية معينة سابقة ، هي التي وصفها (لينين) في مقولته المذكورة في اعلاه .

ثانيا ـ لم يكن لدى القائمين بالحركة والانتفاضة نفسها تصور واقعي

= شرف الاستشهاد، دفاعا عن الوطن. حركة مايس لم تلق الاهتمام الكافي السابق، وينظر اليها احيانا نظرة فيها كثير من التجني. . . عندما يسقط بعض الناس، من تحليلهم لتلك الحركة، تعقيدات الظروف وطبيعة المرحلة آنذاك ولو أن أولئك الناس قد تفحصوا ظروف الثوار بشكل دقيق، وعرفوا ان بعض السياسيين في بلدان العالم الثالث، ومنهم سياسيون في الوطن العربي، لا زالوا يرتجفون أو ينحنون «باحترام» خاص، حتى الان، عندما يذكر الانكليز والاستعمار الانكليزي، لأدركوا بطولة اولئك الناس الذين ثاروا على الانكليز سنة ١٩٤١. ان من يتصور الظروف التي حدثت فيها الثورة، تصوروا دقيقا، يدرك ويتصور عندها، عظمة وقوة الارادة التي ثارت على الانكليز وحلفاءهم واعوانهم آنذاك».

حقا إن هذه المقولة تقدم دليلا بارزا على المعنى الثوري الذي يتضمنه قيام قوى الانتفاضة بمواجهة قوى الاستعمار في تلك الظروف الصعبة.

(٢٦) ف. أ. لينين، المحتوى الاقتصادي للشعبية وانتقاده في كتاب السيد ستروفه، ص ٤٢١، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، باللغة الروسية.

حـول الوضـع الدولي . وكـانوا يعتقـدون أنهم يستـطيعـون الاستفـادة من الصـراع بين المعسكـرين المتحاربـين . ولكنهم لم يفهمـوا اغـراض المـانيـا الهتلرية الحقيقية . وعلقوا الآمال على مساعداتها في تحرير البلاد العربيـة . ويبدو من الوقائع التاريخية أن المانيا الهتلرية وكذا بقية دول المحور استغلت حركة التحرر الوطني العربية باعتبارهـا مسرحـا ثانـويا وسـلاحا اضـافيا في مجهودها الحربي ضد الحلفاء . وقد ظهر ذلك واضحا في موقفهـا المتردد من النزاع المسلح بين الجيش العراقي الناشيء والقوات البريـطانية المعتـدية ، ولا سيما في ضوء الاستراتيجية الالمانية التي كـانت قد اتخـذت قرارا حـاسما بالهجوم على الاتحاد السوفيتي .

وقـد ظهر جليـا افتقار حكـومة الـدفاع الـوطني إلى الفهم السياسي للوضع الدولي انذاك ، وهو الوضع الذي اوقعها في مشاكل عـديدة نتيجـة للسطحية التي سيـطرت على تقـديراتهـا للامـور ، اعتقادا منهـا أن الانزال المظلي الالماني في جزيرة كـريت يدل عـلى تصميم الرايـخ على الـوصول إلى منطقة الشرق الاوسط(٢٧) .

هذا مع العلم أن استـراتيجية هتلر كـانت تختلف اختلافـا تامـا عن مثـل هذا التصـور ، لأنه لم يكن ينـوي الوصـول إلى الشـرق الاوسط عن طريق كريت وشمال افريقيـا ، وإنما كـان يخطط للوصـول إليه عن طـريق القفقاس بعد نجاح الحملة المقررة ضد الاتحاد السوفيتي ، تلك الحملة التي كان يعد لها منذ فترة طويلة وبالتحديد منذ عقد معاهدة عدم الاعتداء التي

---

(٢٧) للاطلاع على مزيد من المعلومات الخاصة بالموقف الالماني، راجع: الان كـلارك، سقوط كريت، باللغة الانكليزية، سلسلة كتب (٤) مربعات، لندن، سنة ١٩٦٤، الصفحتان ٩ و١٠، للتدليل على افتقار الالمان خطة واحدة وثابتة ومقررة في هذا الصدد. وللاطلاع على المزيد من المعلومات عن الموقف البريطاني، راجع: ونستون تشرشل، مـذكرات تشـرشل، تعـريب خيري حمـاد، مطابـع لبنـان، بيـروت سنـة ١٩٦١، الفصـل المعـون (كـريت)، الصفحتان ٤٤٩ و٥٠٨. ولا سيما الصفحة ٥٠٨ للتعرف على اثر الانتصار الالماني البـاهظ التكاليف على الموقف العسكري الالماني المباشر في الشرق الاوسط.



تم التوقيع عليها بين السوفيت والالمان في ٣ اب ١٩٣٩ . أما نشاطات المحور في كريت وفي شمال افريقيا فلم تكن إلا ستارا من الدخان يخفي وراءه نوايا المحور الحقيقية لغزو الاتحاد السوفيتي(٢٨) .

ويوم اعلنت الثورة في العراق في ٢ مايس ١٩٤١ كانت المانيا مشغولة باستعداداتها لغزو الاتحاد السوفيتي ، مما صرفها عن الاهتمام الجاد بمنطقة الشرق الاوسط ، ومنعها من مد العراق بالمساعدات الكافية ، على الرغم من الوضع الحربي السيء الذي كانت تعانيه بريطانيا حينذاك في البلقان وفي شمال افريقيا(٢٩) . ويقول ميرسكي (أما السبب الرئيسي فهو أن جميع احلام وآمال هتلر كانت مشغولة بالهجوم المقبل على الاتحاد السوفيتي)(٣٠) .

ويبدو أن هتلر كان قد قرر أن لا يحرك ذراع الكماشة من جهة الشرق الاوسط إلا بعد نجاح حملة (بربروسا) وامتداد ذراع الكماشة من جهة القفقاس . وحينذاك يستكمل الطوق وتصبح تركيا خاضعة للامر الواقع . فيتم بعد ذلك تحريك(٣١) القوات المحورية عن طريق الشرق الاوسط والقفقاس وايران والعراق والمحيط الهندي ويتحقق الالتقاء بالجيش الياباني . تلك هي خلاصة الخطة التي رسمها هتلر للتقدم نحو منطقة الشرق(٣٢) . ويثبت هذا المخطط من منطوق الامر اليومي رقم ٣٠

---

(٢٨) الان كلارك، سقوط كريت، المصدر السابق، ص ٥٢ . جورج كيرك، الشرق الاوسط في الحرب العالمية الثانية، المصدر المذكور سابقا، ص ٨ .

(٢٩) طه الهاشمي، مذكرات، ص ٤٦٤ .

(٣٠) ميرسكي، العراق في زمن الفتنة، ص ١٦٣ .

(٣١) لوكاز هير زويز، المانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ .

(٣٢) ابراهيم الراوي، ذكريات، ص ٢٥١ . والان كلارك، سقوط كريت، المصدر المذكور سابقا، الصفحات ١٠ ـ ١١، ٤٨ ـ ٥١ ـ ٥٢ . وجون تولاند، ادولف هتلر، سلسلة كتب بالانستاين باللغة الانكليزية، نيويورك، سنة ١٩٧٦ ، الصفحات ٨٥٦، ٩٠٢، ٩١٤، والان بو[illegible] ، هتلر، المصدر المذكور سابقا، الصفحات ٥٣٧، وما بعدها ٦١٠ ـ ٦١١ . وجواكيم فيست، هتلر، سلسلة كتب بنغوين باللغة الانكليزية، بريطانيا، سنة =

الصادر من مقر هتلر في ١٩٤١/٥/٢٣ كما يلي نصا :

« تعتبر الحركة التحررية في الشرق الاوسط حليفنا الطبيعي في نضالنا ضد بريطانيا ، وفي هذا المجال تكتسب الثورة في العراق اهمية خاصة وستتجاوز هذه حدود العراق وستعزز القوى المعادية لبريطانيا في بلدان الشرق الاوسط وستقطع المواصلات البريطانية وستحول السفن البريطانية عن مناطق الحرب الاخرى »(٣٣) .

وفي ضوء هذه الاسباب اتخذ هتلر قرارا متأخرا بالمساهمة في تطوير العمليات في الشرق الاوسط عن طريق دعم العراق . أما امكانية تنظيم الهجوم فيما بعد على قناة السويس ، وطرد الانكليز نهائيا من مراكزهم ما بين البحر المتوسط والخليج العربي ، فلا يجوز أن يصبح موضوعا للبحث والتنفيذ إلا بعد تحقيق خطة (بربروسيا)(٣٤) . ومن هنا تردد الالمان في الضغط العسكري على تركيا التي رفضت الموافقة على تمرير المساعدات إلى العراق عن طريق السكة الحديد ، على الرغم من الجهد الدبلوماسي الفاشل الذي بذله الالمان في هذا الصدد . ولكنهم وفقوا بعد ذلك بعض التوفيق فقد مرت الشاحنات عبر الاراضي التركية وهي تحمل علامات على أنها بضائع تجارية متجهة إلى ايران والافغان وليس للعراق ، إلا أنها وصلت بعد فوات الاوان(٣٥) .

= ١٩٧٧، ص ٩٥٧. والدكتور الياس فرح، الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية، باللغة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة ١٩٧٥، ص ٣٠.

(٣٣) لوكاز هيرزويز، المصدر السابق، الصفحتان ٢٢١ و٢٢٢.

(٣٤) ميرسكي، العراق في زمن الفتنة، ص ١٧١.

(٣٥) وطالما نحن بصدد الحديث عن المحاولات المحورية لمساعدة العراق بالاسلحة، افادنا الاستاذ المؤرخ العراقي عبدالرزاق الحسني خطيا بتاريخ ١٩٧٩/٥/١٥ في بغداد ما يلي: «كان السيد الكيلاني قد اوفدني الى سورية ولبنان في يوم اول مايس ١٩٤١ في مهمة استنهاض الهمم وبث الدعاية اللازمة فلما حصل الاصطدام في الثاني من أيار، تبدل الوضع فاتصلت والسيد تحسين قدري قنصل العراق العام في بيروت بلجنة الهدنة الايطالية الالمانية، وتم شحن العتاد والسلاح الى العراق عبر الاراضي التركية. وقد وصلت =



ومن الواضح أن التصور الاستراتيجي الالماني كان عاجزا عن التقدير الصحيح للموقف والاختيار المناسب للهدف المركزي للجهد العسكري . وقد ادى هذا القصور إلى حرمانهم من فرصة كبيرة ربما كانت ستغير مجرى الحرب ، كما ادى أيضاً بالتالي إلى حرمان العراق من مساعدة حقيقية وفعالة ربما كان في وسعها أن ترجح كفة العراق في صراعه مع بريطانيا ، هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى فإن المانيا لم تهمل الصراع الذائر في العراق تماما . فاعتبرت الحرب الدائرة في العراق جبهة من الجبهات المعادية للاستعمار البريطاني ـ ولكن بعد خراب البصرة ـ كما يقول المثل . ووضعت الخطط للاستفادة منها ، وشرعت في تنفيذها بارسال الطائرات الالمانية والايطالية وخبرائها إلى العراق ولكن في الفترة الاخيرة من تلك الحرب كما قلنا . وقد استطاعت طائرات الميسر شميت الالمانية التي هبطت في مطار الموصل أن توقع بالانكليز خسائر ملموسة ، وامتنعت مقاتلات بريده وقاصفات سافويا الايطالية حتى من التحليق في الجو فقبعت في كركوك .

وكانت القيادة الالمانية تأمل في أن يكون باستطاعة الجيش العراقي أن يصمد مدة كافية وأن يشاغل قوات بريطانية لا يستهان بها عن العمليات الحربية الدائرة في الميادين الاخرى ، وأن يقطع طرق المواصلات البريطانية بين منطقتي المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط . ولكن الاحداث اثبتت أن القيادة الالمانية كانت مخطئة في تقديراتها . ومن الاسباب الاخرى التي أدت إلى فشل الحركة أيضاً اوهام المانيا في تقدير قدرة الجيش العراقي على الصمود والقتال . فلم تنتبه حكومة الرايخ إلى حاجة الجيش العراقي إلى الامدادات الالمانية ولا سيما الطائرات إلا بعد

= الارسالية الاولى وتوزعت على مناطق القتال، ووصلت الوجبة الثانية بعد وقف االقتال فوضع الانكليز يدهم عليها وكانت على ما اتذكر اكثر من خمس وثمانين شاحنة». راجع، الاسرار الخفية، الصفحات ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، ٢٥٢ .

فـوات الاوان . وتدل التقـارير الالمـانية الـواردة من العراق عـلى أن ممثـلي الرايخ اخـطأوا تماما في تقديـرهم للموقف العسكـري . فقد اكـد هؤلاء لبرلين قبل يوم واحد من سقوط الفلوجة في ٢٠ أيار ١٩٤١ أن في الامكان استـردادها والاستيـلاء عليها . وفي ٣٠ ايـار كتب (غـروبـا) أن المـوقف العسكري قد تحسن نتيجة للهجمات التي قام بها العراقيون وبسبب اغراق الاراضي ، في حين أن العقداء الاربعة والوزراء والمسؤولين كانوا يتسللون إلى ايران في غسق الليل . كما كان الالمان قد بالغوا في تقدير مدى استعداد البدو للتعاون معهم ، ويقول لوكاز هير زوير « بالغت المانيا في تقدير قـدرة الجيش العـراقي على القتـال بشكل يفـوق الواقـع بكثير ، عـلى حين بـالغ رشيد عالي والمفتي في تصور احتمال المساعدة التي كان وضع الالمـان يسمح لهم بتقديمها »[٣٦] . ومن الواضح أن الجانب الالماني قـد اخطأ في حسـاب الحجم الحقيقي للصمود العراقي ، وأن الجانب العراقي قد اخطأ بدوره في حساب الحجم الحقيقي للعون العسكري الالماني كما اخطأ في توقع وصـوله في الوقت المناسب الذي يعزز قدرة العراق على المقاومة .

ثالثا ـ إن الجيش العراقي الذي حاول أن يأخذ على عاتقه مسؤوليـة القيام بمقاومة الغزو البريطاني ، كان غير مستعد استعدادا كافيا للقيام بهذه المهمة الصعبة .

وبصـورة عامـة يقول ميـرسكي : « ترجـع هزيمـة العراق إلى سـوء استعداده . وكانت هذه الحرب اضطرارية بمعنى أن اعمال بريطانيا وضعته امـام خيار واحـد من اثنين : إمـا الاستسلام وإمـا الـدفـاع عن النفس في وضع يائس . كما لم تكن عند العراقيـين خطة تفصيليـة مقررة ومـوضوعـة للعمليـات العسكريـة »[٣٧] . ومن الـواضح أن الجيش العراقي لم يكن



(٣٦) لوكازهير زوير ، المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ص ١١٠ .
(٣٧) ميرسكي ، العراق زمن الفتنة ، حرب الثلاثين يوما ، ص ١٦٥ .

مستعـدا تنظيما للحرب . لأن المستشـارين والمـدربـين الانكليـز في الجيش العـراقي كانـوا يدربـونه لتنفيـذ المهمات الـداخلية ، والقضـاء عـلى الفتن القبلية ، والحركات الوطنية .

ويصف موسى حبيب الحركـة فيقول : « إن انتفـاضة الجيش كـانت تجـري على الارتجـال بدون خـطة وبدون هـدف لأنه مـرغم عليها ولم تكن نتيجة لتنظيم أو اعداد »[٣٨] . وكان التخبط قد مزق صفوف الجيش ، كما نخزته العناصر المترددة والانتهازية . وادى ذلك إلى اضعاف القدرة القتالية للجيش وتثبيط عزيمته . ولم تتخذ القيادات الوطنية في الجيش أية اجراءات من شـأنها ردع واجتثاث تلك العنـاصر والـظواهر . وكـانت قـدرة الجيش العـراقي على القتـال ضعيفـة . وكـان الجيش عـاجـزا عن الصمـود أمـام الاسلحة الحديثة ، ولا سيما الطائرات . يقول الكيلاني في مـذكراتـه « كان جيشنا حديثا فلم يكن عدده يتجاوز الثلاثين الف جندي . ورغم المعاهدة التي تلزم الانكليز بالعمـل على تسليـح هذا الجيش فقـد تركـوه اعزل بـلا سلاح . لم يمتلك دبابـة واحدة ولم تكن لـديه مـدافع لمقـاومة الـطائرات ، وكانت ذخائره لا تكاد تكفي اسبوعا واحدا للقتال »[٣٩] .

رابعـا ـ تـرددت قيـادات الحـركـة بـين الحـل السيـاسي والحسم العسكـري . حتى اختارت في النهـاية الحـل السياسي . فـاتخـذت مـوقف الدفاع دون موقف الهجوم . ومن هنـا ، انتقل زمـام المبادرة إلى يـد العدو البريطاني الذي احتفظ بها طيلة فترة القتال ، واستغلها في مقاومة الحركة . وهكذا نرى أن بريطانيا هي التي اختارت توقيت عدوانها على العراق وهي التي وضعت العراق أمام الامر الواقع بانـزال قواتهـا في البصرة في اليـومين ٢٨ و ٢٩ نيسـان ١٩٤١ بـدون اذن شـرعي كـما تقضي بـذلـك معـاهـدة



---

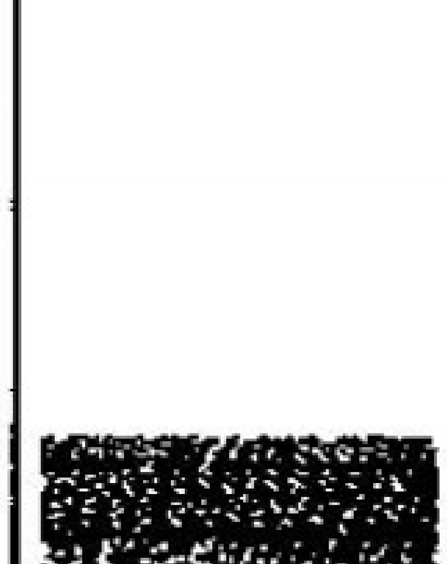
(٣٨) موسى حبيب، ثورة ١٤ تموز، بغداد ١٩٥٨، ص ٢٣٠ .

(٣٩) مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة آخر ساعة، العدد ١١٦٨، في ١٣/٣/١٩٥٧ .

٣٠ حزيران ١٩٣٠ البريطانية ـ العراقية ، وهي التي بدأت بشن الهجوم على القوات العراقية المرابطة على التلال المحيطة بقاعدة الحبانية في فجر الثاني من أيار ١٩٤١ . ويقول تشرشل في برقية بعث بها إلى ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط : إن الكيلاني كان في انتظار فرصة سانحة تستطيع فيها دول المحور أن تساعده . ويستطرد قائلا ما معناه ، إن نزول قواتنا في البصرة ارغمه (أي الكيلاني) على اطلاق النار في حالة كان مسدسه غير معمر بما يلزم قبل أن استعدت دول المحور لمساعدته(٤٠) .

وقد استفاد اعداء الحركة من هذه الظروف للبدء بالحرب النفسية التي شنتها من الداخل القوى الموالية للانكليز وكذلك في نشر المعلومات الكاذبة التي روجتها عن قوة الجيوش البريطانية . فقد لعبت هذه الحرب النفسية وتلك المعلومات الكاذبة دورا كبيرا في اضعاف الروح المعنوية واجهاض الثورة . وظهرت كل هذه العوامل السلبية خلال حرب الثلاثين يوما ظهورا واضحا .

ولم يلعب الشعب العراقي دوره الفعال في مقاومة الزحف البريطاني الاستعماري ، كما فعل في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ ، لأن القادة كانوا يعلنون بين حين وآخر أن جنديا نظاميا واحدا مدربا خير من عشرين مقاتلا مدنيا غير مدرب ، متناسين ما فعلته القبائل في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠(٤١) . وقد اضطر الجيش العراقي سيىء التسليح إلى



---

(٤٠) عبدالرزاق الحسني، الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية، الطبعة الرابعة الموسعة، مطبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٦، الصفحتان ٣٤٣ و٣٤٦.

راجع ايضا: السر ونستون تشرشل، الحرب العالمية الثانية، الجزء الثالث، المصدر المذكور سابقا، الصفحتان ٢٢٦ و٢٢٩.

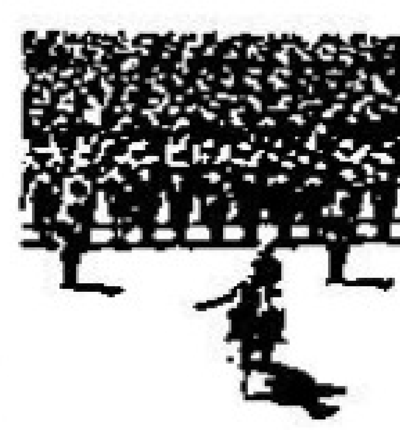
(٤١) هذا نص ما جاء في ص ٢١٥ من الطبعة الرابعة من كتاب (الاسرار الخفية) للسيد عبدالرزاق الحسني «لمّا وصل اللواء ابراهيم الراوي الى القرنة في ٣ ايار ١٩٤١ رحب به رؤساء القبائل المحيطة بهذا القضاء واعربوا عن رغبتهم في المساهمة في الدفاع عن كيان =

خوض معركة غير متكافئة مع بريطانيا ، محروما من المساعدات العسكرية والاسلحة الحديثة التي كان يترقب وصولها من الخارج كما كان قد حرم من المساهمات الجماهيرية والطاقات الشعبية من الداخل .

ولم تصل المساعدة المنتظرة من المانيا وايطاليا إلا متأخرة . وحتى الطائرات الالمانية التي اشتركت في الحرب البريطانية ـ العراقية كانت قد وصلت متأخرة وبأعداد غير كافية . والحقيقة أن الجانب العراقي كان قد اخبر الجانب الالماني بوجود ما يكفي لمدة (٦) اشهر من بنكين الطائرات . ثم ظهر أن المعلومات لم تكن دقيقة حتى أن معظم الطائرات التي وصلت بقيت جاثمة في اوكارها ومواضعها . كما أن المطارات لم تكن تتمتع بحماية كافية . فكانت الطائرات الالمانية عرضة للقصف البريطاني دون وجود وسائل للدفاع عن النفس[٤٢] . وعلى الرغم من الشجاعة الشخصية التي اتصف بها قادة الحركة ، فإن الارتباك قد طغى على ممارساتهم التي سادها الارتجال أيضاً . وكانوا دائما ينتظرون وقوع الاحداث ثم يفكرون كيف يتصرفون . ومن هنا ، كان ترددهم في احتلال قاعدة الحبانية وبقاؤهم محتشدين فوق التلال المحيطة بها حتى فاجأتهم الطائرات البريطانية بقصفهم من الجو . وهي ضربة كانوا يتوقعونها بحسب ما جاء في مذكرات صلاح الدين الصباغ الذي أفاد : « لقد فرض الانكليز علينا الحرب فرضا لأنهم كانوا يريدون توجيه سياسة العراق وفق مصالحهم الاستعمارية متجاوزين نصوص المعاهدة الانكليزية ـ العراقية وما قصدنا قتالهم أو الاشتباك معهم ولكنهم بادؤونا بالقتال فكان لا بد لنا من الدفاع

= المملكة بوقف الزحف البريطاني وطلبوا اليه تزويدهم بالسلاح والعتاد فشكرهم الراوي على عواطفهم الوطنية وطلب اليهم بالاكتفاء بمساعدة حركة التجنيد النظامية موضحا لهم ان جنديا واحدا افضل من عشرين مجاهدا غير مدرب» .

(٤٢) طالب مشتاق، اوراق ايامي (١٩٠٠ ـ ١٩٥٨)، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٨، الصفحات ٤٠٢ ـ ٤٠٥ .



عن شرفنا ووطننا »(٤٣) . وكان الاجدر أن يكون استعدادهم متناسبا مع توقعهم .

ويقول تشرشل : « إن الثورة في العراق اجهضت قبل أوانها ، وكان للانكليز دور في اجبار حكومة الكيلاني على القيام بها خوفا من قيامه بثورة يكون هو قد اختار لها التوقيت عندما يكون الالمان في وضع احسن واقرب والانكليز في وضع سيء »(٤٤) ولا سيما وقد اقتنع الانكليز بأن قيام الثورة في العراق كان أمرا متوقعا أو محتوما ، وفي حالة نجاح الالمان في (كريت) تكون مساعدتهم للعراق اكثر فاعلية فأسرعوا إلى اجهاضها .

ولو بادر الجيش العراقي بالهجوم على الحبانية منذ اليوم الاول الذي تحركت فيه قواته نحو هذه القاعدة لكان في امكانه احتلالها بكل يسر . وبذلك كان يمكن أن يتغير الموقف العسكري تماما ويكون لصالح العراق ولو لمدة ثلاثة اشهر في الاقل . أي كان بامكان العراق أن يقاوم بريطانيا مدة اكثر حتى تصل المساعدات الالمانية المتوقعة . وكان من الممكن أن يصبح موقف بريطانيا بعد احتلال قاعدة الحبانية حرجا للغاية ، فلا تستطيع قطعاتها النازلة إلى البصرة أن تتقدم عن طريق القطار نحو بغداد ، لأن خطوط المواصلات كانت طويلة وكان في امكان العشائر التي تمر بها تلك الطريق ، إن تعرقل وحدها هذا التقدم . أما المواصلات النهرية فأنها كانت تخضع للمحاذير نفسها إن لم تكن اكثر . وعلاوة على ذلك ، لو سقطت الحبانية لكان قد تعذر تقدم قوات من الاردن إلى العراق(٤٥) .

ويقول صلاح الدين الصباغ « إن مخالفة فهمي سعيد لاوامري



(٤٣) صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة في العراق ، ص ٢٢٥ .
(٤٤) الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الخامس والسادس ، ص ٣٠٢ .
(٤٥) من حديث للاستاذ ناجي شوكة وزير دفاع الحركة في مقابلة مع المؤلف في ١٩٧٤/١/٢٧ .

الصادرة إليه . . فهو بدلا من أن يمسك رأس جسر الفلوجة . . ذهب من تلقاء نفسه واشغل التلول التي تحيط بسن الذبان قبل أن يحاربنا الانكليز بيومين . وكان ما قام به خطأ سوقيا فاحشا . . بعد أن اعتدى الانكليز علينا وقصفوا قطعاتنا بيوم واحد طلبت من فهمي بالحاح أن يهاجم سن الذبان فورا وفي تلك الليلة بالذات . . . ولكن فهمي اجل هجومه يوما بعد يوم حتى هجم الانكليز اخيرا . . فغلبوا قطعات فهمي »(٤٦) .

ونعتقد أن التناقض بين قادة الجيش قد ازداد بغياب وزير دفاعهم ناجي شوكة في مهمة مفاوضات في تركيا (اعلنت تركيا عن استعدادها للتوسط بين العراق وانكلترا) . فكيف يواجه الجيش حربا ضد قوات بريطانيا ووزير دفاعه خارج البلاد ؟ وكان المنطق العسكري السليم يقضي بأن يكون وزير الدفاع على قمة القيادة والتوجيه ولا سيما وهو جندي قديم . وكان من المفروض أن تكلف الحكومة شخصا اخر بالمهمة التي سافر الوزير ناجي إلى تركيا من اجلها . وقد لاحظنا أن معظم الكتاب والقادة العسكريين الذين ابدوا اهتماما بنتائج حركة رشيد عالي يعتبرون أن العراق قد خسر المعركة منذ الانزال الثاني للقوات البريطانية في البصرة في ٢٨ نيسان ١٩٤١ . وكان الموقف العسكري في اعتقادهم يتطلب من قادة الحركة القيام فورا باحتلال قاعدة الحبانية كما افاد الهيثم الايوبي الكاتب العسكري المعاصر : « إن بريطانيا قد ربحت الحرب منذ احتلالها ميناء البصرة والسيطرة عليه وقطع أي مساعدة أو اسلحة حديثة مستوردة من الخارج . أما مساعدة العراق عن طريق سورية (حكومه فيشي) فإن بريطانيا كانت تعد خطة للهجوم على سوريا ولها مخاوفها التي تخشى أن تكون محور حركات الشرق الاوسط ، فغزتها قوات فرنسا الحرة في ٨ حزيران وسيطرت عليها في ١٢ منه »(٤٧) . وكذلك اضاف « أن الجيش

---

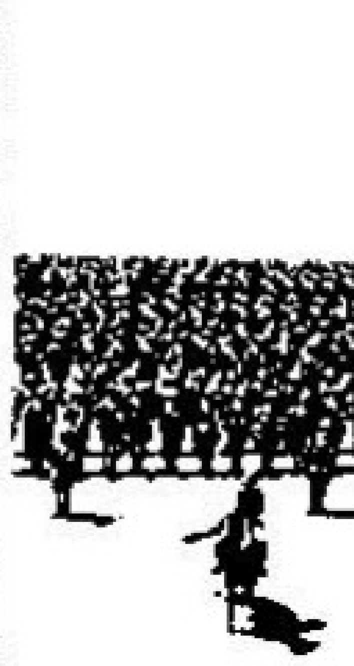
(٤٦) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص ٢٥٥ .

(٤٧) الهيثم الايوبي، من محاضرته التي القاها في كلية الاركان العراقية في زيارته للعراق في مناسبة اعياد تموز في العراق ١٩٧٥ .

العراقي لا يعتبر في حالة حرب عند ٢ مايس ١٩٤١ لتوزعه على انحاء العراق دون تحشد . ولم يعلن النفير العام في القطر » .

وفضلا عن ذلك ، فإن العمل العسكري الناجح يحتاج إلى قيادة عسكرية حازمة تستطيع أن تسيطر على الموقف في الظروف الصعبة ، كما يحتاج إلى قيادة سياسية واعية ومتفهمة وملتزمة . وهكذا اجهضت الحركة الوطنية في العراق بعد أن كانت الظروف الموضوعية مهيأة للقيام بعمل ثوري يغير من موازين القوى لصالح الامة العربية من خلال تركيز العمل الحاسم في العراق . ولكن تلك المرحلة التاريخية لم تكن قادرة من الناحية الموضوعية على افراز قيادات واحزاب سياسية ثورية قادرة على تنظيم الجماهير ، واستغلال الفرص ، وحسم المعارك والاستفادة من متغيرات الوضع الدولي لصالح النضال العربي . وهكذا فشلت حركة الكيلاني ومكنت بريطانيا أن تعيد نفوذها إلى العراق من جديد معتمده على اعوانها من مدرسة نوري السعيد وعبد الاله . فاحتلت القوات البريطانية بغداد في الوقت الذي كان قادة الحركة العسكريون والمدنيون يغادرون الحدود العراقية إلى ايران تاركين الجيش والشعب للسيطرة البريطانية .

لقد بقيت هذه الجماهير تبحث عن قياداتها الثورية الحقيقية التي تعمل على استعادة حقوقها بالنضال من جديد ضد السيطرة الاستعمارية . وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، وانتهت مرحلة من التحالفات التي كانت تعتمد الوجهاء والشخصيات التي اختارت العمل البرلماني والتفاوض السياسي ، بدأت مرحلة جديدة من العمل الثوري والالتزام العقائدي الذي بلورته حركة التحرر العربي في المجالات الرئيسة الثلاثة المتمثلة في : الايديولوجية ـ التنظيم ـ الحركة الجماهيرية .



لذلك اتسمت الامة العربية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالدفاع عن وجودها المهدد باستمرار الاحتلال الاستيطاني والتوسع

الصهيوني . فارتبطت حياتها كلها بهذا الخطر المركزي المتفاقم . ومن الواضح ، أن جذور الوعي بهذا الخطر ، وبواكير مقاومته ، تعودان إلى مراحل اقدم في التاريخ العربي الحديث . ولعل الاصطدام المسلح العراقي ـ البريطاني ، الذي كانت قضية فلسطين من ابرز واهم اسبابه ، يعتبر من اوضح واقوى تلك الجذور والبواكير .

ومن هنا ، نفهم لماذا اصبحت القضية الفلسطينية هي القضية المركزية في نضال الامة العربية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وكيف كانت الحركة العسكرية المعارضة وانتفاضة ١٩٤١ جزءا لا يتجزأ من تطور الحركة الثورية في الوطن العربي ككل .

وكانت تلك الحوادث التاريخية خاتمة عهد الانتفاضات والحركات التقليدية وقادتها من العناصر الاقطاعية وشبه الاقطاعية والبرجوازية وفاتحة عهد الثورات الشعبية ذات الطابع الاجتماعي الواضح والتي كان من اهدافها ليس تحقيق المطالب الوطنية والقومية المعادية للاستعمار وحسب، بل تحقيق المطالب الاجتماعية للجماهير الكادحة ، وتحطيم النظام الاقطاعي والاستغلال الاقتصادي وانجاز التحولات الاجتماعية التقدمية أيضاً .

ولكن الفشل الذي اصاب حركة ١٩٤١ ، لا يقلل من شأنها ، ولا ينتقص من قدرها ، ولا يضعف من موقعها الفذ الفريد في التاريخ القومي الحديث للعمل الثوري العربي ، وكما أن فشل كومونة باريس في سنة ١٨٧١ لم يمنع الثورة الشيوعية العالمية من حبها واحترامها وتحليلها ، كذلك فشل حكومة الدفاع الوطني في سنة ١٩٤١ فأنه لم يمنع الثورة القومية الاشتراكية العربية من حبها واحترامها وتحليلها واستخلاص نتائجها ودروسها وعبرها .

وإذا اردنا أن نلخص الاسباب الاساسية التي ادت إلى فشل حركة ١٩٤١ ، لأوجزناها كما يلي :

« عدم توقع قيادة الحركة أن تقوم بريطانيا بمبادرتها في سحق الثورة عسكريا منذ البدء ، وعدم تعبئة القوى النظامية والشعبية باتجاه الاستعداد للمعركة ، وانصراف السياسيين إلى محاولات التفاهم مع بريطانيا حتى النهاية مع تسليم العسكريين بقيادة السياسيين للحركة واهمالهم التركيز على الحسم العسكري الذي كانت تحتمه ظروف تلك المرحلة ، وعدم استيعاب القيادات السياسية والعسكرية ، أو عدم تقديرها ، مدى خطورة الحركة على بريطانيا في ظروف الحرب العالمية الثانية ، وعدم توقع تلك القيادات رد الفعل البريطاني وحجمه ضدها . وبقدر ما نحب ثورة ١٩٤١ ونعزها ونحترمها بقدر ما نتألم للمستوى الذي كانت عليه . ومن الخطأ أن ننسب عوامل الفشل إلى ظروف المرحلة فقط . لأن المسؤولية التاريخية تتطلب تحديدا دقيقا للدور الذي لعبته العوامل الداخلية والذاتية في الفشل المذكور حتى لا تتكرر مثل هذه المآسي في حياة شعبنا . بيد أن روح النقد ينبغي أن تكون عالية ومسؤولة حتى يكون النقد نقدا ذاتيا حقيقيا وجادا كما لو أننا نعيش الآن مع الحركة في تلك اللحظة . خاصة وأن تلك الحركة تشكل بعدا من اهم الابعاد التاريخية لنشأة البعث في العراق »(٤٨) .

كومونة باريس في سنة ١٨٧١
وحكومة الدفاع الوطني في سنة ١٩٤١

ومن هنا ، وفي ضوء ما تقدم ، استحسنت أن أصف « حكومة الدفاع الوطني » في سنة ١٩٤١ في القطر العراقي بـ « كومونة » الثورة العربية القومية الاشتراكية المعاصرة ، عن جدارة واستحقاق . لأن نظرة الشيوعية العالمية إلى كومونة باريس هي نفسها نظرة الثورة القومية الاشتراكية العربية إلى حكومة الدفاع الوطني ، من حيث الخصائص



(٤٨) مقابلة شخصية مع الرفيق الدكتور الياس فرح في بغداد بتاريخ ١٩٧٩/٦/٧ .

العامة ، وإن كان القياس مع الفارق في التفاصيل والجزئيات . ولكن التجربتين على حد سواء قد عانتا من اخطاء فادحة وسلبيات متعددة أدت في النهاية ، على الرغم من اختلاف واضح في خصائصهما واهدافهما وظروفهما واسبابهما ونتائجهما ، إلى نتيجة مأساوية واحدة هي الصراع غير المتكافيء والصمود البطولي والفشل الذريع .

فماذا كانت كومونة باريس ؟ ولماذا احبتها واحترمتها ودرستها الثورة الشيوعية العالمية ؟ افاد كارل ماركس : « . . . ولكن حتى إذا ما سحقت الكومونة ، فالنضال لا يكون إلا مؤجلا . إن مبادىء الكومونة لا يمكن القضاء عليها »(٤٩) . فما احرانا نحن أبناء الثورة القومية الاشتراكية العربية المعاصرة أن نقول بكل فخر واعتزاز ، أن سقوط حكومة الدفاع الوطني في سنة ١٩٤١ لم يؤدّ إلاّ إلى تأجيل الانتصار العربي بعضا من الوقت ، لأن مبادىء ثورتنا لا يمكن القضاء عليها . وما لم يتحقق في ٢ ايار ١٩٤١ ، قد تحقق في ١٤ تموز ١٩٥٨ و ١٤ رمضان ١٩٦٣ و ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، واصبح واقعا شامخا مضيئا للامة العربية جمعاء .

وكتب فردريك انجلز : « هذا المساء ، يحتفل عمال العالم بذكرى اكثر مراحل التطور البروليتاري مجدا ومأساة للمرة الاولى منذ أن اصبح عندها تاريخ ، سنة ١٨٧١ ، تستولى الطبقة العاملة ، في عاصمة كبيرة ، على السلطة السياسية ، ولم يكن ذلك ، مع الاسف سوى حلم . فقد اختنقت الكومونة محاصرة . . . في مجزرة لا مثيل لها ولا يمكن أن تنسى . ولم تعرف الرجعية المنتصرة حدودا لها ، وظهرت الاشتراكية غارقة في الدم ، والبروليتاريا تحت العبودية إلى الابد . خمس عشرة سنة مضت على تلك الهزيمة . . . وماذا كانت النتيجة ؟ انظروا من حولكم . . . لقد ظنوا



(٤٩) ماركس ـ انجلز، كومونة باريس، تعريب فارس غصوب، دار الفارابي، بيروت، سنة ١٩٧٥، ص ٢٠١ .

أنهم قتلوا الاممية . . . هاكم اين نحن . كل الاحداث في صالحنا »[٥٠] .

ولا يوجد احد احق من ابناء الثورة القومية الاشتراكيـة المعاصـرة في الوطن العربي أن يصف حكومة الدفاع الوطني في العراق سنـة ١٩٤١ بأنها قد كتبت صفحة مأساوية ومجيدة معـا في تاريخنـا الحديث ؛ فللمرة الاولى ارتفعت راية الوحدة العربية والثورة القومية في سماء بغداد بيـد ثوار مـايس الاشاوش الاحرار . ولكن لفترة قصيرة اشبه ما تكـون بحلم جميل حـاول الاعـداء الداخليـون والخارجيـون تحويله إلى كـابوس رهيب دائم . ولكن ماذا كانت النتيجـة ؟ انظروا من حـولكم . لقد تـوهم الانكليز واعـوانهم حينذاك أنهم قد قتلوا فكرة الوحدة وبذرة القـومية إلى الابـد . وهاكم اين نحن الآن . وكفانا أننـا قد عشنـا حتى رأينا السيـد الرئيس الـرفيق صدام حسين يستقبل عوائل وابناء شهداء ١٩٤١ الخالدين الابطال .

وعاد انجلز أيضاً فأفاد : « إن ما يعطي الكومونة عظمتها التاريخية ، هو طابعها الاممي البحت . هو هذا التحدي الجـريء لكل شعـور شوفيني برجوازي . فبروليتاريا كل البلدان لم تخطيء. . من هنا الافتراءات الوقحة التي كدستها البرجوازية الدنيئة على قبر الكومونة . . . فالكومونة التي قالوا أنها ذبحت ، والاممية التي اعتقدوا أنه قد قضى عليهـا إلى الابد ، همـا هنا بيننا ، عائشتـان ترزقـان واقوى بـاضعاف الاضعـاف مما كـانتا عليـه سنة ١٨٧١ »[٥١] .

ومن واجبنـا نحن دعاة وحمـاة الثورة القـوميـة الاشـتراكيـة العـربيـة المعاصرة أن نقرر بوضوح مطلق أن حكومة الدفاع الـوطني في العراق سنـة ١٩٤١ تستمـد عـظمتهـا التـاريخيـة من طـابعهـا القـومي العـربي الثـوري الـوحدوي المعـادي للسيطرة الاجنبيـة والصهيونيـة العالميـة ، ومن تحديهـا

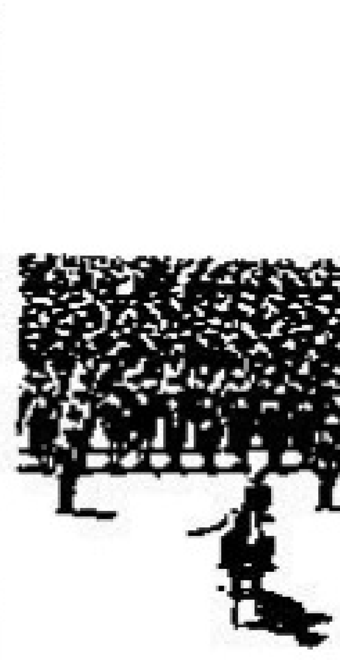
---

(٥٠) المصدر السابق، الصفحتان ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٥١) المصدر نفسه، ص ٢٣١ .

الجريء للامبراطورية البريطانية التي كانت لا تغرب الشمس عن ممتلكاتها حينذاك . فحكومة الدفاع الوطني لم تخطيء بحملها السلاح ودفاعها عن الحق والوطن ، بوجه عدو شرس متفوق ، كما زعم العقلاء المزعمون في حينه . ومن هنا ، الاكاذيب المفضوحة التي كدستها الامبريالية الغربية والصهيونية العالمية على قبر تلك الحكومة البطولية التي سقطت بوجه ابيض ورأس مرفوع وجبين ناصع وهي تقاوم العدوان ، فغلبت ، ولكنها ، واجيالها الجديدة وطلائعها الصاعدة وجماهيرها المناضلة ، لم تقهر لأنها لم تستسلم . فحكومة الدفاع الوطني التي قالوا أنها ذبحت ، والامة العربية التي اعتقدوا أنه قد قضي عليها إلى الابد ، هما هنا بيننا ، عائشتان ترزقان واقوى باضعاف مما كانتا عليه في تلك الايام العظيمة من سنة ١٩٤١ .

وكتب لينين عن دروس الكومونة يقول : « فبدلا من أن تبيد اعداءها ، حاولت أن تمارس عليهم تأثيرا معنويا . . وبدلا من أن تتوج انتصارها في باريس بهجوم حاسم على فرساي ، عمدت إلى التهدئة ، فأعطت حكومة فرساي الوقت لتعبئة قواها الظلامية ، وللاستعداد للاسبوع الدموي في ايار . وبالرغم من جميع اخطائها ، تبقى الكومونة اعظم مثال لاعظم حركة بروليتارية في القرن التاسع عشر . وقدر ماركس ايما تقدير الدلالة التاريخية للكومونة : ولو أن العمال سمحوا بانتزاع اسلحتهم دون قتال ، عندما حاولت زمرة فرساي الوقحة أن تستولى على اسحلة البروليتاريا الباريسية ، لكان التأثير لتحطيم معنويات البروليتاريا الناتجة عن هذا الضعف داخل الحركة البروليتارية ، اكثر ضررا بكثير من الخسائر التي تكبدتها الطبقة العاملة خلال القتال دفاعا عن اسلحتها . ومهما عظمت تضحيات الكومونة فقد تم التعويض عنها بالاهمية الكبرى التي تحملها لنضال عموم البروليتار . . سوف تبقى الامثولة التي تعلمتها البروليتار راسخة في الاذهان . ولسوف تستفيد الطبقة العاملة منها »[٥٢] .



---

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٧ .

ونحن رسل وجنود الثورة القومية الاشتراكية العربية المعاصرة ، نجد انفسنا ملزمين ، دون خوف ولا وجل ، إلى التأكيد بأن حكومة الدفاع الوطني في العراق سنة ١٩٤١ ، بدلا من أن تبيد اعداءها بحزم وتصميم ، حاولت أن تمارس سياسة التفاهم ان امكن ، وبدلا من أن تتوج انتصارها في بغداد بهجوم حاسم على قاعدة (سن الذبان) في الحبانية ، عمدت إلى التهديد المفتقر إلى الاستعداد المسبق والعمل الهجومي المنظم ، فأعطت فسحة من الوقت للقوات البريطانية استغلتها في تعبئة قواها وتحريك الخونة المرتبطين بها والخاضعين لها ، فاحتلت العراق . وبالرغم من جميع اخطائها ، تبقى حكومة الدفاع الوطني اعظم مثال لاعظم انتفاضة قومية عربية مسلحة في النصف الاول من القرن العشرين . ولو أنها كانت قد استسلمت دون قتال وتنازلت عن حق المقاومة ، لكان الضرر على معنويات الامة العربية والحركة القومية في العراق اكثر بكثير من الخسائر التي تكبدها العراق في القتال دفاعا عن النفس والحق القومي العربي . ومهما عظمت التضحيات التي بذلها العراق بقيام وسقوط حكومة الدفاع الوطني ، فقد تم التعويض عنها بالقدوة التي ضربتها والامثولة التي قدمتها للثورة العربية المعاصرة . لأن الامثولات اثمن من الرجال ، والمبادىء اعز واغلى من الاشخاص ، في نهضات الامم .

وقرر لينين أيضاً : « أن الكومونة قد ولدت عفويا . ولم يحضر لها بشكل واع ومنهجي . . وكانت حدثا لا نظير له في التاريخ . . كما كانت شديدة التداخل والغموض . . . وباريس التي كانت اول من رفع راية الانتفاضة ، قد وجدت نفسها مضطرة إلى الاعتماد على قواها الذاتية ، وبالتالي ، محكوم عليها بخسارة محتومة . . تلك هي اللوحة الرائعة للكومونة في حياتها ومماتها . . ومشهد نضالها البطولي والامها بعد الهزيمة . . . لقد استيقظ الجميع على دوي مدافع باريس . . . لهذا



السبب ، لم تمت قضية الكومونة فهي تعيش حتى اليوم . . . وفي هذا المعنى بالذات هي خالدة ابدا »(٥٣) .

هكذا افاد لينين عن كومونة باريس في سنة ١٨٧١ . فماذا تقول الثورة القومية الاشتراكية العربية المعاصرة عن حكومة الدفاع الوطني في العراق سنة ١٩٤١ ؟ لا نجد ضيرا من الاعتراف بأن حكومة الدفاع الوطني قد ولدت عفوا بفعل اسباب وعوامل مختلفة اشرنا لها وتحدثنا عنها . وقد قامت دون استعداد مسبق أو قرار منهجي . وبغداد التي كانت اول من رفع راية الانتفاضة المسلحة في تلك الفترة ، قد وجدت نفسها مضطرة إلى الاعتماد على قواها الذاتية ، وبالتالي ، محكوم عليها بخسارة محتومة في معركة غير متكافئة . تلك هي اللوحة الرائعة التي رسمتها حكومة الدفاع الوطني في حياتها ومماتها ومشهد نضالها البطولي الرائع وما اعقبه من احزان ومظالم بعد الهزيمة . فكانت من اشرف واروع الصفحات في السجل الطويل الحافل الذي كتبته الامة العربية بدماء ابنائها في تلك المرحلة من التاريخ .

واشار لينين في كتابه المعنون (الدولة والثورة) إلى تحليل ماركس للتجربة التي خاضتها كومونة باريس ، فأفاد : « ما وجه البطولة في محاولة الكومونيين ؟ من المعروف أن ماركس قد حذر العمال الباريسيين في خريف ١٨٧٠ ، قبل الكومونة ببضعة اشهر ، مبرهنا على أن محاولة اسقاط الحكومة سوف تكون حماقة وليدة اليأس والقنوط ، أما وقد فرضت على العمال تلك المعركة الفاصلة في اذار ١٨٧١ ، وعندما ارتضاها هؤلاء ، واصبحت الانتفاضة واقعا ، دافع ماركس عن هذه الثورة بمنتهى الحماسة ، رغم نذير الشؤم . ولم يصر ابدا على اتخاذ موقف متحذلق ودعي يدين هذه الحركة « التي جاءت في غير اوانها » أو يتبجح قائلا « ما



(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ و٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

كـان ينبغي حمـل السـلاح » إلا أن مـاركس لم يكتف أن اعجب ببـطولـة الكومونيين الذين « هبوا لاقتحام السماء » على حد قوله ، فقد وجد في هذه الحركة الجماهيريـة الثوريـة ، وان لم تحقق هدفهـا ، تجربـة تاريخيـة بالغـة الاهميـة ، وخطوة مـا إلى الامام للثـورة العالميـة ، وهي خطوة عمليـة اهم بكثير من مئات البرامج والاستـدلالات . وقد وضـع ماركس جليـا نصب عينيه مهمة تحليل هذه التجـربة واستنتـاج الدروس والعبـر التاكتيكيـة منها واعادة النظر في نظريته في ضوئها »(٥٤) .

هكذا أفاد لينين في اشارتـه إلى تحليل مـاركس للكومـونة . فـما وجه البطولة إذن في محاولة حكومة الدفاع الوطني في العراق سنة ١٩٤١؟ زعم متحذلقون كثيرون في حينه أن محاولة التصدي للعدوان البريطاني بقوة السلاح سوف تكون حماقة وليدة اليأس والقنوط . أما وقد فرضت بريطانيا تلك المعركة الفاصلة فرضا على العراق في شهر أيار من سنة ١٩٤١ ، وبعد أن ارتضتها حكومة الدفاع الوطني ، واصبحت الانتفاضة المسلحـة امرا واقعـا في حينـه ، فقـد اصبـح من واجبنـا التـاريخي الآن ، أن نـدافـع ، نحن القوميين الاشتراكيين المعاصرين من ابناء الامة العـربية ، عن تلك الثـورة المجيدة بمنتهى الحماسة رغم ما اكتنفها من اخطاء وسلبيات ، على خـلاف المتحذلقين الذين ادانوها بقولهم أنها « قـد جاءت في غـير أوانها » أو بقولهم أنه « ما كان ينبغي حمل السلاح ». إلا أننا لسنا فقط معجبين ببـطولة ثـوار مايس ١٩٤١ في العراق الذين « هبو لاقتحام السماء »، بل أننا نجـد أيضاً في تلك الثورة ، وإن لم تحقق هدفها ، تجربة تاريخية بالغة الاهمية ، وخطوة إلى أمام للثورة العربية ، وهي خطوة عملية اهم بكثـير من مئات البـرامج والاستدلالات . ونأمل أننا في البحث الحالي قد انجزنا شطرا متواضعـا في الاقل من مهمة تحليل هذه التجربة واستنتاج دروسها وعبرها .



---

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٧ .

قلنا أن كومونة باريس في سنة ١٨٧١ وحكومة الدفاع الوطني في العراق سنة ١٩٤١ ، قد عانتا من اخطاء فادحة وسلبيات متعددة على حد سواء ، وإن القياس بين هاتين التجربتين ينبغي أن يأخذ بنظر الاعتبار ما يميز احداهما عن الاخرى ، من فوارق واخلافات . فما هي تلك الاخطاء والسلبيات ؟ وما هي تلك الفوارق والاختلافات ؟ .

لقد استوفينا من جانبنا ، كما نعتقد ونأمل ، بحث وتحليل اخطاء وسلبيات حكومة الدفاع الوطني ، فضلا عن دروسها وعبرها . وقد وجدنا أن الباحث البريطاني (جون ايليس) قد قام من جانبه بتحليل اخطاء وسلبيات كومونة باريس ودروسها وعبرها ، في كتابه المعنون (الجيوش في الثورات)(٥٥) . فرأينا من المفيد أن نقارن بين ما كتبته في هذا الصدد ، وما كتبناه . وإذا كان من حق الآخرين على اختلاف عقائدهم واوطانهم أن يعمدوا إلى ابراز كومونة باريس واحاطتها بهالة كبيرة وسمعة عالية ، أفليس من حقنا نحن أن نستفهم عن اسباب التعتيم المقصود على ثوراتنا الوطنية بوجه عام وانتفاضة سنة ١٩٤١ في العراق بوجه خاص ؟. فماذا افاد الباحث « جون ايليس » عن كومونة باريس ؟ افاد ما يلي :

ما إن مضت (٣) اشهر على قيام كومونة باريس ، وعلى الرغم من التطابق الظاهري بين ذراعها السياسي وذراعها العسكري ، حتى تعرضت إلى الانهيار الكامل . ويعود ذلك إلى اسباب عديدة ومختلفة ، منها :

أولا ـ الافتقار إلى الاسلحة الحديثة والاعتدة الكافية . وقد اشرنا في سياق بحثنا كيف أن حكومة الدفاع الوطني قد عانت من هذا النقص .

ثانيا ـ امتناع الكومونة عن الهجوم الحاسم على فرساي بعد انتصارها

---

(٥٥) جون ايليس، الجيوش في الثورات، طبعة كروم هيلم باللغة الانكليزية، لندن، سنة ١٩٧٣، الفصل المعنون (الحرب الفرنسية ـ البروسية وكومونة باريس ١٨٧٠ ـ ١٨٧١) الصفات ١٣٦ ـ ١٦٢ .

في باريس . ما اشبه هذا الوضع بامتناع حكومة الدفاع الوطني عن الهجوم الحاسم على القاعدة البريطانية في « سن الذبان » بالحبانية ، بعد انتصارها في بغداد .

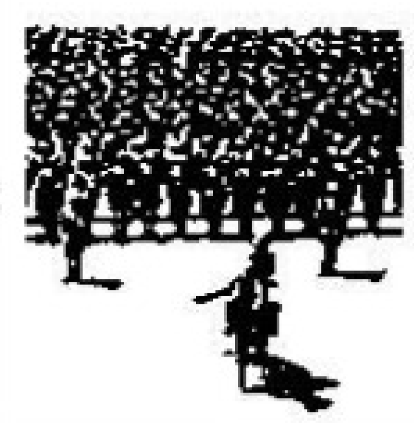
ثالثا ـ غياب الوحدة بين القيادتين السياسية (المؤتمر العام) والعسكرية (الحرس الوطني) للكومونة . وقد اصيبت سلطة الكومونة بنوع من الازدواجية . فإذا دعت القيادة السياسية إلى الوحدة ، توهمت القيادة العسكرية أنها دعوة مبطنة إلى الديكتاتورية السياسية وإذا دعت القيادة العسكرية إلى الوحدة توهمت القيادة السياسية أنها دعوة مبطنة إلى الديكتاتورية العسكرية . وقد اشرنا إلى هذه الظاهرة في حكومة الدفاع الوطني ، وما سببته من ارباكات على الصعيدين السياسي والعسكري معا . فكانت القيادة السياسية تتهم القيادة العسكرية بالتهور ، كما كانت القيادة العسكرية تتهم القيادة السياسية بالتخاذل .

رابعا ـ غياب التصور الايديولوجي الواضح والتخطيط المنهجي الدقيق ، وافتقار الكومونة إلى برنامج اقتصادي واجتماعي للتغير الثوري والاصلاح الجذري . وقد انعكس هذا الوضع سلبا على معنويات الجنود والجماهير ، فأضعف القدرات القتالية المتاحة . ونحن من جانبنا قد قمنا بتحليل الوضع المشابه الذي عانته حكومة الدفاع الوطني ، فوجدناها لا تقل افتقارا من كومونة باريس إلى هذا العامل .

خامسا ـ لا يمكن أن توصف كومونة باريس إلا بأنها حركة محلية باريسية خالصة ، حصرت نفسها جغرافية في حدود العاصمة الفرنسية ، واجتماعيا في نطاق الباريسيين فقط ، واقتصرت في اهدافها على المطالبة بالحكم الذاتي المحلي ، ولم تفكر في أي وقت من الاوقات بعمل ثوري واسع يشمل الامة الفرنسية بأسرها ، أو ابناء الارياف والمدن الاخرى . وقد أدى هذا الوضع إلى عزلتها عزلة خانقة كاملة عن كافة الطبقات والشرائح الاجتماعية التي كان يمكن أن تمدها بالدعم والتأييد . ومن

هنا ، لم يكن من الممكن ولا من المتوقع أن تحتشد الامة الفرنسية خلف راية لا يتجاوز هدفها النهائي تحقيق الحكم الذاتي المحلي في باريس . في تلك القوقعة الصغيرة ، ولدت كومونة باريس ، وفي تلك القوقعة ماتت أيضاً . من هذه الناحية بالذات ، تختلف حكومة الدفاع الوطني اختلافا جذريا كاملا عن كومونة باريس ، لأنها كانت قومية شاملة في كل شيء : قومية في هدفها ، قومية في تأثيرها ، قومية في نطاقها ، قومية في عملها . وعلى العكس تماما من كومونة باريس ، تجاوزت حكومة الدفاع الوطني حدود زمانها ومكانها فامتد أثرها إلى ثورات لاحقة كبرى وقعت في اقطار عربية أخرى .

وكانت الاحداث التي وقعت بين العامين ١٩٣٧ و ١٩٤١ وانتفاضة عام ١٩٤١ نفسها تجربة اولية في التاريخ العربي الحديث للدور الحاسم الذي لعبه الجيش كقوة ضاربة للحركة التحررية العربية في نضالها ضد الاستعمار والرجعية والصهيونية . وكانت اخطاء وسلبيات تلك الحركة من أثمن وأغلى الدروس للامة العربية في نضالها التحرري اللاحق ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية . فثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر ، قد انبثقت من جذور تمتد مباشرة إلى انتفاضة ١٩٤١ في العراق . كما أن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الجبارة في العراق ، باسقاطها النظام الملكي واعلانها النظام الجمهوري ، وبقضائها على الطغيان الاقطاعي واعلانها الاصلاح الزراعي ، تكون قد طبقت تطبيقا حرفيا بعض الدروس الاساسية المستفادة من سلبيات حركة ١٩٤١ في العراق . ومن هنا ، افاد السيد الرئيس الرفيق صدام حسين في عبارة مأثورة في مقابلته مع عوائل وابناء شهداء الحرب العراقية البريطانية في سنة ١٩٤١ ، بتاريخ ٢ مايس ١٩٧٩ :



« إن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ هي الوريثة الشرعية والابنة التاريخية للانتفاضة القومية المسلحة المجيدة التي وقعت في العراق فجر اليوم الثاني من شهر مايس سنة ١٩٤١ » .

فهرس الاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

محتويات الكتاب